

المطالبي

فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ الْفَلْسَفِيَّةِ الْعَوِيضَةِ

لِلْأَبِيِّ مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّدِ
الْبَطْلِيِّ سَيِّدِ الْأَنْدَلُسِيِّ

٤٤٤ - ٥٢١ هـ

تقديم له الأستاذ الدكتور
عبد الكريم اليافعي

إعْتَنَى بِهِ
الدكتور محمد رضوان الدايت

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْمَدَائِقُ

فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ الْفُلْسُفِيَّةِ الْعَوْنِيَّةِ

الجلالوت

في المطالب العالية الفسيفساء العنصرية

لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد
الطلحوي الأندلسي

٤٤٤ - ٥٢١ هـ

اعتنى به
الدكتور محمد رضوان الدايت

تم له الأستاذ الدكتور
عبد الكريم اليافي



الكتاب ٧٧٦

الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل
والترجمة والتسجيل المرئي والسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من دار الفكر بدمشق

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (١٦٦) - برقياً: فكر
س . ت ٢٧٥٤ هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - تلكس 411745 Sy FKR

الصف التصويري: دار الفكر بدمشق
الطباعة (أوفست): المطبعة العلمية بدمشق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكلمة الأولى

يَعَدُّ ابْنُ السَّيِّدِ البَطْلَيْسِيُّ فِي رُؤُوسِ عُلَمَاءِ الأَنْدَلُسِ وَأَدْبَائِهَا فِي القَرْنَيْنِ الخَامِسِ ، وَالسَّادِسِ ، فَقَدِ عَاشَ مِنْ سَنَةِ ٤٤٤ هـ إِلَى أَنْ وَاثَاهُ الأَجَلَ سَنَةَ ٥٢١ هـ . وَتَجَاوَزَتْ شَهْرَتُهُ الأَنْدَلُسَ ، وَبَلَّغَتْ المَغْرِبَ وَالمَشْرِقَ . وَتَدَاوَلَ النَّاسُ كُتُبَهُ وَرِسَائِلَهُ ، وَرَزِقَتْ قَبُولاً مِنَ العُلَمَاءِ وَالمُتَعَلِّمِينَ . وَكَانَ ابْنُ السَّيِّدِ أَسْتَاذاً فَائِقَ الأُسْتَاذِيَّةِ وَمَعَلِّمًا بَارِعاً ، وَكَاتِباً طَاعَ لَهُ القَلَمُ فِي المَوْضُوعَاتِ الَّتِي عَاجَلَهَا عَلَى اخْتِلَافِ وَجْهَاتِهَا وَعَلَى كَثْرَةِ تَنَوُّعِهَا .

وَمُؤَلِّفَاتِ ابْنِ السَّيِّدِ موزَّعة على كثير من أبواب الثقافة العربيَّة : فِي النُّحُوِّ واللُّغَةِ والنَّقْدِ ، وَفِي الأَصُولِ ، وَالكَلَامِ ، وَالفِلسَفةِ وَعلومِ الأَوَائِلِ ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ تَلَقَّى عَنْ شِيُوخِ الأَنْدَلُسِ الكِبَارِ العِلْمِ النَّقْلِيَّةِ ، وَالعِلْمِ العَقْلِيَّةِ ثُمَّ تَفَنَّنَ صَعْدًا فِي الإِبْدَاعِ وَالتَّوَلُّيدِ حَتَّى بَلَغَ دَرَجَةَ الأَسَاتِذَةِ الكِبَارِ ، وَصَارَ مَعَ طَبَقَتِهِ مِنَ الأَدْبَاءِ وَالعُلَمَاءِ حَلْقَةً جَدِيدَةً مِنْ حَلَقَاتِ العِلْمِ وَالثَّقَافَةِ فِي دِيَارِ الأَنْدَلُسِ ذَاتِ العِزِّ البَاهِرِ .

وَكَانَ ابْنُ السَّيِّدِ - إِلَى جَوَانِبِهِ العِلْمِيَّةِ الغَزِيرَةِ - مُشَارِكًا فِي الشَّعْرِ ، مُتَفَنَّئًا فِي الكِتَابَةِ ؛ وَهُوَ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْدُودًا فِي شِعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الأُولَى - مَعْدُودٌ فِي شِعْرَائِهِمْ وَكُتَابِهِمْ ؛ وَلَكِنَّ صُورَتَهُ الحَقِيقِيَّةَ مُثَبَّتَةً فِي جَوَانِبِ الثَّقَافَةِ وَالعِلْمِ فَإِنَّهُ بَلَغَ القِيَمَةَ .

وَكَنتُ - قَبْلَ نَشْرِ كِتَابِ الحَدَائِقِ هَذَا الَّذِي بَيْنَ يَدَيِ القَارِئِ الكَرِيمِ -

نشرت له كتاب : الإِنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المُسلمين في آرائهم^(١) ؛ واعتنيت ببعض شعره - الذي لم يُنشر ؛ ثم ضمنت إليه شعره المتفرق ، في المظان المختلفة ، وشرحته ، عسى أن أُصدِرَه محققاً مشروحاً ؛ إسهاماً في بعث تراث ابن السَّيِّد البَطْلَيْوُسي ووضْعاً لأشعار الأندلسيين بين أيدي الدَّارسين .

وكتابُ الحداثق الذي نشره اليوم معروفٌ مجهول .
هو معروفٌ لأنَّه نُشِرَ مرَّتين بعناية عالمين كبيرين^(٢) ؛

ومَجْهُولٌ - أو كالمجهول - لأنَّه مفقود من التداول منذ زمان بعيد من جهة ، ولأنَّه لم ينتشر على الوجه الذي يستحقُّه ، نَشْرُهُ لأهميَّته ، وفائدته ، وموقعه من البحث الفلسفي في التراث الأندلسي من جهة ، والبحث الفلسفي في تاريخ الفكر العربي عامة .

وكنْتُ مُنذُ اعْتَنَيْتُ بِشَخْصِيَّةِ ابن السَّيِّد وأثاره قرأتُ كتابِ الحداثق ، في طبيعته ، وعلَّقت عليها تعليقاتٍ هنا وهناك ممَّا يَدْخُلُ في طبيعةِ النصِّ وقرائته حتى حصلتُ على نسخةٍ مخطوطةٍ حَسنةٍ من الكتاب ، فرجعت إلى النُّسختين المَطْبُوعتين ، وجَعَلْتُها نُسْخاً ثانية . وأعدتُ تحقيقَ النصِّ على الوجه الذي يراه القارئ الكريم .

ولم أتدخَّل في حواشي النصِّ بأكثر من إثبات فروق النُّسخ ، إلا في مواضعٍ يسيرةٍ جداً لا تُحْتَسَب ، فالكتابُ ميسرٌ للقراء تيسيراً ، ومقربٌ تقريباً . واستغفرتُ عن ذلك بمقدِّمةٍ كتبها أستاذي وشيخُ جيلي وأجيالٍ سبقتني ولحقتني :
الدكتور عبد الكريم اليافي ؛ متكرماً متفضلاً ، أكرمه الله وأعزه ، وأدامه ؛

(١) صدرت منه الطبعة الثالثة في دار الفكر بدمشق : ١٩٨٧
(٢) وسنصف الطبعتين في مقدمة التحقيق ، مع صفة المخطوطة المعتمدة .

وأتبعتها بمقدمة لطيفة كان قدّم بها الشيخ محمد زاهد الكوثري للطبعة
القاهرة من : الحداائق . والشيخ الكوثري (١٢٩٦ هـ - ١٣٧١ هـ ،
١٨٧٩ م - ١٩٥٢ م) فقيه من علماء جامع الفاتح بالآستانة ؛ لجأ إلى مصر من اضطهاد
الكالميين (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م) واشتغل موظفاً في دار المحفوظات لترجمة ما فيها
من الوثائق التركية إلى العربية ، وكان يتقن العربية والتركية والفارسية
والجركسيّة . وألّف في موضوعات شتى من الفقه والتراجم والرجال والحديث ،
وكانت له مشاركات في الأدب ^(١) .

ونقلت ما كتبه - مختصراً - أستاذي الدكتور عمر فروخ رحمه الله وأوسع له
في الجنان ؛ فإنه مرّ بكتاب الحداائق ، وباين السيّد البطلّيوسي في كتابه : تاريخ
الفكر العربي ؛ (على الصفحتين ٦٠٥ - ٦٠٦) ؛ وكنت قد تلقّيت مع الجيل الذي
تتلذذ له في دمشق محاضرات مهمة في تاريخ الأندلس السياسي والحضاري ، وكان
- رحمه الله وأجزّل مثوّبته - قد عرّفنا بأشهر فلاسفة الإسلام في الأندلس قبل أن
يظهر كتابه الذي نقلتُ عنه بعددٍ من السنين .

وها هوذا كتاب الحداائق تقدّمه إلى المشتغلين بقضايا الفلسفة ، وعلم الكلام ،
والفكر العربيّ ، كما تقدّمه إلى محبّي التراث الأندلسي خاصة والتراث العربي
عامّة ؛

وأدعو الله تعالى أن ينفّع به ، وأن يهدينا سواء السبيل .

د . محمد رضوان الداية

دوما - دمشق : جمادى الثانية ١٤٠٨ هـ

شباط ١٩٨٨ م

(١) ترجمة الزركلي للشيخ الكوثري في الأعلام ٦ : ١٢٩

تقديم الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الدكتور مُحَمَّد رضوان الداية ، أستاذ الأدب الأندلسي وتقدیه بكلية الآداب في جامعة دمشق . وهو من أعلام الأساتذة والمُحَقِّقين في سورية ، أتجه خاصة - فوق تدريسه ونشاطه اللغوي والأدبي الواسع - إلى تحقيق كتب التراث الأندلسي ، فأصدر عدداً منها مرموقاً في اللغة والأدب والتاريخ . وها هوذا يُحَقِّق كتاب « الحدائق » لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي .

وهو كتاب ذو شأن في التراث الفلسفي العربي .

بحث المؤلف فيه قضايا فلسفية وميتافيزيائية وكلامية مهمة ، تناقلها الفلاسفة والصوفية والحكماء تناقلاً واسعاً ، وعرضوها في أساليب مختلفة تستغلّق تارة وتلوي تارة أخرى .

وقد استوعب العلامة ابن السيد البطليوسي تلك القضايا ، فعمد إلى شرحها شرحاً بسيطاً واضحاً لا لبس فيه ، وبدقة كافية ، حتى إذا قرأها طالب الحكمة والفلسفة استطاع أن يسلك كتب الصوفية المتأخرة المعقدة والكتب الفلسفية المشتبكة وعندة زاد من المعرفة يخوله أن يتفهم تلك القضايا ويتابع مؤلفيها متابعة مفيدة .

أهم تلك القضايا : مراتب الموجودات عن السبب الأول ، ومبدأؤها ومرجعها ، ومقايسة مبلغ ذات الإنسان بعد مماته بدرجة علمه في حياته ، وتشبيه تلك المراتب بمراتب الأعداد الصادرة عن الواحد الذي هو عندهم ليس بعدد ؛ ومسألة صفات الله : هل يقتصر فيها على وجه السلب أم يعتمد التشبيه ، وكذلك قضية معرفة الله تعالى نفسه ، ومسألة إحاطة علمه بالكلّيات أو

بالكليات والجزئيات ، وبقاء النفس الناطقة حية بعد الموت ؛ وكلها شؤون ذوات بال في تاريخ علم الكلام والميتافيزياء والفلسفة .

بيد أن العلماء لا يتورعون عن تجشم العقبات في البحث عن حلّ القضايا المعقدة وجلاتها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . وهم في بحوثهم هذه يرغّبون في بثها وشرحها لطلابهم ومريديهم ، ولكنهم يلزمون الحذر دُفعاً للاتهام ، وتحامياً للأقويل ، وتجنباً لاحتمال النبذ والتضييق :

وعندنا أن ابن السيد البطليوسي قد أقبل في كتابه « الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة » على عرض ما استوعبه من تلك المطالب عرضاً واضحاً سليماً ، مع الحذر الشديد من اتهامه بالمروق ؛ فهو يدافع عن حصيلة الفلسفة اليونانية التي أنسابت إلى آراء المفكرين المسلمين ، ويبرئ أرسطو وأفلاطون من القول بأزلية العالم وقدميه ، ويتلطف في عرض آرائها كما وصلت إليه ، ويحاول أن يكشف عما يراه من الحقائق ، على أن لا يحدد عن حدود شرع الله ما استطاع .

ولكن هذه الحقائق التي عرضها - مع فائدتها في جلاء القضايا الفلسفية - ربما لا توافق علماء الكلام الأشاعرة والماتريديّة ، الذين يعمدون فكرة الخلق بدلاً من الفيض ، ولا يرغّبون في تشبيه الواحد العددي بالواحد الميتافيزيائي ، إلى غير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى الإيضاح في عقيدة أهل السنة والجماعة .

وعندنا أن الاختلاف إن وقع فمرده إلى اختلاف وجهات النظر ، وإلا فإن التأمل الميتافيزيائي والديني إنما يعبران عن الحقيقة الواحدة . وفي بعض الأحيان تغدو التعبير اللفظي والرياضي تقريباً للفكرة من الأفهام .

هذا وقد دخلت تيارات الفلسفة اليونانية والمشرقية إلى الأندلس بدخول الكتب المؤلفة فيها ، ككتب الفارابي وابن سينا ورسائل إخوان الصفا ، وأمثالها .

وفي أواخر دولة المرابطين نفقت كتب المذهب المالكي وفروعه ، وعُملَ بِمُقْتَضَاهَا ، وَنُبِذَ مَسَاوَاهَا ، كما يُحَدِّثُنَا عبد الواحد المراكشي في كتاب : « المُعْجَب فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ » ، ووصل الأمرُ في زَمَنِ أمير المؤمنين ملك المرابطين أبي الحسن عَلِيِّ بْنِ يُوسُفِ بْنِ تَاشَفِينِ التَّقِيِّ الصَّالِحِ الْمُتَبَتَّلِ الَّذِي عَاصَرَ البَطْلِيَّوِيِّ « إلى تَقْبِيحِ عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَكَرَاهَةِ السَّلْفِ لَهُ ، وَهَجْرِهِمْ مَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ بَدِئَةٌ فِي الدِّينِ ، وَرَبِّمَا أَذَى أَكْثَرُهُ إِلَى اخْتِلَالِ الْعُقَائِدِ ، فِي أَشْبَاهِ لِهَذِهِ الْأَقْوَالِ ، حَتَّى اسْتَحْكَمَ فِي نَفْسِهِ (نَفْسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) بَعْضَ عِلْمِ الْكَلَامِ وَأَهْلِيهِ ؛ فَكَانَ يَكْتَبُ عَنْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ إِلَى الْبِلَادِ ، بِالتَّشْدِيدِ فِي نَبْذِ الْخَوْضِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ وَتَوَعُّدٍ مَنْ وُجِدَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ كُتُبِهِ » . حَتَّى إِنَّهُ أَمَرَ بِإِحْرَاقِ كُتُبِ أَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ لَمَّا دَخَلَتِ الْمَغْرِبَ » وَتَقَدَّمَ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ : مِنْ سَفْكِ الدَّمِ ، وَاسْتِصْالِ الْمَالِ ، إِلَى مَنْ وُجِدَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْهَا » .

وإذا كانت الأمور على هذه الحال في شأنِ عِلْمِ الْكَلَامِ - وهو من بَعْضِ الوجوه يُعْتَبَرُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ (كما يَعُدُّهُ ابْنُ خَلْدُونَ إِذَا كَانَ مُتَفَرِّعاً عَنِ الشَّرِيعَةِ) - وَفِي شَأْنِ كُتُبِ الْغَزَالِيِّ الَّذِي هَاجَمَ هُوَ الْفَلَسَفَةَ فِي كِتَابِهِ « تَهَافُتُ الْفَلَسَفَةُ » ، فَمَا بَالُنَا بِالْفَلَسَفَةِ نَفْسِهَا وَقَضَائِيهَا الْمُسْتَفَادَةَ مِنْ عُلُومِ الْيُونَانِ وَأَرَائِهِمُ الَّتِي قَدْ تَبَعَدَ عَنْ صَفَاءِ الدِّينِ وَبَسَاطَتِهِ ؟

وَأَيَّاماً كَانَ الْأَمْرُ ، فَإِنَّ الْأَعْتَابَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كِتَابِ « الْحَدَائِقِ » - عَلَى صِغَرِ حَجْمِهِ - مِنْ أَمِّ الْقَضَايَا الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَهَمُّ الْبَاحِثَ فِي الْإِمْتِنَانِ فِيهِ وَفِي التَّرَاثِ الْفَلَسَفِيِّ الْعَرَبِيِّ وَالْإِنْسَانِيِّ .

هَذَا وَإِنْ نَشَرَ كِتَابِ « الْحَدَائِقِ » مُجَدِّدًا وَمُحَقِّقًا يَقْتَضِي الشَّاءَ وَالتَّقْرِيطَ : لِأَنَّهُ تَيْسِيرٌ لِفَهْمِ تِلْكَ الشُّؤُونِ الْفَلَسَفِيَّةِ فِي التَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَوْثَلِ ، وَإِيضًا لِعَلَّاقَاتِ بَعْضِهَا يَبْغُضُ .

مقدمة الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله

يَتَصَوَّرُ الفلاسِفةَ الإِشراقِيَّونَ والصَّوْفِيَّةَ دائِرةً وهِيَّةً في ترتِيبِ المِوجُوداتِ الصَّادِرَةِ عَنِ المُبَدَعِ الحَكِيمِ جَلَّ جِلالُهُ ، وَيَعْتَبِرُونَ أَنَّها تَبَدُّئُ مِنْ نَقْطَةٍ مَرْجِعُها إِلِياها ، وَيَتَلَوْنَ في ذلِكَ قولَهُ تَعالَى : ﴿ كَما بَدَأُكُمْ تَعوُدُونَ ﴾ ، وَيُشِيرُ إِلِياها أَغْلَبَ مِنْ كِتابِ في « المُبَدَأُ والمَعادِ » مِنْ أمثالِ عَزِيزِ النَسْفِيِّ الباطِنِيِّ ، وَابنِ سِينا الحَكِيمِ المِشهورِ ، وَالصَّدرِ الشِّيرازِيِّ ، وَالصَّدرِ الشِّروانِيِّ ، وَصاحبِ « مَعْرِفتِنامَةِ » ، وَالبَرهانِ الكورانيِّ في « المُسَلَكِ المُخْتارِ في أوَّلِ صادرِ مِنْ الواجِبِ بِالاخْتِيارِ » ، وَكَذلِكَ الكِتابِ المُؤَلَّفَةِ في مَرابِيبِ الِوجودِ .

وَبينَ هؤِلاءِ مَنْ يَنحُو نَاحِيَةَ التَّناسُخِ في البِداءِ وَالعَوْدِ ، وَيَضِلُّ عَنِ الجادَّةِ ، وَيَعْتَصِصُ عَلى كَثيرِ مِنَ الباحِثِينَ وَجْهَ الصَّوابِ في تِلْكَ المُطالِبِ ، فيحْمَلُ بَعْضُهُم الكِلامَ عَلى غَيرِ مَحْمَلِهِ تَذرُعاً بِالِإِجمالِ القائِمِ فِيهِ إلى تَأوِيلِ باطلِ .

وَمِنْ ادِّعاءاتِهِم بِلِوَعِ ذاتِ الإِنسانِ بَعَدَ المَواتِ إلى حَيْثُ يَبْلُغُ عِلْمُهُ ، وَيَتَصَوَّرُونَ في ذلِكَ أيضاً دائِرةً وَهَمِيَّةً ، كما يَتَصَوَّرُونَ دائِرةً كَذلِكَ في الأَعْدادِ ، وَيَقولُونَ : إِنَّ العَقْلَ الجُزئِيَّ قَدِ يَتَصَوَّرُ بِصِورةِ العَقْلِ الكَلِّيِّ ، وَتِلْكَ مِباحِثُ تُوجِبُ التَّهْمِيدَ لها يا بَياضِ مَغزاهُم في العَقولِ العَشْرَةَ وَما إِلِياها .

وَمِنْ الأراءِ المَعزُوزَةِ إِلِياهِم : دَعوى أَنَّ البارِئِ جَلَّ شأنُهُ لا يَصِحُّ أَنْ يَوصَفَ بِصِفاتِ إِلاَّ عَلى طَرِيقِ السَّلْبِ ، وَأَنَّهُ تَعالَى لا يَعلَمُ إِلاَّ نَفْسَهُ - سَبْحانَ اللهُ عَنِ إِفْكِ الأَفْكاكِينَ - وَقَدِ سُئِلَ المُؤَلَّفُ عَنِ تِلْكَ المُشاكِلِ وَعَنِ البَرهانِ عَلى بقاءِ النَفْسِ الناطِقَةِ بَعَدَ المِوتِ .

وتلك - كما يقول المؤلف - مطالبٌ ضيقةُ المسالك ، وكثيراً ما تُؤدّي بسالكها إلى المَهالك ، وقد أجاب المؤلف في هذا الكتاب عن تلك الأسئلة العويصة ، إجابةً خريّت^(١) ، خبيرٍ بتلك المضائق ، بصيرٍ بوجوه الكشف عن الحقائق ، وسعى في ألاّ يحمِد في بيانه قيّد شعرةً عن حدودِ شرعِ الله بقدرِ ما استطاع ، ولباحثه صلةٌ وثيقةٌ بمباحث « اللُّمعة » وأجاد في بيان آراء الفلاسفة في تلك المطالب .

وقد صدق الفتحُ بن خاقان في « فلائد العقيان ومحاسن الأعيان » حيث قال في ترجمة المؤلف : « وله تحقُّقٌ في العلوم الحديثية والقديمة ، وتصرفٌ في طرقها القويمة ، ما خرج بمعرفتها عن مضارِ شرع ، ولا نكَب^(٢) عن أصلٍ للسنة ولا قرع ، وتأليفه صنوف ، وهي اليوم في الأذانِ شنوف » . كما صدق ابن خلكان وابن فرحون وغيرهما من المترجمين له حيث قالوا : « كان حسن التعليم ، جيّد التفهيم ، ثقةً ضابطاً » .

فها هو كتابه هذا ، تجده إليه المُنتهى في حُسن البيان وجودة التفهيم لتلك المسائل العويصة ، فيجعلها سهلة التفهيم لكلّ من ألقى إلى كلامه سمعةً ووجه إليه بصيرته .

وكتابه « التنبيه على الأسباب الموجبة للخلاف بين الأمة » لم يؤلف مثله في موضوعه على صغره ؛ وشرحه على سقط الزند يفضله ابن خلكان على شرح المعري نفسه عليه ، وكتابه في المُثلثات العربية إليه المُنتهى في الإجابة عندهم ، وله شرحُ أدب الكاتب المشهور بالاعتضاب ، وأحلل في شرح أبيات الجمل ، وإصلاح الخلل الواقع في الجمل ، وشرح ديوان المُتنبّي ، والمسائل المنثورة ، وشرح الموطأ ، وغير ذلك .

(١) الخريّت (على وزن سيكيت) : الدليلُ الحاذق .

(٢) نكَب عن الشيء : غَدَل عنه .

ومن شيوخه أبو عليّ العسّاني الحافظ ، كان عالماً باللغة والأدب متبحراً
فيهما ، فقيهاً ، وكان له يدٌ في الفلسفة والعلوم القديمة ، وله أشعارٌ رنانة ذُكرتُ
في قلائد العقيان ووفيات الأعيان نماذجٌ منها كافية .

وُلِدَ في بَطْلَيْوُس بفتحين فسكون سنة ٤٤٤ هـ ، وتُوفِّي ببلنسية في رجب
سنة ٥٢١ هـ ، وكتاها من بلادِ الأندلس ، والسَّيِّد بكسر السين وسكون الياء من
أسماء الذئب في اللغة ، سُمِّي به جَدُّه . سامحه الله وأعلى منزلته في الجَنَّة .

ملاحظات الدكتور عمر فروخ على كتاب الحقائق

هذا كتاب فيه استعراضٌ لعددٍ من وجوه الفلسفة القديمة : (الفيض والنفس وقواها) ووجوه الفلسفة في الإسلام : (في صفات الله والخلود) .

ويبدو أن ابن السيد يقبل بالقول بالفيض والعقول الثواني ، ويذكر أن ذلك كان مذهب أرسطاطاليس وأفلاطون وسقراط وغيرهم من مشاهير الفلاسفة وزعمائهم القائلين بالتوحيد . وهو يرفض رأي الفلاسفة المَجُوس (الدهرية) ويعده كُفراً مجتأً عند أرسطاطاليس لأن ذلك يوجب استحالة الباري ، أي : إنكار وجود الله (راجع كتاب الحقائق ، ص : ٤٦) ويبدو أيضاً أن البطلانيّ مقتنعٌ بنظرية العدد عند فيثاغوراس وصلتها بالفيض (الحقائق ، ص : ٣٩) ولعله عرف ذلك من رسائل إخوان الصفا . وهو ينكر أن يكون الله صورةً للعالم أو أنه مجموع الوجود على ما ذكره تاليس وزينون الإيلي مثلاً (الحقائق ، ص : ٨٥ - ٨٦) .

ثم هو ليس معتزلياً ، وليس خصماً لهم ؛ ولكنه أميل إلى الأشعرية في جعله صفات الله قديمةً ، وأن الاستدلال عليها يكون بالشرع ومما ذكره الله تعالى عن نفسه .

وكذلك نجد لابن السيد البطلاني ميلاً إلى قول أهل الظاهر (الحقائق ، ص : ٤٨ وما بعدها) .

من كتابه : تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ص : ٦٠٥ - ٦٠٦

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

مدينة بطليوس التي يُنسب ابن السِّيد إِلَيْهَا^(١)

مؤلف هذا الكِتَاب أبو محمد عبد الله بن السِّيد البَطْلِيُّوسِيَّ نسبةً إلى مَدِينَةِ بَطْلِيُوسٍ إحدى مَدَنِ الأَنْدَلُسِ الكُبْرَى - وهي اليوم عند الحُدُودِ الإِسبَانِيَّةِ البَرْتِغَالِيَّةِ ، وترسم باللغة الإِسبَانِيَّةِ Badajoz وتنطق باداخوس . وهي مدينةٌ كَبِيرَةٌ ، على مَدَى الحِمْكِ العَرَبِيِّ الإِسْلَامِيِّ فِي الأَنْدَلُسِ ، وتقع في مَنَحَى وادي أَنَه (أو وادي نانة) عند ملتقى رافده : سو . وكانت محسوبة من إقليم ماردة .

وَبَطْلِيُوسٍ مَدِينَةٌ مُحَدَّثَةٌ (عَرَبِيَّةٌ) بَنَاهَا عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليلقي أيام الأمير عبد الله (أحد أمراء دولة بني أمية في القرن الثالث) .

(١) ترجمة ابن السِّيد البَطْلِيُّوسِيَّ فِي أَزْهَارِ الرِّيَاضِ ٣ : ١٠١ (وفيه ترجمة مطولة نقلها عن كَتِيبِ خَاصِ بَابِنِ السِّيدِ لَابِنِ خَاقَانَ) وَقَلَائِدِ العَقِيَانِ ١٩٣ ، وَالصَّلَاةُ ١ : ٢٩٢ ، وَبَغِيَّةُ المَلْتَمَسِ ٣٢٤ (التَّرْجَمَةُ : ٨٩٢) وَقَالَ فِيهِ : وَكَانَ ثِقَّةً مَأْمُوناً عَلَى مَا قَتِدَ وَرَوَى وَقَتَلَ وَضَبَطَ (وَالْمَغْرِبُ فِي حُلِيِّ الْمَغْرِبِ ١ : ٣٨٥ ، وَالدِّيْبَاجُ المُنْذَبُ ١ : ٤٤١ ، وَنَفْحُ الطَّيْبِ ١ : ١٨٥ ، وَ ٦٤٣ - ٦٤٩ ، وَوَفِيَاتِ الأَعْيَانِ ٣ : ٩٦) وَوَصَفَهُ ابْنُ خَلْكَانَ بِالنَّحْوِيِّ وَقَالَ فِيهِ : كَانَ عَالِماً بِالأَدَابِ وَاللُّغَاتِ مَتَبَحِّراً فِيهَا ، مُقَدِّماً فِي مَعْرِفَتِهَا وَإِتْقَانِهَا ؛ وَكَانَ النَّاسُ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ وَيَقْرَءُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتَبِسُونَ مِنْهُ ، وَكَانَ حَسَنَ التَّعْلِيمِ جَيِّدَ الفَهْمِ ثِقَّةً ضَابِطاً . أَلْفَ كِتَابٍ نَافِعَةً مَتَمَّةً ... وَبِالْجَمَلَةِ فَكَلَّ شَيْءٍ يَتَكَلَّمُ فِيهِ فَهوَ فِي غَايَةِ الجُودَةِ) . وَمِرَاةُ الجِنَانِ ٣ : ٣٢٨ ، وَالبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ١٢ : ١٩٨ ، وَغَايَةُ النِّهَايَةِ ١ : ٤٤٩ ، وَبَغِيَّةُ الوَعَاةِ ٢ : ٥٥ ، وَشَدْرَاتُ الذَّهَبِ ٤ : ٦٤ ، وَشَجَرَةُ النُّورِ الزُّكِّيَّةِ ١ : ١٣٠ ، وَكَشْفُ الظُّنُونِ ٤٨ : ٦٠٢ ، وَهَدِيَّةُ العَارِفِينَ ١ : ٤٥٤ ، وَرُوضَاتُ الأَجْنَآتِ ٤٥٠ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ١٩ : ٥٣٢ (وَوَصَفَهُ بِصَاحِبِ التَّصَانِيفِ) .

عصر الطوائف على أيامه

وفي فترة دول الطوائف (نحو سنة ٤٠٠ هـ إلى نحو سنة ٤٨٤ هـ) قامت في بطليوس ومنطقتها دويلة لبني الأفتّس . فقد كانت في مُدّة الفتنة تحت ولاية سابور الفارسي أحد أعوان فائق الخادم مولى الحكم المُستنصر يساعده في إدارة المنطقة وزيره عبد الله بن محمد بن مسلمة . ولما توفّي سابور سنة ٤١٣ هـ - وترك ولدين - استبد بالأمر ابن الأفتّس : وهو من قبيلة مكناسة البربرية (على أنّهم نسبوا أنفسهم إلى قبيلة تَجيب العربية) وتلقب بالمنصور وكانت وفاته سنة ٤٣٧ هـ فخلفه ابنه محمد ، وتلقب بالمظفر (وكان عالماً فارساً شجاعاً) .

وفي مدة المظفر استولى فرناندو بن سانشو ملك قشتالة وليون على عدد من المُدن المهمة من الأراضي التي تحت نظر بني الأفتّس مثل مدينة مليقة (لاميجو) وبازو- وهما في شمال البرتغال - واستولى على مدينة قلمريّة سنة ٤٥٦ هـ وارتكب الفظائع في حق أهلها .

وتوفي المظفر سنة ٤٦١ هـ وخلفه ابنه يحيى الملقب بالمُنصور ، ولكنه توفي فجأة سنة ٤٦٤ هـ ، وحكم أخوه عمر- الذي كان ينافسه - وتلقّب بالمتوكل ووزر له ابن عبدون الأديب الشاعر المشهور .

وفي هذه المدّة كان يحكم طليطلة بنو ذي النون الذين أضعوا مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ ؛ استولى عليها ألفونسو السادس ملك قشتالة . واشتهر في بني ذي النون المأمون (توفي ٤٦٧ هـ) وخلفه حفيده يحيى القادر ، وكان ضعيفاً متهاوناً . وفي أيامه سقطت طليطلة في يد ألفونسو السّادس - حليفه القديم ! -

وكان في قرطبة بنو جهور استمروا من سقوط دولة بني أمية إلى أن داهمهم المعتمد ابن عبّاد فضمّ مملكتهم إلى مملكته الواسعة سنة (٤٢٢ هـ - ٤٦٣ هـ) .

وكانت إشبيلية عاصمة لدولة بني عبّاد أكبر دويلات الأندلس في مدّة الطوائف ، وكان أمراؤها يسعون إلى ضم الأندلس تحت رايتهم بوسائل مختلفة أهمها القوّة والحرب من جهة والمكاييد من جهة أخرى .

وكانت مدينة (السّهلة)^(١) ومنطقتها في يد بني رزين : حكمها هذيل بن عبد الملك (سنة ٤٠٣ - ٤٣٦ هـ) ثم ابنه أبو مروان عبد الملك (سنة ٤٣٦ - ٤٩٦ هـ) ثم يحيى بن عبد الملك وأنهى المرابطون دولتهم سنة ٤٩٧ هـ .

وكانت سرقسطة في يد بني هود الذين واجهوا مملكة أراجون وأمراء برشلونة .

وغرناطة في يد بني زيري (من البربر) وكان أكثر دويلات جنوبي الأندلس إمارات تحت نظرهم .

أما شرق الأندلس فكان تحت نظر الفتيان الصقلية وخلفائهم ؛ ثم آلت مدينة المرية إلى بني صّادح التّجيبين وتولى أمر المرية ومنطقتها أبو الأحوص معن بن صادح وتلقّب بالمعتصم (سنة ٤٣٣ - ٤٨٤ هـ) . وضبط بنوطاهر مدينة مرسية .

وحكم مجاهد العامري : دانية والجزائر الشرقية (الباليار) توفي سنة ٤٣٦ هـ ، وخلفه ابنه عليّ وتلقّب بإقبال الدولة ، ثم استولى المقدر بن هود صاحب سرقسطة على دانية سنة ٤٦٨ هـ ، وانتهت الدولة المجاهدية .

وحكم بلنسية في أول الفتنة مبارك والمظفر من موالى العامريين . ثم قدّموا عبد العزيز بن عبد الرحمن المنصور العامري (حكم من سنة ٤١٣ - ٤٥٢ هـ) وخلفه ولده عبد الملك (تلقّب بنظام الدولة ، وبالمظفر) ، ولكن المأمون بن ذي النون ضمّ بلنسية إليه سنة ٤٥٧ هـ وعهد بتدبيرها إلى أبي بكر محمد بن عبد العزيز الذي أعلن استقلاله في سنة ٤٦٧ هـ في ظرف موات . وأصهر سنة ٤٧٧ هـ إلى المؤمن من بني هود

(١) ويقال فيها شنترية الشرق تمييزاً لها عن شنترية الغرب : (وهي اليوم سانتا ماريا) .

فزوج ابنته من ابنه المستعين بن المؤمن . وتوفي أبو بكر سنة ٤٧٨ هـ وخلفه ابنه أبو عمرو عثمان بن أبي بكر . ولكن القادر بن ذي النون لم يلبث أن دخل بلنسية مؤيداً من الفونسو حليفه القشتالي ! على أن ابن جحّاف القاضي البلنسي تولى الأمر في المدينة سنة ٤٨٥ هـ وقتل القادر لخياسته البلاد وتآمره مع النصارى . واحتل السيد القمبيطور (الكبيادور) وهو مغامر آفاق قشتالي سفّك للدّماء سنة ٤٧٨ هـ . واسترجع المرابطون المدينة وما احتلّه ذلك المغامر سنة ٤٩٥ هـ .

وكان المرابطون قد دخلوا الأندلس سنة ٤٧٩ هـ مُنْجِدِينَ البلاد والعباد ، وكان نصر الزلافة الشهير ضد قوات ألفونسو وتحالف الدول الشمالية والقوات الأوربية التي أنجدهم في الحرب الصليبية الطويلة التي التفتت إلى الغرب الإسلامي كما التفتت إلى الشرق الإسلامي أيضاً .

ابن السيد وأسرته وشيوخه وأحواله

مؤلف الكتاب هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، واشتهر بلقب النحوي . ونعرف من أسرته أخاه أبا الحسن علي بن محمد ، وكان أسن من أبي محمد ، ويعدّ أحد أساتذته ، ولعلّه كان معلمه الأوّل وراعيه ، وموجهه ؛ وفي ترجمته أنه كان مقدّماً في علم اللغة ، وحفظها ، والضبط لها « وأخذ عنه أخوه أبو محمد كثيراً من كتب الأدب وغيرها » . وكان أبو الحسن قد وقع في قبضة ابن عكاشة والي قلعة رباح وبقي في اعتقاله حتى توفي قريباً من سنة ٤٨٠ هـ .

ولد أبو محمد في مدينة بطليوس سنة ٤٤٤ هـ ^(١) ؛ في هذه المدة القلقة من

(١) أصل أسرته من شلب في غرب الأندلس ؛ وأبوه هو الذي انتقل إلى بطليوس ، وليس له ذكر في كتب التراجم أو في أخبار ابن السيد ولده ؛ غير أن عنايته بأولاده - وعرفنا منهم اثنين - وتخرّجهم في فنون العلم يدلّ على التفات منه إلى الثقافة واهتمام بها ، وتوجيه لأولاده إليها . وكانّ عدم امتداد جذور أبي محمد بن السيد في بطليوس هو الذي هوّن عليه الاغتراب عنها نهائياً - بالإضافة إلى عوامل آخر -

الناحية التاريخية والسياسية والعسكرية والاجتماعية . وقضى طفولته وفتوته في هذه المدينة . وكانت بطليوس وناحيتها تحت نظر بني الأفطس كما ذكرت . وكان الحاكم وقتها المظفر محمد بن عبد الله بن الأفطس (حكم سنة ٤٣٧ - ٤٦١ هـ) وفي زمانه سقطت مدينة مليقة (لاميجو : ٤٤٩) ومدينة قلرية (سنة ٤٥٦ هـ) ونكب أهلها نكبة مروّعة على يد فرناندو ، وحاكمها سسندو (يسميه العرب ششند) وكان مُستعرباً (من نصارى الأندلس) خدم القشتاليين وأسرف في التنكيل والقتل والتشريد والسبي (راجع مثلاً : عصر الطوائف لمحمد عبد الله عنان : ٨٤ - ٨٦) ثم حكم المنصور (سنة ٤٦١ - ٤٦٤ هـ) ثم عمر الملقب بالمتوكل (سنة ٤٦٤ - ٤٨٧ هـ) . (راجع هذه التواريخ للمقارنة في معجم زامبادر ١ : ٨٩) .

وسقطت طليطلة سنة ٤٧٨ هـ وابنُ السَّيدِ البَطْلَيْوُسِيِّ في نحو الرابعة والثلاثين من عمره وكان نصر الزلاّقة سنة ٤٧٩ هـ وهو ابن خمس وثلاثين سنة .

فهو إذن شهّد مدّة دُول الطوائف في عِزِّ اضطراعها : وكانت دولة بني الأفطس مهاجمةً حيناً ومهاجمةً حيناً آخر وكانت مطامعهم ومطامعهم لا تتجاوز أن ينال أحدهم من أراضي صاحبه ومناطق نفوذه : يتشدّد بعضهم على بعض ويستخذون جميعاً أمام ملوك قشتالة وغيرها من الدول المعادية المُحاربة .

ولاشكّ في أن هذه الظروف القاسية كانت في جملة الحوافز التي حفزت ابن السيد على مُغادرة بَطْلَيْوُس إلى أكثر من مدينة وبلد : ونقرأ في شعره قوله من قصيدة :

فَيرْنا وما نلوي على متعَدِّرٍ إذا وَطَنٌ أَصْاكِ أوثْكَ أوطانُ !

على أن « ملوك » الطوائف وأمراءهم ومتغلبهم ، وإن اتّسم كثير منهم بالجهل أو البُعد عن الثقافة : قرّبوا العلماء والأدباء : إمّا معرفةً بحقوقهم ومكائنتهم ، وإمّا مباحاةً ورغبة في استكمال هالة السلطة والإدارة . على أن

تقريب العلماء والأدباء والشعراء لم يكن حكماً عاماً دائماً ، ولكنه غالباً .
ويختلف معنى (التقريب) أو (العناية) بين مكان وآخر ، وحامٍ وآخر من
حكام ذلك الزمان .

● وفي شيوخه من أهل بطليوس : أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي أحد
أئمة اللغة والأدب روى علماً غزيراً ، وألف كتباً نافعة وصل إلينا بعضها ؛ وهو
من عني بشرح الأشعار الستة . وهو توفي سنة ٤٩٤ هـ .

وفيه : أبو الحسن علي بن أحمد بن حمدون المعروف بابن اللطينة ، وكان
من القراء المشهورين ، وكانت وفاته سنة ٤٦٦ هـ في بطليوس .

وفي شيوخه أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي التميمي ، وهو
مشرقيٌّ دخل المغرب والأندلس ، وتوفي في طليطلة سنة ٥٠٥ هـ . وكان أبو الفضل
لقي أبا العلاء المعري وروى عنه ونقل معه كتبه ، وكان من أهل الأدب والعلم .

وفيه أبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيرواني من أئمة اللغة
والنحو والأدب وكانت له عناية بكتب أبي العلاء المعري ، وكانت وفاته بطليطلة
سنة ٤٧٢ هـ .

وفيه أبو الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجبّاني من العلماء الأدباء ، وأحد
علماء الحديث ، (توفي سنة ٤٩٨ هـ) .

ولاشكّ في تلقيه عن غير هؤلاء ، وروايته عن عدد كبير من رجال عصره .
ومعلوم أن القرن الخامس الهجري كان عصر ازدهار فكري وحضاري ، وزمان
قطف ثمرات طيبة من زرع الحضارة الأندلسية أيام الدولة الأموية . وأفاد ابن
السيد أيضاً من التراث الأندلسي الغزير في الفنون المختلفة إضافة إلى التراث
المشرقي الذي استمرت العناية بروايته جيلاً بعد جيل .

وحفظت كتب التراجم أسماء عدد من تلاميذته النابهن الذين نبغوا في اللغة والنحو والأدب والشعر وغير ذلك .

● وأدى تنقل ابن السّيد في بلدان الأندلس إلى وفرة أصحابه وأصدقائه وكثرة تلامذته ، وخصوصاً في المرحلة الأخيرة من حياته حين انتقطع إلى العلم والتعليم . وتدل أخباره الباقية وصلاته برجال عصره من ذوي الشأن السياسي ومن العلماء أنه أقام ممدداً مختلفة في عدد من عواصم الأندلس آنذاك : قرطبة والسهلة وبلنسية وطليلة وبطليوس وسرقسطة وغيرها . ولقي فيها الشيوخ في عملية مستمرة للرواية ، وبث العلم ، وتثبيت الصلّات مع طبقة الكتاب والوزراء ومن في منزلتهم . وله مقارضاة شعرية مع كبار رجال زمانه كابن خفاجة وابن العريف وابن لبون وابن أبي الخصال .

بعد مرحلة الطفولة والفتوة ، وفيها الدرس والطلب ولقاء الشيوخ للتعلم والحفظ والرّواية استوى ابن السيد على عوده ، واشتهر بين شباب عصره واجتذبه ما اجتذب غيره من قصور الحكام ودواوينهم ؛ ولخص ابن خاقان هذه المرحلة من حياته بقوله : « خَدَمَ الرِّياسات وعلم طرقَ السِّياسات ، ونفق وكسَد ، ووقف وتوسّد » .

ونعرف له صلة ببني ذي النون أصحاب طليطة ، ولقاءً بالقادر بن ذي النون (حكم في طليطة سنة ٤٦٧ - ٤٧٨ هـ ، ثم انتقل إلى بلنسية سنة ٤٧٨ - ٤٨٣ هـ) ، وله قصيدة في أزهار الرياض (٣ : ١٠٧) ذكر فيها مجلس الناعورة من قصر القادر ، وفيها :

يا مَنْظراً إنْ رَمَقْتَ بَهْجَتَهُ أذكرني حُسنَ جَنَّةِ الخُلْدِ

.. وصلة بابن رزين صاحب السهلة (وهي شنترية الشرق) . والمقصود بابن رزين هو أبو محمد هذيل بن عبد الملك ، ولقبه عز الدولة . واستمر في الحكم

من سنة ٤٣٦ - ٤٩٦ هـ أي نحو ستين عاماً كما يفهم من الحلة السّبراء لابن الأَبّار .
وكان ابن رزين هذا ينظم الشعر ، ولكن ابن رزين الذي أحسن استقباله تقم
عليه ، واستعطفه ابن السيّد عسى أن يعود إلى رضاه ، ويبدو أنّ ابن السيّد يؤس
من صفاء الحال معه ، فغادر إلى سرقسطة .

واتصل بالمُستعين بن هود صاحب سرقسطة وهو المستعين الثاني منهم ، واسمه
أحمد بن يوسف (حكم سنة ٤٧٨ - ٥٠٣ هـ) ويعرف أيضاً بالمستعين الأصغر .

ووصفت دولة بني هود بأنها كانت مركز حركة علمية وأديّة زاهرة ، وأنهم
كانوا من حماة العلوم والآداب .. « وقد اشتهرت سرقسطة في هذا العصر - بنوع
خاص - بالدراسات الفلسفية والرياضية ، وكان من أعلام أبنائها في هذا العصر
فيلسوف من أعظم فلاسفة الإسلام وعلماؤه هو أبو بكر بن محمد بن الصائغ
المعروف بابن باجّة .. « كما في عصر الطوائف : ٢٨٣ .

واتصل ببني عبد العزيز أصحاب بلنسية .

وبعد تطوّفه في بلدان الأندلس ، عاملاً في دواوين بعض أمراء الطوائف أو
في رعايتهم التي تعلو وتهبط ، وترتفع وتنخفض وتلسس القياد وتصعب ،
وتكون حسنة حيناً وخطيرة وعرة إلى درجة خطر الموت ... استقر في مدينة
بلنسية يؤلف ويدرس ويلتقي بأهل العلم وينشر مؤلفاته ، ويرويها عنه
تلامذته وأصحابه .

وكانت وفاته سنة ٥٢١ هـ وقد استقر حال بلنسية في ظل حكم المرابطين .

مؤلفاته

تناولت تأليف ابن السيّد أغراضاً شتى من اللغة والنحو والفقّه والأصول
والأدب والفلسفة والتاريخ ، وله رسائل وأشعار .

ووصل إلينا قَدْرٌ صالح من مؤلفاته ، وطَبِعَ أكثرها .

فمن كتبه الباقية : الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب ، طبع في مجلد واحد سنة ١٩٠١ م في بيروت ، ثم طبع في القاهرة في ثلاثة أجزاء .

والمحلل في شرح أبيات الجُمَل ، شرح فيه شواهد جُمَل الزَّجَاجي (وهو أبو القاسم الزجاجي : ت ٣٣٩) وكتابه الجُمَل مشهور ، كان له تداول كبير في الأندلس ، واعتنى به عدد من علماء الأندلس شرحاً وتعليقاً وتنبهياً . وطبع الكتاب في مصر (القاهرة ١٩٧٩ م) .

و إصلاح الخلل الواقع في شرح الجُمَل ، وطبع في بغداد سنة ١٩٨٠ م بعنوان : كتاب الخلل في إصلاح الخلل من كتاب الجُمَل .

وكان كتاب الجُمَل كتاباً مقرّراً يدرسه الطلبة قبل الاستبحار في دراسة النحو والتوسع فيه . وهو كتاب مُختصر في النحو . ووجد ابن السَّيد ملاحظات مختلفات قال في المقدمة : « ... وليس غَرَضِي أن أستوفي ما لم يذكره من أنواع هذا العلم وأقسامه ، وإنما غَرَضِي أن أثبته على أغلاطه والخلل من كلامه ؛ فإنه أصل أصولاً لاتصحّ مع الاعتبار ، واختار في أشياء ما ليس بالمُختار ، وربّما تناقض كلامه من حيث لا يَشْعُر ، وخفي عليه منه ما يبدو لغيره ويظهر .. » .

والفرق بين الحُرُوف الخمسة ، طَبِعَ أوّل مرة في القاهرة ١٩٨٢ م طبعة سقيمة جداً ، ثم طبع ع ثانية في دمشق ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

والمُثَلَّث ، كنت حَقَّقْتَه مع د . هـ . حمودي يوم كنت في وهران بالجزائر ، وبقي عنده زماناً على ذمّة النشر . ثم نُشِرَ في بغداد ، في جزأين ، تسبقه دراسة فيها طول ؛ ويبدو أن محققه نال به درجةً جامعية (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) وأجرى عليه د . حمودي مراجعةً مطوّلة كما أخبرني ولعلّه نشرها .

والانتصار مِمَّن عدل عن الاستيصار ، ردّ فيه على اعتراضات أبي بكر بن العربي . وطبع في القاهرة سنة ١٩٥٥ م في سفر صغير .

والإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ، طبع في القاهرة سنة ١٣١٩ هـ بعناية الشيخ عمر المحمصاني . ثم حقّقته وطبع في دار الفكر (انظر منه الطبعة الثالثة الصادرة سنة ١٩٨٧ م) .

والعدائق ، وهو هذا الكتاب الذي نشره .

وشرح سقط الزند ، طبع طبعة قديمة ، الأولى بتبريز كما ذكر بروكلمان سنة ١٢٧٦ هـ . والثانية في القاهرة سنة ١٩٤٠ م وضمّ إلى شرحه شرحان آخران : للخوارزمي والتبريزي .

وشرح على قصائد من لزوميات أبي العلاء ، طبعت في مصر في جزأين بعنوان : شرح المختار من لزوميات أبي العلاء سنة ١٩٧٠ م ، ثم ١٩٨٤ م .

ورسالة الاسم والمسمى ، وهي من رسائله (المسائل والأجوبة) طبعت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٤٧ ، الجزء الثاني ص ٣٣٠ - ٣٤٣ .

ونشر قطعاً من المسائل والأجوبة الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه : نصوص ودراسات عربية وإفريقية في اللغة والتاريخ والأدب ص ١٤٠ - ١٨٩ ، قال المحقق الفاضل ص ١٤١ : « .. وهو الكتاب الذي نُغنى بنشر مختاراتٍ منه في هذا المجموع ... » .

● وفي بعض المكتبات العامّة بعض رسائله وآثاره المخطّوطة مما ينتظر التحقيق والطباعة ، أمّا كتبه المفقودة فكثيرة ، وهي تدور في الفلك الذي ذكرناه ، وهو فلك واسع .

كتاب (الحدائق)

نشر كتاب (الحدائق) أول مرة المستشرق الإسباني آسين بلاثيوس مع ترجمة إسبانية للكتاب^(١)، وأصدره في عدد من مجلة (الأندلس AL ANDALUS) سنة ١٩٤٠ م.

ونوه آنجل جُنثالث بالُنشيا في كتابه : تاريخ الفكر الأندلسي ، (ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥) بصنيع بلاثيوس ، ونقل عنه قوله :

« إن كتاب الحدائق لا يمكن اعتباره مجرد كتاب سهل الاستعمال يُعِينُ جمهورَ غير المتخصصين في الفِلسفةِ على معرفةِ المبادئِ الفلسفيّةِ ؛ بل لهُ - بِفَضْلِ طابعهِ السَّهْلِ المُبَسِّطِ - أهميّةٌ أخرى ؛ وهي أَنَّهُ يعرض علينا صورةً صادقةً إلى حَدِّ كبيرٍ للحالة التي كانت عليها المعارفُ الفلسفيّةُ في إسبانية الإسلامِ في الفترة التي أُلِّفَ فيها . فقد كُتِبَ في الوقت نفسه الذي كان ابن باجّة^(٢) يُؤلِّفُ فيه كُتُبَهُ ، وقبل أن يفكر ابن طُفَيْل ، وابن رُشد في شرح مؤلفات فيلسوف اسطاغاريا (أي أرسطو) .

ومَّا يزيدُ في أهميته أن ابن السِّيد يوردُ فقراتٍ بنصّها من مُحاورة تِياؤس (طياوس) لأفلاطون ؛ وهذه الفقرات التي يوردُها ابنُ السِّيد من تلك المُحاورة لا تتفقُ مع نصّها اليوناني المعروف ، ممَّا يثيرُ مشكلاتٍ متعدّدة تتعلق بالمراجع الخاصّة بدراسة أفلاطون ، وهي مشكلاتٍ جديدة بأن يناقشها المتخصصون في

(١) تفضل الدكتور سيون حايك بترجمة مقدمة المحقق ووصلت متأخرة فجعلناها ملحقاً (انظر ص ١٤١-١٥٢)

(٢) ابن باجّة : أبو بكر محمد بن يحيى الصائغ (الملقب بابن باجّة) المتوفى ٥٣٣ هـ . أحد فلاسفة الأندلس ، أديب ، شاعر ، موسيقي ، طبيب ، رياضي ، من علماء الطبيعة . قال فيه الدكتور فرّوخ (تاريخ الفكر العربي) : « أول الفلاسفة العقليين على الحصر ، أخذ بالفلسفة منفصلة عن الدين ومعزولة عن العامة ثم أقامها على أساس من الرياضيات والطبيعيات ... وهو أشبه بالفارابي من الإسلاميين ، وبأرسطو من القدماء » .
- واشتهر له كتابه : تدبير المتوحد .

الفلسفة وفوق ذلك كله فإن كتاب الحدائق يُعتَبَرُ أوَّلَ محاولةٍ للتوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر اليوناني .

وفي سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م صدر (كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة) في القاهرة في سلسلة « كتب نادرة » التي كان يُصَدِّرُهَا السيد عَزَّةُ العطار الحُسَينِي - رحمه الله - ، وكان له ولع بنشر التراث الأندلسي . وأوكل مهمة مراجعة الكتاب والنَّظَرِ فيه والتَّقدِيمِ له ومقابلة المطبوع بالمخطوط^(١) إلى (صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري : وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية - سابقاً) .

وصدَّرَ في نحو سبعين صفحة من القطع الصَّغير .

وتقلنا في مقدِّمات طبعتنا للكتاب ما كتبه الشيخ الكوثري رحمه الله وأجزل ثوابه .

ولم تَخُلْ الطبعتان من أخطاء ، مرجعها في الأغلب إلى أمرين :

- طبعة النسخ التي اعتمد عليها المحققان الفاضلان .
- وكثرة أخطاء الطباعة .

وتبيِّن لي من مقابلة مخطوطتنا بالنسختين المطبوعة سقوط سُطورٍ أو كلمات ، من بَعْضِ الأصول : فكان للمقابلة فائدة تقديم نصٍّ حسن جداً .

والنسخة المخطوطة التي اعتمدنا عليها مدرجة في رسائل ابن السَّيد المعروفة بالمسائل والأجوبة . وتقع في ثمانٍ وثلاثين صَفْحَةً :

(١) جاء في خاتمة طبعة القاهرة مانصه : « وهنا يحذر بنا أن تقدم بجزيل الشكر لحضرة الأخ الأستاذ محمد نجيب أمين الخانجي صاحب المكتبة المشهورة لتكرمه علينا بنسخة خطية من هذا الكتاب راجعاً عليه نختنا الأصلية » . انتهى .

تبدأ بالبسملة واسم المؤلف : « قال الفقيه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي رحمه الله : سألتني أبان الله لك الخَفِيَّات ... » إلخ الرسالة . فلما انتهت الرسالة قال بالقلم نفسه الذي كتبت به : « كملت المسائل الفلسفية : والحمد لله كثيراً » .

وفي الورقة ٢٥ سطراً في المتوسط ، في السطر نحو ١٢ كلمة . وكتبت النسخة بخط أندلسي جيد مضبوط بالشكل . وميّز الناسخ العناوين بخط كبير وقلم غليظ .

والنسخة على جهة العموم حسنة الضبط والشكل . وندّ عن الكاتب (الناسخ) أمران :

أحدهما : أنه قد يُسْقِطُ سَطْرًا بنقلة عَيْن .
والثاني : أنه رَبَّيَا سها عن حرف بحرف أو شكل بشكل : على أن هذا الأمر الثاني قليل جداً ، بل هو نادر ، ولكن الأمانة اقتضت التنبيه عليه . على أن إسقاط بعض السطُور كان سيثوّه الرسالة لو لم نستدركها من المطبوع .

وجعلت النسخة المخطوطة أصلاً . وقابلت النصين المطبوعين عليها . ورمزت لما اتفقا عليه برمز (ط) فإذا ما اختلف شيءٌ ذو بال بينهما بينت طبعة بالاثيوس من طبعة مصر .

والخلاف بين مطبوعة مجلة الأندلس وطبعة القاهرة يسير جداً ، يرتد أكثره إلى الأخطاء المطبعية أو إلى ماتنبه إليه الشيخ الكوثري فأصلحَه من مخطوطة الخانجي أو بما هو لازم من قراءة النص وسياقه .

ولم أخرج عمّا في النسخة المخطوطة إلا في حالتين :

أ - إرجاع السطُور الضائعة إلى مواضعها ، تقلّأ عن المخطوط .

٢ - عند التصحيف الظاهر والخطأ البين الذي تصلحه النسختان المطبوعتان . ونَبَّهتُ إلى ما صَنَعْتُ في موضعه . وجعلتُ المعقوفتين [] دلالة على ما نقلته من المطبوع (ط) إلى المخطوط (خ) ، سواءً نَبَّهتُ على ذلك أم اكتفيت بالمعقوفتين رمزاً على النقل والاستدراك من المطبوع .

وأما ما سقط من المطبوع - وهو كثير - وورد في الأصل المخطوط فأشْرْتُ إليه باستعمال رقم بين قوسين () أذكره في أول الكلام الضائع من (ط) ثم أذكره نفسه ثانية في آخر الكلام .

ورقمتُ المواضع التي تحتاج إلى حواشٍ بأرقام متسلسلة تبدأ مع أول الباب وتنتهي في آخره .

فإذا بدأ الباب التالي بدأت بالترقيم من الرقم الأول (الواحد) ومضيتُ بأرقام متسلسلة حتى ينتهي الباب ، ويأتي بابٌ آخر ، فنبدأً ثالثةً وهكذا .

وصنعتُ للكتاب فهرس فنية تساعد القارئ الكريم على استخراج ما يطلبه من موادّ الكتاب ، وتيسر له الاستفادة ممّا فيه .

والحمد لله ربّ العالمين

و
قال الف

في السير النفس

بإي نأذ الله لنا الجيدان وعصمنا من الشبهات وأمرنا بتوحيدهم من العمل
فمن نصير تله فكلهم الجمل حتى نرى يعين أيت مرانيت المنقولات
أنت يعين جسمه مرانيت المسوسات عن معنى قول الحكيم أن تترتب
بأبو ذان من السبب الأول والحكي دائره ومهيته نبرالين نشطية وترجع
ومر جملها في صورة الأشتان وعن قولهم أن الأشتان ثبلة فإنه يعز
الحيث تبلغ علمه في كتابه وأنت ماله أيضا في كتيبه دائره ومهيته
في قولهم أن قوة العقل الخريه أن تتحد في صورة العقل السلي وعسى
في أن العزدة دائره ومهيته دائره الأشتان ودائره الأشمات
المبش ودائره الأشتان في الأشتان ودائره الأشمات ان صحت الأشتان
في أن يوصف هذا الأفتي كبري السلب وعن قولهم أن الأشمات تعلق الأشمات
المبش وما الأشمات على تعلق النفس التامية بعد الأشمات ودائره
في أن الأشمات ضيفه الأشمات وكثيرا ما تبغض فيما الجمل إلى الأشمات
في قولهم أن الأشمات تعلق الأشمات وأما علمي وأما علمي وبالله أعلم من الأشمات
في قولهم أن الأشمات تعلق الأشمات في قولهم أن الأشمات تعلق الأشمات

التمائم الأولى شرح قوله

التمائم الأولى شرح قوله
بإي نأذ الله لنا الجيدان وعصمنا من الشبهات وأمرنا بتوحيدهم من العمل
فمن نصير تله فكلهم الجمل حتى نرى يعين أيت مرانيت المنقولات
أنت يعين جسمه مرانيت المسوسات عن معنى قول الحكيم أن تترتب
بأبو ذان من السبب الأول والحكي دائره ومهيته نبرالين نشطية وترجع
ومر جملها في صورة الأشتان وعن قولهم أن الأشتان ثبلة فإنه يعز
الحيث تبلغ علمه في كتابه وأنت ماله أيضا في كتيبه دائره ومهيته
في قولهم أن قوة العقل الخريه أن تتحد في صورة العقل السلي وعسى
في أن العزدة دائره ومهيته دائره الأشتان ودائره الأشمات
المبش ودائره الأشتان في الأشتان ودائره الأشمات ان صحت الأشتان
في أن يوصف هذا الأفتي كبري السلب وعن قولهم أن الأشمات تعلق الأشمات
المبش وما الأشمات على تعلق النفس التامية بعد الأشمات ودائره
في أن الأشمات ضيفه الأشمات وكثيرا ما تبغض فيما الجمل إلى الأشمات
في قولهم أن الأشمات تعلق الأشمات وأما علمي وأما علمي وبالله أعلم من الأشمات
في قولهم أن الأشمات تعلق الأشمات في قولهم أن الأشمات تعلق الأشمات

الحقائق

في المطالب العالية الفلسفية العويصة
لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي الأندلسي

٤٤٤ - ٥٢١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهو حَسْبِي

قال عَبْدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّد بنِ مُحَمَّد بنِ السَّيِّدِ البَطْلِيُّوسِي^(١) ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ :
سَأَلْتَنِي - أَبَانَ اللَّهُ لَكَ الْخَفِيَّاتِ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، وَأَمَدَكَ بِنُورٍ
مِنَ الْعَقْلِ يَجْلُو عَنْ عَيْنِ بَصِيرَتِكَ^(٢) ظَلَمَ الْجَهْلُ ، حَتَّى تَرَى بِعَيْنِ لُبِّكَ
مَرَاتِبَ الْمَعْقُولَاتِ ، كَمَا رَأَيْتَ بِعَيْنِ جِسْمِكَ مَرَاتِبَ الْمَحْسُوسَاتِ - عَنْ
مَعْنَى قَوْلِ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ تَرْتِيبَ الْمَوْجُودَاتِ عَنِ السَّبَبِ الْأَوَّلِ يَحْكِي دَائِرَةً
وَهْمِيَّةً ، تَبْدَأُ مِنْ نَقْطَةٍ ، وَتَرْجِعُ إِلَيْهَا ، وَتَرْجِعُهَا فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ .

وعن قَوْلِهِمْ : إِنَّ الْإِنْسَانَ تَبْلُغُ ذَاتَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ إِلَى حَيْثُ يَبْلُغُ عِلْمُهُ فِي
حَيَاتِهِ ، وَإِنَّ عِلْمَهُ يَحْكِي أَيْضاً دَائِرَةً وَهْمِيَّةً .

وَعَنْ قَوْلِهِمْ : إِنَّ فِي قُوَّةِ الْعَقْلِ الْجُزْئِيِّ أَنْ يَتَّصِرَ بِصُورَةِ الْعَقْلِ
الْكُلِّيِّ .

وعن قَوْلِهِمْ : إِنَّ الْعِدَّةَ دَائِرَةً وَهْمِيَّةً كدَائِرَةِ الْآحَادِ وَالْعَشْرَاتِ ،
ودَائِرَةِ الْمئاتِ ، ودَائِرَةِ الْأُلُوفِ .

(١) انظر ترجمته ، ومصادرها في ذيل مقدمة التحقيق .

(٢) في ط : يجلو عن بصيرتك ظلمة ..

وعن قولهم : إِنَّ صِفَاتِ الْبَارِي - تَعَالَى - لَا يَصِحُّ أَنْ يُوَصَّفَ بِهَا إِلَّا
عَنْ طَرِيقِ السُّلْبِ .

وعن قولهم : إِنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى لَا يَعْرِفُ إِلَّا نَفْسَهُ .

وما البرهانُ على بقاء النفسِ الناطقةِ بَعْدَ الْمَوْتِ ؟

وهذه - أعزك الله - مَطَالِبُ ضَيْقَةِ الْمَسَالِكِ ، وَكَثِيرٌ مَا تُفْضِي
بِسَالِكِهَا إِلَى الْمَهَالِكِ ! وسأقولُ فيها بِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمِي ، وَأَحَاطَ بِهِ
فَهْمِي .

وباللهِ أَعْتَصِمُ مِنَ الْخَطَا وَالزَّلَلِ ، وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ التَّوْفِيقَ إِلَى الصَّوَابِ مِنْ
الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، [لَا رَبَّ غَيْرُهُ]^(١) .

(١) العبارة من : ط .

الباب الأول

في شرح قولهم : إن ترتيب الموجودات عن السبب الأول
يحكي دائرة وهمية مرجعها إلى مبدئها في صورة الإنسان

أقول^(١) - وبالله اعتصم - مخبراً عن أغراضهم ومقاصدهم - وإن كنت
استعملت على جهة التقريب ألفاظاً غير ألفاظهم - : إن الباري تعالى
- وهو^(٢) الذي يستمنه السبب الأول ، والعلة الأولى ، وعلة العلة - لما
كان هو الذي أفاض الموجودات وأعطى كل موجود منها قسطه من
الوجود ، ولم يجز في الحكمة أن تكون كلها في مرتبة واحدة ، صار
بعضها أرفع من بعض ، وبعضها أخط من بعض ؛ وصار وجود أقربها
مرتبة منه وساطة^(٣) لوجود [٢] [أبغدها ، فلا يوجد أبغدها منه إلا
بوجود أقربها منه وتوسطه]^(٤) .

ولست أريد بذكر القرب والبعد إثبات مكان ، لأن الباري

(١) في ط : فأقول .

(٢) في (ط مصر) : فهو .

(٣) في المطبوع : علة .

(٤) ما بين معقوفتين من (ط) فقط .

عَزَّ وَجَلَّ^(٥) لا يوصفُ بِالْمَكَانِ وَلَا بِالزَّمَانِ^(٦) ؛ وكذلك كُلٌّ مَعْقُولٍ لَا مَادَّةَ لَهُ . وَإِنَّمَا أُرِيدُ بِذِكْرِ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مَرَاتِبَهَا فِي الْوُجُودِ .

وَأَقْرَبُ مَا يُمَثَّلُ بِهِ وُجُودَ الْمَوْجُودَاتِ عَنْهُ تَعَالَى وُجُودَ الْأَعْدَادِ عَنِ الْوَاحِدِ ؛ وَإِنْ كَانَ الْبَارِئُ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ يُشَبَّهَ بِشَيْءٍ . وَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ ؛ وَلَكِنَّهُ عَلَى جِهَةِ التَّقْرِيبِ . فَكَمَا أَنَّ الثَّلَاثَةَ لَا تُوَجَّدُ عَنِ الْوَاحِدِ إِلَّا بِتَوَسُّطِ وُجُودِ الْاِثْنَيْنِ ، كَذَلِكَ^(٧) الْأَرْبَعَةُ لَا تُوَجَّدُ إِلَّا بِتَوَسُّطِ وُجُودِ الثَّلَاثَةِ^(٨) وَالْاِثْنَيْنِ ، وَلَا تُوَجَّدُ الْخَمْسَةُ إِلَّا بِتَوَسُّطِ وُجُودِ الْأَرْبَعَةِ وَالثَّلَاثَةِ وَالْاِثْنَيْنِ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَعْدَادِ .

وَلِهَذَا صَارَ وُجُودُ كُلِّ وَاحِدٍ عِلَّةٌ لَوْجُودِ مَا بَعْدَهُ مَعَ كَوْنِ الْوَاحِدِ عِلَّةً لَوْجُودِ جَمِيعِهَا ؛ إِذْ كَانَ لَا يَصِحُّ وُجُودُ الْأَبْعَدِ إِلَّا بِوَسَاطَةِ وُجُودِ^(٩) الْأَقْرَبِ . فَكَذَلِكَ^(١٠) يُمَثَّلُ بِالتَّقْرِيبِ وُجُودَ الْمَوْجُودَاتِ عَنِ الْبَارِئِ تَعَالَى لَا عَلَى الْحَقِيقَةِ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الشَّيْءَ لَا يُشَبَّهُ بِغَيْرِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ ، إِنَّمَا يُشَبَّهُ بِهِ فِي بَعْضِ مَعَانِيهِ وَصِفَاتِهِ . فَلَمَّا كَانَ وُجُودُ الْمَوْجُودَاتِ عَنْهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ

(٥) فِي (ط) : لِأَنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى .

(٦) قَوْلُهُ : « وَلَا بِالزَّمَانِ » سَقَطَ مِنْ (ط) .

(٧) فِي (ط) : « وَكَذَلِكَ » . وَالْوَجْهَ هُنَا حَذْفُ الْوَاوِ .

(٨) بِالْاِثْنَيْوَسِ : « وَجُودَ ثَلَاثَةِ وَالْاِثْنَيْنِ » ؛ وَهُوَ سَهْوٌ .

(٩) فِي ط : إِلَّا بِوُجُودِ الْأَقْرَبِ .

(١٠) فِي ط : وَكَذَلِكَ .

الصِّفَةِ كَانَ كَالْ كُلِّ مَوْجُودٍ عَلَى قَدْرِ مَرْتَبَتِهِ مِنْهُ فِي الْوُجُودِ : 1 فَكَانَ
 أَكْمَلَهَا وَجُوداً وَأَقْلَهَا نَقْصاً الْمَوْجُودِ الَّذِي هُوَ فِي مَرْتَبَةِ الْاِثْنَيْنِ تَمَثِيلاً
 وَتَقْرِيباً لِمَا قَدَّمَاهُ مِنَ الْعَدَدِ فِي ذَلِكَ ^(١١) . ثُمَّ الْثَالِثُ أَنْقَصَ مِنَ الثَّانِي ،
 ثُمَّ الرَّابِعُ أَنْقَصَ مِنَ الثَّالِثِ ، وَهَكَذَا لَمْ تَزَلْ الْمَوْجُودَاتُ تَنْقُصُ مَرْتَبَةً
 مَرْتَبَةً ^(١٢) عَلَى قَدْرِ بُعْدِهَا مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى أَنْقَصِهَا
 مَرْتَبَةً الَّذِي لَا أَنْقَصَ مِنْهُ ؛ إِذْ كَانَتْ مَرَاتِبُ الْمَوْجُودَاتِ مُنْتَاهِيَةً ، وَكَانَ
 إِثْبَاتُ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ بِالْفِعْلِ مِنَ الْمَحَالِ ، وَإِنَّمَا يَصِحُّ إِثْبَاتُهُ بِالْقُوَّةِ
 وَالْإِمْكَانِ ، ثُمَّ تَنَعَّكْسُ الْمَوْجُودَاتُ مُتصَاعِدَةً مِنْ أَدْنَاهَا مَرْتَبَةً إِلَى
 أَغْلَاهَا ، إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى أَكْمَلِ الْمَرَاتِبِ الَّتِي جَعِلَ ^(١٣) لَهَا بِالطَّبْعِ أَنْ
 تَبْلُغَهَا وَتَسْلُكَ فِي تَصَاعُدِهَا الْمَسْلُوكَ الَّذِي سَلَكَتْهُ فِي تَسَاقُطِهَا ؛ أَعْنِي أَنَّهَا
 لَا تَصْعَدُ إِلَى الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ إِلَّا بَعْدَ الْأُولَى ، وَلَا الرَّابِعَةَ إِلَّا بَعْدَ الثَّالِثَةِ .

وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى لَهُ الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى مِنَ الْوُجُودِ ، وَهُوَ
 مَتَّوْحِدٌ بِوُجُودِهِ لَا يَشْرِكُهُ فِي وُجُودِهِ شَيْءٌ ، كَمَا لَا يَشْرِكُهُ [٣] فِي شَيْءٍ
 مِنْ صِفَاتِهِ ^(١٤) .

(١١) أَثْبَتَ هُنَا مَا فِي (ط) . وَهَذَا هُوَ نَصُّ النِّسْخَةِ (خ) : « فَكَانَ أَكْمَلَهَا وَجُوداً أَقْلَهَا
 نَقْصاً فِي الْوُجُودِ فَكَانَ أَكْمَلَهَا فِي مَرْتَبَةِ الْاِثْنَيْنِ تَمَثِيلاً وَتَقْرِيباً كَمَا قَدَّمَاهُ مِنَ الْعَدَدِ فِي
 ذَلِكَ » .

- وَالَّذِي فِي مَطْبُوعَةِ الْقَاهِرَةِ هُنَا : « تَمَثِيلاً وَتَقْرِيباً لِمَا قَدَّمَاهُ مِنَ الْعَدَدِ فِي ذَلِكَ » .

(١٢) فِي ط : تَنْقُصُ مَرْتَبَةً عَلَى .

(١٣) فِي ط : حَصَلَتْ .

(١٤) فِي ط : كَمَا لَا يَشْرِكُهُ شَيْءٌ فِي صِفَاتِهِ .

وأوّل مَوْجُودٍ أَوْجَدَهُ وَأَبْدَعَهُ تَعَالَى : الْمَوْجُودَاتُ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الثَّوَانِي ، وَيُسَمُّونَهَا الْعُقُولَ الْمَجْرَدَةَ عَنِ الْمَادَّةِ ، وَهِيَ تِسْعَةٌ عَلَى عَدَدِ الْآحَادِ التَّسْعَةِ ؛ تَرْتَبَتْ فِي الْوُجُودِ عَنْهُ كَمَرَاتِبِ الْأَعْدَادِ : أَوَّلٌ ، وَثَانٍ ، وَثَالِثٌ ؛ إِلَى التَّاسِعِ الَّذِي هُوَ نِهَائِيَّتُهَا ، كَمَا صَارَ التَّاسِعُ مِنَ الْعَدَدِ نِهَائِيَّةَ الْآحَادِ .

وأوّلُ هَذِهِ الثَّوَانِي بِالنِّسْبَةِ ^(١٥) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي مَرْتَبَةِ الْإِثْنَيْنِ عَلَى وَجْهِ ^(١٦) التَّقْرِيبِ [وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَوْجُودَاتِ الْمُبْدَعَاتِ فِي مَرْتَبَةِ الْوَاحِدِ ، لِأَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى بَائِنٌ عَنِ الْمَوْجُودَاتِ] ^(١٧) ، غَيْرَ مَوْصُوفٍ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهَا ؛ وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ التَّسْعَةِ مَوْجُودٌ عَنِ الْبَارِيَّ تَعَالَى بِتَوْسُطِ وَجُودِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ التَّسْعَةِ .

[ثُمَّ تَلِي مَرْتَبَةَ هَذِهِ الثَّوَانِي التَّسْعَةَ] ^(١٨) فِي الْوُجُودِ مَرْتَبَةَ الْعَقْلِ الْمُوَكَّلِ بِعَالَمِ الْعَنَاصِرِ ؛ وَهُوَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ الْعَقْلَ الْفَعَّالَ ؛ وَهُوَ يُوَافِقُ الْمَوْجُودَاتِ الثَّوَانِي التَّسْعَةَ فِي أَنَّهُ عَقْلٌ مَجْرَدٌ مِنَ الْمَادَّةِ ^(١٩) مِثْلَهَا ، وَإِنَّمَا فَصَلُّوهُ مِنْهَا وَجَعَلُوهُ لَهَا ^(٢٠) مَرْتَبَةَ عَاشِرَةً عَلَى حِدَّةٍ لِيُوجِّهَيْنِ :

(١٥) فِي ط : وَأَوَّلُ النَّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(١٦) فِي ط : عَلَى جِهَةِ التَّقْرِيبِ .

(١٧) هَذَا السُّطْرُ مِنْ : ط : مُسْتَدْرَكٌ عَلَى خ .

(١٨) سَقَطَ الْكَلَامُ مِنْ : خ .

(١٩) فِي خ : مَجْرَدٌ عَنِ الْمَادَّةِ .

(٢٠) فِي ط : وَجَعَلُوا لَهُ مَرْتَبَةَ .

أحدهما : أَنَّ التَّوَانِي التَّسْعَةَ مُوَكَّلَةٌ بِالْأَفْلَاقِ التَّسْعَةِ ؛ وَالْعَقْلُ الْفَعَالُ
مُوكَّلٌ بِعَالَمِ الْعَنَاصِرِ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ هَذَا الْعَقْلَ الْفَعَالَ تَشْرِي قُوَّتُهُ فِي الْأَجْرَامِ
الْنَّاطِقَةِ الَّتِي دُونَ فَلَكِ الْقَمَرِ ، كَمَا يَشْرِي نُورُ الشَّمْسِ ؛ وَعَنْهُ يَحْصُلُ النُّطْقُ
فِي كُلِّ مَكُونٍ ، مُسْتَعِدٌّ لِقَبُولِ الْقُوَّةِ النَّاطِقَةِ . وَكُلُّ مَا تَجَوَّهَرُ مِنْ
الْمَوْجُودَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ فَهُوَ بِهِ مُلْحَقٌ^(٢١) . وَهَذَا الْمَعْنَى لَيْسَ بِمَوْجُودٍ فِي
التَّوَانِي .

وَذَكَرُوا أَنَّ فَيْضَ الْعُقُولِ الْمَجْرَدَةِ انْقَطَعَ عِنْدَ الْعَقْلِ الْفَعَالِ ؛ فَلَيْسَ
بَعْدَ مَرْتَبَتِهِ إِلَّا مَرْتَبَةُ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ ؛ وَإِنَّمَا وَجَبَ أَنْ يَنْقَطِعَ فَيْضُ
الْعُقُولِ الْمَجْرَدَةِ عِنْدَهُ لِأَنَّهُ اجْتَمَعَتْ فِيهِ قُوَى الْعُقُولِ التَّسْعَةِ كُلِّهَا ، فَصَارَ
مَبْدَأً لِمَا دُونَهُ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ كَمَا اجْتَمَعَتْ قُوَى الْآحَادِ التَّسْعَةِ مِنَ الْعَدَدِ
فِي الْعَشْرَةِ ، فَصَارَتْ بِذَلِكَ مَبْدَأً لِمَا عَدَاهَا مِنَ الْعَشْرَاتِ .

وَلِذَلِكَ جَعَلُوا هَذَا الْعَقْلَ الْمَجْرَدَ عَنِ الْمَادَّةِ فِي مَرْتَبَةِ الْعَشْرَةِ [مِنْ
الْعَدَدِ]^(٢٢) . أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَشْرَةَ فِي مَرْتَبَةِ الْوَاحِدِ ، وَالْعِشْرِينَ فِي مَرْتَبَةِ
الْأَثْنَيْنِ ، وَالثَّلَاثِينَ فِي مَرْتَبَةِ الثَّلَاثَةِ حَتَّى تَصِيرَ التَّسْعُونَ فِي مَرْتَبَةِ
التَّسْعَةِ ، فَتَنْتَهِي وُجُودَ الْعَشْرَاتِ فِي التَّسْعِينَ ، وَتَصِيرُ الْمِئَةَ فِي مَرْتَبَةِ
الْوَاحِدِ .

(٢١) فِي ط : فِهْرْتَبِهِ يَلْحَقُ .

(٢٢) مَا بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ مُسْتَدْرِكٌ مِنْ : ط .

وسنزيّد هذا بياناً عند ذكرنا دوائر العددي الوهميّة ؛ إن شاء الله تعالى .

[٤] ثم تلي مرتبة العقل الفعّال في الوجود مرتبة النفس ، وهي موافقة للعقول المجردة من المادّة^(٢٣) في أنها ليست بجسم ، كما أنّ تلك ليست أجساماً ؛ وهي مخالفة لها في أنها توجد مع الجسم وتقرن به^(٢٤) ، فأكسبها ذلك كدرأ وظلمة ؛ ولذلك صارت نفس الإنسان تجهل ذاتها ، ولا تراها حتى تستضيء بنور العقل .

وهي - في ذلك - بمنزلة رجل حصل في ظلمة ، فهو لا يرى جسمه ولا غيره ، فإذا أضاء له الجو ، وسرى في عينيه نور الشمس رأى حينئذ جسده وما حوله من الجسام ؛ كذلك النفس تمنعها ظلمة الجهل من رؤية ذاتها ، ورؤية الصور العقلية المجردة . فإذا أفاض العقل نوره رأت ذاتها وغيرها من المعقولات .

ولها مراتب كثيرة كما كان للعقول المجردة المذكورة مراتب . فمن الحكماء من رأى أنّ مراتبها اثنتا عشرة^(٢٥) : تسع للأفلاك ، وثلاث لما تحث فلك القمر ؛ وهي :

(٢٣) في ط : المجردة عن المادّة .

(٢٤) في ط : وتقرن به .

(٢٥) في ط : من رأى مراتبها اثنتي عشرة .

النَّفْسُ النَّبَاتِيَّةُ ؛
والنَّفْسُ الْحَيَوَانِيَّةُ ،
والنَّفْسُ النَّاطِقَةُ .

وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا خَمْسَ عَشْرَةَ مَرْتَبَةً : تِسْعٌ لِلْأَفْلَاقِ ، وَخَمْسٌ لِمَا
تَحْتَ فَلَكِ الْقَمَرِ ؛ وَهِيَ :

النَّفْسُ النَّبَاتِيَّةُ ؛ وَهِيَ أَدْنَاهَا مَرْتَبَةً ؛
وَفَوْقَهَا : النَّفْسُ الْحَيَوَانِيَّةُ ؛
وَفَوْقَهَا : النَّفْسُ النَّاطِقَةُ ؛
وَفَوْقَهَا : النَّفْسُ الْفَلْسَفِيَّةُ ؛
وَفَوْقَهَا : النَّفْسُ النَّبَوِيَّةُ .

فهذه ^(٢٦) أَرْبَعُ عَشْرَةَ مَرْتَبَةً ، وَالْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مَرْتَبَةً النَّفْسُ الْكَلْبِيَّةُ .
وَنَحْنُ نَذَكِّرُ خَوَاصَّ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ النُّفُوسِ وَفُصُولَهَا لِتَبْيِينِ ^(٢٧) صِحَّةِ
هَذَا التَّقْسِيمِ إِذَا فَرَعْنَا مِنْ هَذَا الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَنَرْجِعُ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ مِنْ مَرَاتِبِ الْمَوْجُودَاتِ فَنَقُولُ : إِنَّ الَّذِي يَلِي
مَرْتَبَةَ النَّفْسِ ^(٢٨) فِي الْوُجُودِ مَرْتَبَةَ الصُّورَةِ ، ثُمَّ يَلِي مَرْتَبَةَ الصُّورَةِ مَرْتَبَةَ

(٢٦) في ط : فهي أربع عشرة .

(٢٧) في طق : لتبيين . وفي بلاثيوس : لبيان .

(٢٨) قوله (النفس في) سقط من : ط .

الجَوْهَرِ الحَامِلِ لِلصُّورَةِ . [وَإِنَّمَا جُعِلَتْ مُرْتَبَةُ الصُّورَةِ قَبْلَ مُرْتَبَةِ الجَوْهَرِ
الحَامِلِ لِلصُّورَةِ]^(٢٩) بوجهين^(٣٠) :

أَحَدُهُمَا : أَنَا بَدَأْنَا^(٣١) مِنْ أَعْلَى مُرَاتِبِ المَوْجُودَاتِ مُنَحْدِرِينَ إِلَى
أَذْنَاهَا ، فَكَانَتْ الصُّورَةُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ قَبْلَ الجَوْهَرِ الحَامِلِ لَهَا . وَلَوْ
بَدَأْنَا مِنْ أَدْنَى مُرَاتِبِ^(٣٢) المَوْجُودَاتِ مُتَّصَاعِدِينَ إِلَى أَعْلَاهَا لَكَانَ الجَوْهَرُ^(٣٣)
الحَامِلُ لِلصُّورَةِ قَبْلَ الصُّورَةِ فِي الرُّتْبَةِ^(٣٤) .

وهذا الجَوْهَرُ^(٣٥) الحَامِلُ لِلصُّورَةِ صِنْفَانِ :

أَرْفَعُهَا الجَوْهَرُ الَّذِي يَحْمِلُ [صُورَةَ الأَفْلَاقِ وَمَا فِيهَا ، وَأَذْنَاهَا
الجَوْهَرُ الَّذِي]^(٣٦) يَحْمِلُ الصُّورَةَ الَّتِي تَحْتَ قَلْبِ القَمَرِ . وهذا [٥]
الجَوْهَرُ^(٣٧) الحَامِلُ لِصُورَةِ المَوْجُودَاتِ الَّتِي دُونَ قَلْبِ القَمَرِ يُتَمَوَّنُهُ الهَيُولَى
وَإِنَّمَا قُصِلَ هَذَا الجَوْهَرُ مِنَ الجَوْهَرِ الحَامِلِ لِصُورَةِ الأَفْلَاقِ وَمَا فِيهَا مِنْ

(٢٩) سقط من : خ ، واستدركناه من : ط .

(٣٠) في ط : لوجهين .

(٣١) في ط : لأن ابتداءنا .

(٣٢) كلمة (مراتب) سقطت من ط .

(٣٣) في ط : الجوهر الذي هو الحامل .

(٣٤) في ط : في المرتبة .

(٣٥) في ط : ولهذا الجوهر .

(٣٦) ما بين معقوفتين مستدرك من : ط .

(٣٧) في ط : فهذا الجوهر .

الكواكب ، وإن كنا قد اتفقا في أن كل واحدٍ منهما جوهراً حاملاً للصورة ؛ لأن صور الأفلاك^(٣٨) والكواكب ثابتة في موضوعاتها ؛ وهذا الجوهراً الآخر صورة غير ثابتة ، لأنه يلبس الصورة تارةً ويخلعها تارةً ؛ فهو مستحيلٌ متغيّرٌ بجمليته . وذلك إنما يتغيّر ويستحيلُ بالمكانِ وما فيه من اختلاف^(٣٩) النسب .

وهذه الهيولى^(٤٠) عندهم أخطأ الموجودات وأتقصها مرتبةً . ومنها [تبدأ^(٤١)] الموجودات الطبيعية بالترقي صاعدة نحو أعلى مراتبها بعكس حالها حين انحدرت إلى أدنى مراتبها . وإنما يكون^(٤٢) ذلك ليدوران^(٤٣) الأفلاك حولها وليباسبها للصورة التي كانت فيها بالقوة ، ثم تخرج يدوران^(٤٤) الأفلاك إلى الفعل كما شاء بارتئها - لا إله إلا هو - .

فأول صورة لبستها الهيولى صور^(٤٥) الأركان الأربعة التي هي :

(٣٨) في ط : حامل للصورة ؛ لأن صورة الأفلاك .

(٣٩) في ط : من الاختلاف اختلاف النسب .

(٤٠) في بالاثيوس : وهذا الهيولى ؛ وصوبها في : طبعة مصر .

(٤١) سقطت الكلمة من : خ .

(٤٢) في ط : وإنما كان ذلك ... وإلباسها للصورة .

(٤٣) في خ : كدوران .

(٤٤) في بالاثيوس : لدوران .

(٤٥) في ط : صور الأركان .

الأرض . والماء ، والهواء ، والنار : فكان^(٤٦) ذلك أول كمال لحقيها . ثم ليست صور المعادن بوساطة^(٤٧) صور الأركان ، ثم صور^(٤٨) النبات بوساطة صور المعادن وصور الأركان ؛ ثم صور الحيوان غير الناطق بوساطة صور النبات ، وصور المعادن وصور الأركان ؛ ثم صورة الإنسان الذي هو حيوان ناطق بتوسط صور الحيوان غير الناطق ، وصور النبات ، وصور المعادن وصور الأركان .

فكانت صورة الإنسان أكمل الصور الطبيعية ، ولا مرتبة بعدها إلا أن يتجوهر الإنسان بالمعارف ، فيلحق^(٤٩) بمرتبة العقولات المجردة من الهَيُولَى ، والمادة الشبيهة بالهَيُولَى ؛ أعني موضوع صور الأفلاك وما فيها . فإذا حصل بالتجوهر في مرتبة العقولات حصل في المرتبة التي منها انحطت النفس الناطقة إلى الأجرام وهي مرتبة العقل الفعال ؛ فصارت الموجودات بهذا الاعتبار كدائرة استدارت حتى التقى طرفاها ، وصار الإنسان آخر الدائرة الذي يرجع على أولها . إلا أن الإنسان عندهم لا يلحق عند تجوهره بأول الثواني الذي هو أعلاها مرتبة ، وإنما أقصى كماله أن يلحق بالمرتبة العاشرة ، وهي مرتبة العقل الفعال .

(٤٦) في ط : وكان .

(٤٧) في ط : بوساطة (في الفقرة كلها) .

(٤٨) في ط : ثم ليست صور المعادن ... ثم صور النبات .. ثم صور الحيوان .

(٤٩) في ط : فيلحق .

فَهَذَا مَذْهَبُ أَرِسْطَاطَالِيسِ (٥٠) وَأَفْلَاطُونِ (٥١) وَسَقْرَاطِ (٥٢) وَغَيْرِهِمْ مِنْ

(٥٠) أَرِسْطُو طَالِيسُ يَلْقَبُ بِالْمَعْلَمِ الْأَوَّلِ ، وَبِصَاحِبِ الْمَنْطِقِ ؛ أَعْظَمَ الْفَلَسَفَةِ وَأَبْعَدَهُمْ صَيْتاً . وَوُلِدَ سَنَةَ ٣٨٤ ق . م لِأَبِ طَيْبِ مَشْهُورٍ ؛ وَتَلَمَذَ لِأَفْلَاطُونِ إِلَى وَفَاتِهِ . وَتَوَلَّى تَرْبِيَةَ الْإِسْكَانْدَرِ الْمَقْدُونِيِّ مَدَّةً مِنْ حَيَاتِهِ . وَفَتَحَ فِي أَثِينَا مَدْرَسَةَ بِالْقَرْبِ مِنْ مَعْبَدِ أَبُولُونِ اللَّوْقِيُونِيِّ فَعَرَفَتْ بِاسْمِ اللَّوْقِيُونِ وَنَافَسَتْ أَكَادِمِيَّةَ أَفْلَاطُونِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهَا أُكْسِينُوقْرَاطُ ؛ فَدَرَسَ فِيهَا ١٢ سَنَةً . وَلَمَّا مَاتَ الْإِسْكَانْدَرُ سَنَةَ ٣٢٣ انْتَقَلَ أَرِسْطُو إِلَى بَلَدَةِ وَالِدَتِهِ خَلْقِيسَ ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ سَنَةَ ٣٢٢ ق . م عَنْ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً . وَلِأَرِسْطُو مَوْلُفَاتٌ كَثِيرَةٌ شَهِيرَةٌ فِي الْمَنْطِقِ وَالطَّبِيعَةِ ، وَالْمِيتَافِزِيْقَا وَالْأَخْلَاقِ وَالشَّعْرِ (رَاجِعْ مَقَالَةَ أَرِسْطُو فِي مَوْسُوعَةِ الْفَلَسَفَةِ ١ : ٩٨ - ١٢٢) وَقَالَ د . بَدْوِي ص ١٠٤ « .. وَهَكَذَا يَنْتَهِي أَرِسْطُو إِلَى التَّوْحِيدِ » بَعْدَ عَرْضِ مَطْوَلٍ لِآرَائِهِ .

(٥١) أَفْلَاطُونُ : فَيْلَسُوفٌ يُونَانِيٌّ مَشْهُورٌ وَوُلِدَ سَنَةَ ٤٢٨ ق . م تَلَمَذَ عَلَى سَقْرَاطِ . وَقَامَ بِرِحَالَاتٍ خَارِجَ الْيُونَانِ ، وَنَزَلَ صَقْلِيَّةَ مَدَّةً . وَعَادَ إِلَى أَثِينَا بَعْدَ ظُرُوفٍ صَعْبَةٍ ٢٨٧ - ٢٨٨ ق . م وَأَنْشَأَ الْأَكَادِمِيَّةَ (بِالْقَرْبِ مِنْ ضَرْيْحِ أَكَادِمِيُوسِ) وَمِنْ هُنَا سَمِّيَتْ الْأَكَادِمِيَّةُ ، فَكَانَتْ أَوَّلَ جَامِعَةٍ عَالِمِيَّةٍ فِي أَوْرِبَةِ ؛ وَدَرَسَتْ فِيهَا الْعُلُومُ الْمُخْتَلِفَةُ . وَكَانَ لِأَفْلَاطُونِ مَحَاوِرَاتٍ (وَصَلَتْ إِلَيْنَا) وَدُرُوسَ أَلْقَاهَا عَلَى الطَّلِبَةِ (لَمْ تَصَلْ) وَأَعْظَمَ تَلَامِذَتِهِ أَرِسْطُو طَالِيسُ الَّذِي التَّحَقَّقَ بِالْأَكَادِمِيَّةِ سَنَةَ ٣٦٧

وَرَحَلَ أَفْلَاطُونُ إِلَى صَقْلِيَّةٍ رَحَلَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ٣٦٧ وَ ٣٦١ وَعَادَ ٣٦٠ إِلَى أَثِينَا . وَمَاتَ سَنَةَ ٣٤٧ ق . م) قَالَ د . بَدْوِي فِي مَوْسُوعَةِ الْفَلَسَفَةِ ١ : ١٥٦ « وَقَدْ نَسَبَ إِلَيْهِ فِي الْعَرَبِيَّةِ كُتُبَ وَرِسَائِلَ عَدِيدَةً غَيْرَ (الْمَحَاوِرَاتِ) الْيُونَانِيَّةِ ؛ وَمِنْ الْمَقْطُوعِ بِهِ أَنَّهَا مَنْحُولَةٌ إِلَى أَفْلَاطُونِ ... » .

(٥٢) سَقْرَاطُ فَيْلَسُوفٌ يُونَانِيٌّ مَشْهُورٌ وَوُلِدَ نَحْوَ ٤٧٠ ق . م فِي أَثِينَا ، تَلَمَذَ لَهُ أَفْلَاطُونُ وَكَثِيرٌ غَيْرُهُ مِنْ مَشْهُورِي عَصْرِهِ . « وَلَمْ يُؤَلِّفْ سَقْرَاطُ كِتَاباً وَلَا تَرَكَ أَثْرًا مَكْتُوباً » وَعَرَفَتْ آرَاؤُهُ مِنْ كِتَابَاتِ أُكْسِينُوقْرَاطِ وَأَفْلَاطُونِ وَأَرِسْطُو . وَأَخَذَتْ عَلَى سَقْرَاطِ مَأْخِذٌ ، وَحَوِّكَتْ سَنَةَ ٣٩٩ ق . م وَحَكَمَ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ السُّمَّ فَاتَتْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . - قَالَ د . بَدْوِي إِنَّهُمْ حَاكَمُوهُ وَقَتَلُوهُ لِأَنَّهُ : جَلَبَ عَلَى نَفْسِهِ عِدَاوَةَ عَامَةِ الْقَوْمِ لِمَا دَابَّ =

مشاهير الفلاسفة وزعمائهم القائلين بالتوحيد .

وَأَمَّا فِلسَفَةُ الْمُجُوسِ^(٥٣) فَزَعَمُوا أَنَّ الْعُقُولَ الْمُفَارِقَةَ [٦] لِلْمَادَّةِ يَتَرَقَّى
بَعْضُهَا إِلَى مَرْتَبَةِ بَعْضٍ^(٥٤) حَتَّى يَصِيرَ أَعْلَاهَا فِي مَرْتَبَةِ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ
- تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَاهِلُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا - وَهَذَا الْقَوْلُ كُفْرٌ مَحْضٌ^(٥٤)
عِنْدَ أَرِسْطَا طَالِيَسٍ وَجَمِيعِ مَنْ ذَكَرْنَاهُ : لِأَنَّهُ يُوجِبُ اسْتِحْوَاطَ الْبَارِي ،
تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِمْ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَكَيْفَ صَارَ كَالِدَائِرَةِ ؟ وَإِنَّمَا لِحَقِّ^(٥٥) بِمَرْتَبَةِ الْعَقْلِ
الْفَعَالِ عَلَى رَأْيِ أَرِسْطُو : وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الْعَاشِرَةُ ، وَإِنَّمَا كَانَ حُكْمُهُ إِذَا كَانَ
كَالدَّائِرَةِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الثَّانِي^(٥٦) الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَوْجُودٍ بَدَأَ مِنْهُ الْفَيْضُ ؟
فَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْعَقْلَ الْفَعَالَ^(٥٧) هُوَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعَاشِرَةِ عِنْدَهُمْ ، وَهُوَ^(٥٧)

= عليه من بيان جهلهم ، وعلاقته بالقياس الذي صار ديكتاتوراً وبأفريطس الذي
أخضع أئينا لحكم الديماغوجية أي حكم العامة ؛ وما أشاعه أرسطوفانس وأبرزه في
مسرحية (السُّحْب) من أن سقراط لم يكن يؤمن بالمقائد الشعبية .

(٥٦) في ط : الفلاسفة المُجُوس . والفلاسفة المُجُوس : الدهرية ، كما فسرها الدكتور قُرُوح
(انظر مقدمات هذا الكتاب) .

(٥٣) في ط : تترقى أيضاً بعضها إلى مرتبة بعض .

(٥٤) في ط : كفر بحت .

(٥٥) في ط : وإنما نحن .

(٥٦) في ط : إلى الباري تعالى .

(٥٧-٥٧) ما بين هذين الرقنين سقط من : ط .

أَخِرُ الْمَعْقُولَاتِ الْمَفَارِقَةِ عِنْدَ انْحِدَارِ الْوُجُودِ ؛ وَهُوَ أَوْلَاهَا عِنْدَ تَصَاعُدِ الْأَشْيَاءِ ؛ فَإِذَا بَلَغَ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِيُّ تِلْكَ الْمَرْتَبَةَ كَانَ بِمَنْزِلَةِ رُجُوعِ أَحَدِ طَرَفِي الدَّائِرَةِ عَلَى الْآخَرِ^(٥٨) .

وَالْوَجْهَ الثَّانِي :

أَنَّ الْعَقْلَ الْإِنْسَانِيَّ لَيْسَ مَبْدُؤُهُ مِنَ الثَّوَانِي عِنْدَهُمْ ؛ إِنَّمَا مَبْدُؤُهُ مِنَ الْعَقْلِ الْفَعَالِ ، فَإِذَا عَادَ إِلَيْهِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الدَّائِرَةِ .

وَقَدْ وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَصِلَ بِهَذَا الْبَابِ ذِكْرَ خَوَاصِّ النَّفْسِ الْخَمْسِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا لِيَتَبَيَّنَ الْفَرْقُ بَيْنَهَا إِذْ كَانَتْ الْخَاصِّيَّةُ^(٥٩) قَدْ تَقَوَّمَ مَقَامَ الْفَصْلِ الْجَوْهَرِيِّ فِيمَا يَتَعَدَّرُ تَحْدِيدُهُ^(٦٠) .

خَوَاصُّ النَّفْسِ النَّبَاتِيَّةِ

وَتُسَمَّى الشَّهَوَانِيَّةِ

خَوَاصُّ هَذِهِ النَّفْسِ النَّبَاتِيَّةِ^(٦١) إِلَى الْغِذَاءِ وَطَلْبِهِ ، وَالْإِتِّدَادُ بِوُجُودِهِ إِذَا وَجَدْتُهُ ، وَالِاسْتِضْرَارُ بِفَقْدِهِ إِذَا فَقَدْتُهُ ، وَاسْتِدْعَاءُ الْمَوَاقِفِ مِنَ الْأَغْذِيَّةِ ، وَدَفْعُ الْمُخَالِفِ ، وَحِفْظُ الشَّيْءِ بِشَخْصِهِ وَنَوْعِهِ .

(٥٨) فِي ط : إِلَى الْآخِرَةِ .

(٥٩) فِي ط : الْخَاصَّةُ .

(٦٠) فِي ط : فَمَا تَعْدَى سَدَدَهُ .

(٦١) فِي ط : النَّزُوعُ .

أَمَّا حِفْظُ شَخْصِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ بِالغِذَاءِ ؛ وَأَمَّا حِفْظُ نَوْعِهِ فَبِالتَّوَلِيدِ .
وَيُسَمَّى هَذَا الحِفْظُ : التَّقْوِيمَ الطَّبِيعِيَّ ؛ وَلَهَا الهياكِلُ غَيْرُ اللَّحْمِيَّةِ ،
وَالأَغْضَاءُ المُتَشَابِهَةُ [الأجزاء]^(٦٢) وَلَهَا سَبْعُ^(٦٣) قَوَى :

جاذِبَةٌ ؛

وَمُمْسِكَةٌ ؛

وَهَاضِمَةٌ ؛

وَمَغْذِيَّةٌ^(٦٤) ؛

وَدَافِعَةٌ ؛

وَمَنْمِيَّةٌ ؛

وَمُصَوِّرَةٌ .

وَلَهَا مِنَ الشُّعُورِ وَالإِحْسَاسِ تَمْيِيزُ الجِهَاتِ السَّتِّ ، وَإِرْسَالُ العُرُوقِ
نَحْوَ المَوَاضِعِ النَّدِيَّةِ ، وَتَوَجِيهُ الفُرُوعِ وَالأَغْصَانِ^(٦٥) نَحْوَ المَوَاضِعِ
المُتَّسِعَةِ^(٦٦) ، وَالانْحِرَافُ عَنِ المَوَاضِعِ الضَّيِّقَةِ .

(٦٢) الكلمة من : ط .

(٦٣) في ط : ولها من القوى : جاذبة وممسكة ... الخ .

(٦٤) في ط : ودافعة وغاذية ... الخ

(٦٥) في ط : والأغصان .

(٦٦) في ط : المنبعثة .

خَوَاصُ النَّفْسِ الْحَيَوَانِيَّةِ

وَتُسَمَّى الْغَضَبِيَّةِ

خَوَاصُ هَذِهِ النَّفْسِ شَهْوَةُ النَّكَاحِ ، وَشَهْوَةُ الْأَنْتِقَامِ ، وَشَهْوَةُ الرِّيَاسَةِ ، [٧] وَالْغَلْبَةِ . وَلَهَا الْهِيَائِلُ اللَّحْمِيَّةُ وَالْدَّمَوِيَّةُ . وَقَدْ يُوجَدُ مِنْ هِيَائِلِهَا مَا لَا دَمَ لَهُ . وَلَهَا الْأَعْضَاءُ الْإِلِيَّةُ ، وَالْحَرَكََةُ الْإِرَادِيَّةُ الْاِخْتِيَارِيَّةُ ، وَلَهَا الْحَوَاسُ الْخَمْسُ .
ومنها ما يَنْقُصُهُ بَعْضُ الْحَوَاسِ .
ولها اللَّذَّةُ وَالْأَلْمُ .
وَيُوجَدُ^(٦٧) لِبَعْضِهَا التَّخِيلُ وَالْوَهْمُ .

خَوَاصُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ

وَهِيَ النَّاطِقَةُ^(٦٨)

خَوَاصُ هَذِهِ النَّفْسِ : الرُّؤْيِيَّةُ^(٦٩) ، وَالْفِكْرُ ، وَمَحَبَّةُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ،
ولها الْهِيَائِلُ الْمُنْتَصِبَةُ ، وَالْعَمَلُ بِالْيَدَيْنِ^(٧٠) .

(٦٧) في ط : فيوجد .

(٦٨) في ط : وتسمى الناطقة .

(٦٩) في ط : الرؤية .

(٧٠) في ط : بالقدر .

خَوَاصُ النَّفْسِ الْحِكْمِيَّةِ الْفَلْسَفِيَّةِ

خَوَاصُ هَذِهِ النَّفْسِ مَحَبَّةُ الْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ^(٧١) الَّتِي لَا يَزِيدُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنَ الْوَقُوفِ عَلَى حَقَائِقِهَا فَقَطْ ، وَالْحِرْصُ عَلَى مَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ وَعِلَلِهَا ، وَالاسْتِدْلَالُ بِظَوَاهِرِ الْأُمُورِ^(٧٢) عَلَى بَوَاطِنِهَا ، وَمَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْوُجُودِ ، وَكَيْفَ انْبَعَثَتْ عَنِ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَيْفَ انْبَعَثَتْ^(٧٣) بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ يَمَا سَرَى^(٧٤) فِيهَا مِنْ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي حَصَلَتْ لِكُلِّ مَوْجُودٍ ذَاتٍ يَنْفَصِلُ بِهَا مِنْ ذَاتِ مَوْجُودٍ آخَرَ .

وَبِهَا يَكُونُ وُجُودُ الصُّورِ فِي الْهَيُولَى ، وَفِي الْمَوْضُوعِ الشَّبِيهِ بِالْهَيُولَى ، وَهُوَ الْجَوْهَرُ الْحَامِلُ^(٧٥) لِصُورِ الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ . وَهَلِ الْعَالَمُ قَدِيمٌ أَوْ مُحَدَّثٌ ؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَزَلِيِّ وَالْمُحَدَّثِ ؟

وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَزَلِيِّ الْمَطْلُوقِ ، وَالْأَزَلِيِّ الْمُضَافِ ؟

وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُبْدَعِ وَالْمَكُونِ ؟

وَكَيفَ صَارَ الْمُبْدَعُ وَاسِطَةً بَيْنَ الْأَزَلِيِّ وَالْمَكُونِ ؟

(٧١) فِي ط : الْعُلُومِ الْفَلْسَفِيَّةِ .

(٧٢) فِي ط : بِظَوَاهِرِ الصُّورِ .

(٧٣) فِي خ : انْبَعَثَتْ .

(٧٤) فِي ط : بَعْضُهَا عَنِ بَعْضٍ لِمَا سَرَى فِيهَا وَحْدَانِيَّةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى حَصَلَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ ذَاتٍ يَنْفَصِلُ بِهَا مِنْ ذَاتِ مَوْجُودٍ آخَرَ .

(٧٥) فِي ط : الْحَامِلُ .

وهل خالق العالم واحدٌ أو أكثر من واحد ؟
 وإقامة البراهين على أنه لا يصح أن يكون إلا واحداً لا يشبه شيئاً ولا
يشبهه شيء .

وما الحكمة في وجود الأشياء على ماهي عليه ؟

وما المكون منها وما المبدع ؟

وما الفرق بين الفاعل على الحقيقة والفاعل على المجاز ، والفاعل
المطلق^(٧٦) [وما الحكمة]^(٧٧) في دوران الأفلاك حركةً مستديرةً غير
مستقيمة ؟

وما الواجب ، وما الممكن^(٧٨) ، وما الممتنع ؟

وكيف صار ما فوق الأربعة الأركان من حيز الواجب وما تحت
الأركان^(٧٩) من حيز الممكن ؟

وما الموجودات التي أوتيت كمالها في جواهرها وأفعالها ؟

وما الموجودات التي لم تؤت كمالها لا في جواهرها ، ولا في أفعالها ،
فهما طرفان ؟

(٧٦) في ط : والفاعل على الإطلاق .

(٧٧) ما بين معقوفتين مستدرك من : ط .

(٧٨) في ط : وما الواجب ، والممكن ، وما الممتنع .

(٧٩) في ط : وما تحت الأفلاك .

وما الموجودات^(٨٠) التي أُوتيتُ كمالها في جواهرها ولم تُؤتَ كمالها في أفعالها [٨] فصارتُ متوسطةً بينَ الطرفين ؟

ولمَ سَكَنَ الصَّنْفُ الأوَّلُ فلمَ تَكُنْ لَهُ حَرَكَةٌ^(٨١) ، وَتَحَرَّكَ الصَّنْفَانِ الآخِرَانِ ؟

وما الحِكْمَةُ في وُجُودِ النَّوَامِيسِ^(٨٢) والنُّبُوتِ في عَالَمِ الكَوْنِ والفساد ؟

وما الفَرْقُ بَيْنَ النُّبُوءِ والسَّحْرِ ؟ والكهانةِ والفلسفةِ ؟

وكَيْفَ تَفِيضُ قُوَّةِ الوَحْيِ على الأنبياءِ ؟

وما الفَرْقُ بَيْنَ الإنسانِ الَّذِي يُوحى إِلَيْهِ وَالَّذِي لا يُوحى إِلَيْهِ ؟

ولمَ صَارَ الإنسانُ مأموراً مِنْهُياً دونَ غَيْرِهِ ؟

ولِمَ سَمِّيَ عالِماً صَغِيْراً ، وَسَمِّيَ العالِمُ إنساناً كَبِيراً^(٨٣) ؟

وما السِّيَاسَةُ ؟ وَكَمْ أنواعُها ؟

فَهَذِهِ الأُمُورُ كُلُّها ؛ مِنْ خَاصَّةِ النَّفْسِ الفَلَسَفِيَّةِ [أَنْ تُعْرِفَها ؛

(٨٠) في ط : واللوجودات .

(٨١) في ط : « ولمَ لم يكن للنصف الأول حركة . ويتحرك النصف الآخر ؟ » وفي حاشية

(مط) يعني بالنصف الأول : ما فوق العقل الفعال ، وبالثاني : ما دون العقل

الفعال .

(٨٢) في ط : وما الحكمة في النواميس .

(٨٣) في ط : ولم يُسَمَّ ... وَيُسَمَّى .

بَعْضُهَا [٨٤] عَلَى جِهَةِ التَّصَوُّرِ ، وَبَعْضُهَا عَلَى جِهَةِ التَّصَدِيقِ (٨٥) مِنْ غَيْرِ
تَّصَوُّرٍ ؛ وَلَكِنْ لَيْسَتْ كُلُّ نَفْسٍ تَتَعَاطَى الفَلَسَفَةَ يَتَهَيَّأُ لَهَا أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ
كُلَّهُ ، وَلَكِنْ تَعْرِفُ بَعْضَهُ .

وَإِنَّا تَتَهَيَّأُ مَعْرِفَةَ هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَى كَمَا لَهَا لِلنَّفْسِ الَّتِي اتَّفَقَ لَهَا فِي
فِطْرَتِهَا وَكَوْنِهَا أَنْ فُطِرَتْ وَفِيهَا (٨٦) اسْتِعْدَادًا لِقَبُولِ ذَلِكَ ، وَكَانَتْ هَاجِرَةً
لِلذَاتِ مُمَيَّنَةً لِلشَّهَوَاتِ ، زَاهِدَةً فِي الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ ، مُجِبَّةً لِلخَيْرِ
وَأَهْلِهِ ، مُبْغِضَةً لِلشَّرِّ وَأَهْلِهِ ، مُرْتَبِطَةً بِالنَّوَامِيسِ ، مُكْتَسِبَةً لِلْفَضَائِلِ ،
مُطْرِحَةً لِلرَّذَائِلِ ، قَدْ اجْتَمَعَ لَهَا الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ ؛

فَهَذَا هُوَ الْفَيْلَسُوفُ الْحَقُّ عِنْدَ أَرِسْطُو (٨٧) ، وَأَفْلَاطُونُ ، وَزَعَاءُ
الْفَلَّاسِفَةِ .

وَمَنْ لَمْ (٨٨) يَكُنْ عِنْدَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَلَيْسَ بِفَيْلَسُوفٍ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ
أَرِسْطُو (٨٩) : لَيْسَ الْغَرَضُ أَنْ تَعْلَمَ فَقَطْ ، وَإِنَّا (٩٠) الْغَرَضُ أَنْ تَعْلَمَ
وَتَعْمَلَ ، وَتَكُونُوا أُخْيَارًا فَضْلًا مُرْتَبِطِينَ بِالنَّوَامِيسِ .

(٨٤) ما بين معقوفتين مستدرك : من ط .

(٨٥) في ط : التَّحْقِيقُ .

(٨٦) سقط من ط عبارة : أَنْ فُطِرَتْ وَفِيهَا .

(٨٧) في ط : أَرِسْطَا طَالِيسِ

(٨٨) في ط : فَن لَمْ ..

(٨٩) في ط : أَرِسْطَا طَالِيسِ

(٩٠) في ط : إِنَّا .

وقال : اَفْتَلُوا مَنْ لَا دِينَ لَهُ .

وقال أَفْلاطُونُ : من أَرَادَ قِرَاءَةَ الفَلْسَفَةِ فَلْيُطَهِّرْ أَخْلَاقَهُ مِنَ الرَّذَائِلِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَعَلَّمُ الفَلْسَفَةَ الطَّاهِرَةَ مِنْ كَانَ نَجِسًا ؛ كَمَا لَا يُمَكِّنُ أَحَدٌ^(٩١) أَنْ يَرَى وَجْهَهُ فِي مَاءٍ كَدِيرٍ ، وَمِرْأَةٍ صَدِئَةٍ .

خَوَاصُّ النُّفْسِ النَّبَوِيَّةِ

خَوَاصُّ هَذِهِ النُّفْسِ الشَّرِيفَةِ تَلْقَى الوَحْيَ وَالْإِلْهَامَ ، وَالِاتِّصَالَ بِالعَقْلِ الفَعَّالِ ، وَتَقْوِمُ سَائِرِ النُّفُوسِ المُنْحَرِفَةِ عَنِ الحَقِّ ، وَتَسُدِّدُ الْإِنْسَانَ حَتَّى يَفْعَلَ مَا يَنْبَغِي ، عَلَى الوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي مِنَ الوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي مِنْ أَجْلِ مَا يَنْبَغِي ، فِي الوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي ؛ وَإِكْمَالَ الفِطْرِ النَّاقِصَةِ بِوَضْعِ السُّنَنِ وَالسَّوْعَظِ وَالتَّذْكِيرِ ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ ، وَالِإخْبَارِ بِالأَشْيَاءِ الَّتِي لَيْسَتْ فِي قُوَّةِ النُّفْسِ [٩] الفَلْسَفِيَّةِ أَنْ تَعَلَّمَهَا ؛ لِأَنَّ النُّفْسَ الفَلْسَفِيَّةَ إِنَّمَا تَتَعَاطَى النِّظَرَ فِي الكَلِمَاتِ خَاصَّةً ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ أَفْلاطُونُ :

نَحْنُ عَاجِزُونَ عَنْ فَهْمِ مَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرَائِعُ . وَإِنَّمَا نَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ يَسِيرًا ، وَنَجْهَلُ كَثِيرًا . وَلِذَلِكَ كَانَ أَرِسْطُو يَأْمُرُنَا بِالتَّسْلِيمِ لِمَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرَائِعُ ، وَيَأْمُرُنَا بِتَأْدِيبِ مَنْ تَعَرَّضَ لِتَعْذِيبِ^(٩٢) أَوَامِرِهَا وَنَوَاهِيهَا وَتَعَاطِي الخَوْضِ فِيهَا .

(٩١) فِي خ : أَحَدًا .

(٩٢) فِي ط : كَانَ أَرِسْطُو يَأْمُرُ بِالتَّسْلِيمِ لِمَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرَائِعُ ، وَيَأْمُرُ بِالتَّأْدِيبِ لِمَنْ تَعَرَّضَ لِتَعْذِيبِ أَوَامِرِهَا ..

وهذه النفسُ أشرفُ النفوسِ التي في عالمِ الأركانِ ، وأعلىها ، وهي السائسةُ المدبّرةُ لسياسةِ النفوسِ ؛ ولا يتفقُ أن تُوجدَ هذه النفسُ الشريفةُ إلا في ذوي الفِطْرِ الكاملةِ .

وهذه النفسُ لا تحتاجُ إلى اكتسابِ المعارفِ والعلومِ بالمقاييسِ^(٩٣) والمقدماتِ كما تحتاجُ النفسُ الفلسفيّةُ ؛ لأنَّ المقاييسَ العلميّةَ إنّما هي قوانينٌ وضعها ذوو الفِطْرِ الكاملةِ تسديداً وتقويماً لذوي الفِطْرِ الناقصةِ . فإذا اتَّفَقَ للإنسانِ في أصلِ مولدهِ أن يُعطى فِطْرَةً كاملةً استغنى عن تلكِ المقاييسِ ووجدَ الأمورَ العقليّةَ كأنّها مُصوَّرةٌ في نفسهِ .

وكما أنّا نجدُ في الفِطْرِ^(٩٤) الإنسانيّةِ فِطْرًا في نهايةِ النقصِ قريبةً من فِطْرِ البهائمِ كذلك^(٩٥) لا محالةً أن نجدَ فيها فِطْرًا في نهايةِ الكمالِ قريبةً من فِطْرِ الملائكةِ ؛ فتكونُ هذه الفِطْرُ^(٩٤) لا تحتاجُ إلى تقويمٍ بالمقاييسِ العلميّةِ كما لا تحتاجُ الملائكةُ^(٩٦) بل يكفيها أقلُّ إشارةٍ وأيسرُ عبارةٍ ، ويكونُ اللهُ - تبارك وتعالى - قد أكملَ هذه الفِطْرُ^(٩٤) في أصلِ خَلْقِها لِتَسُوسَ^(٩٧) العالمَ بِوَساطَتِها .

(٩٣) في ط : وهذه النفس لا تحتاج في اكتساب المعارف والعلوم إلى المقاييس ، كما تحتاجه النفوس الفلسفيّة .

(٩٤) في ط : في الفِطْرَة .

(٩٥) في ط : فكذلك .

(٩٦) ما بين معقوفتين من : ط .

(٩٧) في : ط : ليسوس العالم بواسطتها .

وهذا يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ النُّبُوَّةُ إلهاماً لا اكتساباً .

خَوَاصُّ النَّفْسِ الكُلِّيَّةِ^(٩٨)

مَرْتَبَةٌ هَذِهِ النَّفْسِ الكُلِّيَّةِ^(٩٩) عِنْدَ مَنْ أَثْبَتَهَا مِنَ الفَلَسِيفَةِ تَحْتَ أَفْقِ العَقْلِ الفَعَالِ ؛ وَالعَقْلُ مُحِيطٌ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا ؛ وَهِيَ مُحِيطَةٌ بِكُرَّةِ الأَفْلَاقِ .

وَلَهَا - فِيمَا زَعَمُوا - دَائِرَتَانِ ، وَخَطٌّ مُسْتَقِيمٌ ؛
فَالدَّائِرَةُ الأُولَى مُتَّصِلَةٌ بِالفَلَكِ المُحِيطِ ، وَهُوَ طَرَفُهَا الأَعْلَى ؛

وَالدَّائِرَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ الطَّرْفُ الأَدْنَى ، وَمَكَانُهَا مَرَكُزُ الأَرْضِ . وَهَذَا تَقْرِيبٌ لِأَنَّ الجَوَاهِرَ المُعْقُولَةَ^(١٠٠) لَا تُوصَفُ بِالأَمَكِنَةِ وَلَا بِالجِهَاتِ السَّتِّ^(١٠١) . وَزَعَمُوا أَنَّ بَيْنَ طَرَفَيْهَا الأَعْلَى وَطَرَفَيْهَا الأَدْنَى خَطًّا يَصِلُ بَيْنَ الدَّائِرَتَيْنِ ، يَسْمُونَهُ : سَلْمَ المُعْرَاجِ^(١٠٢) ؛ وَبِهِ^(١٠٣) يَتَّصِلُ الوَحْيُ بِالأَنْفُسِ

(٩٨) فِي : ط : خَاصِيَّةٌ .

(٩٩) « الكَلِيَّة » لَمْ تَرُدْ فِي : ط .

(١٠٠) فِي : ط : العَقْلِيَّةُ .

(١٠١) فِي : ط : وَالجِهَاتِ .

(١٠٢) فِي : ط : سَلْمَ المُعْرَاجِ .

(١٠٣) (١٠٣) سَقَطَتِ كَلِمَةُ (ب ه) مِنْ : ط .

[١٠] الْجُرُئِيَّةِ الطَّاهِرَةِ ، وَبِهِ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَتَصْعَدُ الْأَرْوَاحُ الزَّكِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ الْأَعْلَى .

وَلَهُمْ فِيهَا كَلَامٌ طَوِيلٌ اقْتَصَرْنَا مِنْهُ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ ؛ لِأَنَّ غَرَضَنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ غَيْرُ ذَلِكَ .

الباب الثاني

فِي شَرْحِ قَوْلِهِمْ : إِنَّ الْإِنْسَانَ يَخِى دَائِرَةً وَهَمِيَّةً ، وَإِنَّ ذَاتَهُ
تَبْلُغُ بَعْدَ مَمَاتِهِ إِلَى حَيْثُ يَبْلُغُ عِلْمُهُ فِي حَيَاتِهِ

قد تأملت - أرشدنا الله وإياك إلى صواب القول والعمل^(١) ، وعصمنا
من الخطأ والزلل - هذا الذي قالوه ، واعتبرت ما ذكروه فوجدته يحتمل
تأويلين :

أحدهما : أن الإنسان يفتح نظره بشيء لا مادة له ، وينتهي نظره^(٢)
إلى شيء لا مادة له ؛ فيكون مرجع علمه ونظره إلى مثل مبتدئه^(٣) ، كما
أن مبدأ صورة الإنسان من شيء لا مادة له ، وغايته أن يعود شيئاً^(٤)
لا مادة له . ولست أعني مبدأ صورة جسمه^(٥) التي هي شكل هيولاه ؛
لأن هذه : مبدؤها المادة وإنما أعني مبدأ [صورته]^(٦) الناطقة التي بها

(١) في ط : إلى الصواب في القول والعمل .

(٢) في ط : وينتهي إلى شيء .

(٣) في ط : فيكون مرجع نظره عليه إلى مبتدئه .

(٤) في ط : أن يعود إلى شيء .

(٥) في ط : ولست أعني بمبتدئه صورة جسمه ..

(٦) ذهب معظم الكلمة بأثر نحو . وهي واضحة في : ط .

صَارَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا ، وَأَنْفَصَلَ عَنِ الْحَيَوَانَ الَّذِي لَا نَطْقَ لَهُ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ مَبْدُوءُهَا مِنَ الْعَقْلِ [الْفَعَالِ] ^(٧) وَمُرْجِعُهَا إِلَيْهِ .

وَشَرَحُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنَّ ^(٨) مَبْدَأَ عِلْمِ الْإِنْسَانِ : الْأَعْدَادُ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ فِي تَفْهَمِهَا إِلَى مَادَّةٍ . ثُمَّ يَتَرَقَّى مِنْهَا إِلَى النَّظَرِ فِي الْأَعْظَامِ الَّتِي تَحْتَاجُ فِي تَفْهَمِهَا إِلَى الْمَادَّةِ ^(٩) ، غَيْرَ أَنَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي بَعْضِهَا مِنَ الْمَادَّةِ ^(١٠) أَقْلٌ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي بَعْضٍ ؛ لِأَنَّ مَبْدَأَ الْأَعْظَامِ النَّقْطَةَ الَّتِي هِيَ مَبْدَأُ الْخَطِّ ، وَلَا بُعْدَ لَهَا ؛ ثُمَّ الْخَطُّ الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ السَّطْحِ ؛ ثُمَّ السَّطْحُ الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ الْجِسْمِ . وَهَذِهِ يَحْتَاجُ فِي تَفْهَمِهَا ^(١١) إِلَى مَادَّةٍ يَسِيرَةٍ . فَإِذَا انْتَهَى إِلَى النَّظَرِ فِي الْجِسْمِ اسْتَعْرَقَ فِي الْمَادَّةِ وَحَصَلَ بِنَظَرِهِ فِي الْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ ، ثُمَّ يَبْدَأُ ^(١٢) يَنْسَلِخُ مِنَ الْمَادَّةِ قَلِيلًا قَلِيلًا عَلَى تَدْرِجٍ كَمَا تَرَقَّى إِلَيْهَا قَلِيلًا [قَلِيلًا] ^(١٣) عِنْدَ نَظَرِهِ فِي النَّقْطَةِ وَالْخَطِّ وَالسَّطْحِ ؛ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُفَارِقَ الْمَادَّةَ قَلِيلًا ! وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا نَظَرَ فِي الْعُنَاوَةِ وَالْمَعَادِينِ فَإِنَّمَا يَنْظُرُ فِي أَجْسَامٍ غَضَّةٍ ^(١٤) لَيْسَ فِيهَا مَبْدَأٌ غَيْرَ الطَّبِيعَةِ . فَإِذَا صَارَ إِلَى

(٧) في ط : العقل الْفَعَالِ . وفي خ العقل ؛ والمثبت من : ط .

(٨) صَحَّفَتِ الْعِبَارَةَ فِي : ط إِلَى « وَسَنَشْرَحُ هَذِهِ الْجُمْلِيَّاتِ . مَبْدَأُ عِلْمِ ... الْخ » .

(٩) في ط : التي تحتاج إلى تفهم المادَّة .

(١٠) أثبتنا رواية ! ط . والذي في خ هنا : غير أنه يحتاج في بعضها من المادَّة أَقْلٌ مِمَّا ... الْخ .

(١١) في ط : وهذه تحتاج في تفهمه إلى ...

(١٢) في ط : ثم يبتدئ ينسلخ .

(١٣) قليلاً الثانية من : ط .

(١٤) في : ط : أجسام مُحِيطَةٍ .

النَّظَرِ فِي النَّبَاتِ وَجَدَ فِيهِ مَبْدَأً مِنْ مَبَادِئِ النَّفْسِ ؛ وَتُسَمَّى هَذِهِ ^(١٥) :
 النَّفْسَ النَّبَاتِيَّةَ ، فَيَكُونُ قَدْ ابْتَدَأَ بِالْأَنْسِلَاحِ مِنَ الْمَادَّةِ قَلِيلاً قَلِيلاً ^(١٦)
 [١١] فَإِذَا صَارَ إِلَى النَّظَرِ فِي الْحَيَوَانَاتِ غَيْرِ النَّاطِقِ وَجَدَ أَمْرَ ^(١٧) النَّفْسِ
 فِيهِ أَقْوَى ؛ وَتُسَمَّى هَذِهِ ^(١٨) : النَّفْسَ الْحَيَوَانِيَّةَ ، فَيَكُونُ قَدْ أَنْسَلَخَ مِنْ
 الْمَادَّةِ أَكْثَرَ ؛ فَإِذَا صَارَ إِلَى النَّظَرِ فِي الْحَيَوَانَاتِ النَّاطِقِ وَجَدَ فِيهِ
 أَمْرَ ^(١٩) النَّفْسِ أَقْوَى ، وَوَجَدَ فِيهِ ^(٢٠) مَبْدَأً آخَرَ غَيْرِ النَّفْسِ الْحَيَوَانِيَّةِ ^(٢١) ،
 وَهُوَ الْإِسْتِعْدَادُ لِتَقْبُولِ الْأُمُورِ الْمَعْقُولَاتِ .

ثُمَّ يَشْرَعُ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ النَّفْسِ فَيَصِيرُ مَتَوَسِّطاً بَيْنَ الْأُمُورِ الْعَقْلِيَّةِ
 الْمَجْرَدَةِ مِنَ الْمَادَّةِ ، وَبَيْنَ الْأُمُورِ الْجِسْمَانِيَّةِ ذَوَاتِ الْمَوَادِّ ؛ فَإِذَا أَمَعَنَ فِي
 النَّظَرِ فِي أَمْرِ النَّفْسِ [النَّاطِقَةِ] ^(٢٢) لَاحَتْ إِلَيْهِ ^(٢٣) الْمَبَادِئُ الْعَقْلِيَّةُ الَّتِي
 لَيْسَتْ بِمَادَّةٍ ^(٢٤) ؛ فَيَكُونُ قَدْ أَنْسَلَخَ مِنَ الْمَادَّةِ كُلِّهَا ، وَحَصَلَ فِي أَوَّلِ
 مَرَاتِبِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ .

(١٥) في ط : هذه النفس : النفس النباتية .

(١٦) في ط : « قليلاً » . ولم يكرر الثانية .

(١٧) في ط : وجد أثر النفس .

(١٨) في ط : وتسمى هذه النفس : النفس الحيوانية .

(١٩) في ط : وجد أثر النفس فيه أقوى .

(٢٠) في خ : وجد منه . وأثبت ما في (ط) مجازة للعبارات الماثلة السابقة .

(٢١) « الحيوانية » من ط .

(٢٢) « الناطقة » من ط .

(٢٣) في ط : لاحت له .

(٢٤) في ط : ليست في مادة .

ثُمَّ يَشْرَعُ بِالنَّظَرِ فِي الْأُمُورِ الْعَقْلِيَّةِ الْمُفَارِقَةِ لِلْمَادَّةِ ؛ فَأَوَّلُ مَعْقُولٍ يُصَادِفُهُ ، بِاعْتِبَارِهِ عِنْدَ صُعُودِهِ ، الْعَقْلُ الْفَعَّالُ .

فَإِذَا أَكْمَلَ النَّظَرَ فِيهِ وَعَلِمَ مَرْتَبَتَهُ مِنَ الْمَعْقُولَاتِ الْمُفَارِقَةِ ، وَلَئِنَّهُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعَاشِرَةِ صَعَدَ بِالْاعْتِبَارِ إِلَى النَّظَرِ فِي التَّاسِعِ^(٢٥) ثُمَّ إِلَى الثَّامِنِ ، ثُمَّ إِلَى السَّابِعِ ، ثُمَّ إِلَى السَّادِسِ حَتَّى يَصِيرَ بِفِكْرِهِ إِلَى الْمَعْقُولِ^(٢٦) الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ فِي مَرْتَبَةِ الْوَاحِدِ فِيجِدُهُ^(٢٧) نَهَايَةَ الْمَوْجُودَاتِ الَّذِي أَفَادَ كُلَّ شَيْءٍ الْوَجُودَ ؛ وَكُلُّ مَوْجُودٍ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ مُقْتَبِسٌ الْوَجُودِ مِنْهُ ، فَيَكُونُ قَدْ أُنْسَلَخَ مِنَ النَّظَرِ فِي الثَّوَانِي التَّسْعَةِ وَالْعَقْلِ الْفَعَّالِ ؛ وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى بِالْمَلَائِكَةِ^(٢٨) الْمُقَرَّبِينَ ، وَالْكَرُوبِيِّينَ ؛ وَيَكُونُ قَدْ انْتَهَى بِاعْتِبَارِهِ وَفِكْرِهِ إِلَى الْبَارِي تَعَالَى فَيَشْرَعُ حِينَئِذٍ بِالنَّظَرِ^(٢٩) فِي صِفَاتِهِ ، وَمَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ ، وَمَا لَا يَجُوزُ ؛ وَكَيْفَ انْبَعَثَتْ الْمَوْجُودَاتُ عَنْهُ ؛^(٣٠) وَعَلَى أَيِّ جِهَةٍ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ ؛ إِنَّهُ فَاعِلُهَا وَعَلَّتْهَا حَتَّى لَا يَلْحَقَهُ نَقْصٌ^(٣١) ؛ وَكَيْفَ دَبَّرَ عَالَمَ الْأَفْلَاقِ بِتَوْسُطِ الثَّوَانِي ، وَالْعَقْلِ الْفَعَّالِ ، وَدَوْرَانِ الْأَفْلَاقِ حَوْلَ

(٢٥) في ط : « في التاسعة ثم إلى الثامنة حتى يصل بفكره » وأسقط قوله : ثم إلى السابع ثم إلى السادس .

(٢٦) في ط : إلى المعقولات الأول التي هي مرتبة الواحد .

(٢٧) في ط : فيجد نهاية الموجودات .

(٢٨) في ط : تسمى الملائكة .

- والكروبيون - كما في متن اللغة (ك رب) - : سادة الملائكة ، وهم المقربون .

(٢٩) في ط : فيشرع حينئذ النظر .

(٣٠-٣١) ما بين الرقنين سقط من : ط .

الأركان الأربعة فيقع في العلم السياسي والنواميس . ولا يزال^(٣٢) يتحدّر حتى يرجع^(٣٣) إلى الأشخاص المحسوسة التي منها بدأ بالنظر عند صعوده بالاعتبار .

فشبهت الحكماء رتبة هذا النظر والاعتبار بالدائرة : لأنه ينظر^(٣٤) في الموجودات عند انحداره غير النظر الذي ينظر فيها في حين صعوده ، كما يبدأ خط الدائرة من نقطة ثم يعود إليها [١٢] على غير الجهة التي ذهب منها .

ويسمى النظر الأول^(٣٥) : الإنساني ، والنظر الثاني : الإلهي . ويسمى النظر الأول : الطريق إلى الله تعالى .

فكما أن مبدأ الإنسان^(٣٦) من معقول ومنتهاه إلى معقول ، وهو ما بين الطرفين محسوس ، فكذلك علمه يبدأ من معقول وينتهي إلى معقول يئنها العلم المحسوس^(٣٧) . فيكون منتهى علم الإنسان هو منتهى^(٣٨)

(٣٢) في ط : ولا زال .

(٣٣) في ط : حتى يصل إلى ...

(٣٤) في ط : لأن نظره في الموجودات عند النزول غير نظره الذي نظره حين الصعود .

(٣٥) في ط : ويسمى النظر الأول : النظر الإنساني ، والطريق إلى الله تعالى ، والنظر الثاني النظر الإلهي .

(٣٦) في ط : فكما أن مبتدأه يكون من معقول ومنتهاه إلى معقول ، وهو فيما بين الطرفين محسوس .

(٣٧) في ط : وما بينهما العلوم المحسوسة .

(٣٨) في ط : منتهى علم الإنسان منتهى ذاته .

ذَاتِهِ ، فَيَصِلُ إِلَى عَالَمِ الْعَقْلِ فِي حَيَاتِهِ الْأُولَى بِعِلْمِهِ وَنَظَرِهِ ، وَفِي حَيَاتِهِ
الثَّانِيَةِ بِذَاتِهِ وَجَوْهَرِهِ .

فهذا هو الْمُرَادُ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ : إِنَّ ذَاتَ الْإِنْسَانِ ^(٣٩) تَصِلُ بَعْدَ مَمَاتِهِ
إِلَى حَيْثُ وَصَلَ عِلْمُهُ فِي حَيَاتِهِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَتَجَاوَزُ ^(٤٠) مَرْتَبَةَ الْعَقْلِ
الْفَعَّالِ ، وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الْعَاشِرَةُ مِنْ مَرْتَبَةِ السَّبَبِ الْأَوَّلِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ غَايَتَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِمَرْتَبَةِ النَّفْسِ الْكَلِّيَّةِ ، وَمَرْتَبَتِهَا
دُونَ مَرْتَبَةِ الْعَقْلِ الْفَعَّالِ كَمَا ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ .

فهذا ما ظهر إليّ في شَرْحِ ^(٤١) كَلَامِهِمُ الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ .

وَهَاهُنَا ^(٤٢) وَجْهٌ آخَرٌ ، وَهُوَ : أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ يُوصَفُ بِالنُّطْقِ ^(٤٣) ؛
فِي أَنَّ تَجَوُّهَرَهُ لَا يَكْمُلُ إِلَّا بِأَنْ يَعْغِلَ السَّبَبَ الْأَوَّلَ الَّذِي مِنْهُ أُنبَعَثَتِ
الْمَوْجُودَاتُ ؛ إِلَّا أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ تَبَعُدُ مَرْتَبَتُهُ مِنْ مَرْتَبَتِهِ لَا يُمَكِّنُ ^(٤٤) أَنْ
يَعْغِلَهُ حَتَّى يَعْغِلَ مَا يَبِينُهُ وَيَبِينُهُ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ السَّابِقَةِ لَهُ بِالْمَرْتَبَةِ ^(٤٥) .

فَالْمَوْجُودُ الثَّانِي الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ الْمَوْجُودَاتِ إِلَيْهِ بِالْمَرْتَبَةِ ^(٤٦)

(٣٩) في ط : إن نفس الإنسان متصل .

(٤٠) في ط : لا يجاوز .

(٤١) في ط : فهذا ما ظهر من شرح كلامهم (يسقط : إلي) .

(٤٢) وثبت هاهنا وجه آخر .

(٤٣) في خ : « يوصف بالنظر » . وأثبتنا ما في ط لرجاحته .

(٤٤) في ط : لا يمكنه أن يعقله .

(٤٥-٤٦) سقط ما بين الرقمين من ط . بنقله عين لتكرار كلمة المرتبة . وفي ط هنا : الرتبة .

لا يَحْتَاجُ فِي تَكْمِيلِ تَجَوُّهِرِهِ^(٤٧) إِلَى وَاسِطَةٍ .

وَأَمَّا الْمَوْجُودُ الثَّالِثُ فَإِنَّهُ لَا يَعْقِلُ الْأَوَّلَ إِلَّا بِتَوْسِطِ الثَّانِي .

فكَذَلِكَ الْمَوْجُودُ الرَّابِعُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْقِلَهُ^(٤٨) إِلَّا بِتَوْسِطِ الثَّالِثِ
وَالثَّانِي ، وَكَذَلِكَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ .

وَلَا يَحْتَاجُ^(٤٩) مَوْجُودَ مِنْ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ^(٥٠) فِي كَمَالِ
تَجَوُّهِرِهِ إِلَى أَنْ يَعْقِلَ مَادُونَهُ فِي مَرْتَبَتِهِ^(٥١) إِلَّا الْإِنْسَانَ وَحْدَهُ ؛ فَإِنَّهُ
يَحْتَاجُ فِي كَمَالِ تَجَوُّهِرِهِ إِلَى أَنْ يَعْقِلَ مَا فَوْقَهُ^(٥٢) وَمَادُونَهُ ؛ وَلِذَلِكَ احْتِجَاجَ
فِي كَمَالِ تَجَوُّهِرِهِ إِلَى أَنْ يَعْقِلَ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ
مَرْتَبَتَهُ مِنْ^(٥٣) الْوُجُودِ الْفَائِضِ مِنَ السَّبَبِ الْأَوَّلِ تَعَالَى آخِرَ الْمَرَاتِبِ ؛
لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ تَقَدُّمِ الْحَيَوَانَ غَيْرِ النَّاطِقِ ، وَالنَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ ،
وَالْأَرْكَانِ ، وَالْهَيُولَى . فَصَارَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ أَسْبَقَ مِنْهُ بِمَرْتَبَةٍ^(٥٤)

(٤٧) فِي خ : جَوْهَرِهِ . وَأَبْتِنَا مَا فِي ط ، لِانْسِجَامِهِ مَعَ مَا فِي الْفِقْرَةِ السَّابِقَةِ : « فَإِنْ تَجَوُّهَرَهُ

لَا يَتَكَمَّلُ إِلَّا بِأَنْ يَعْقِلَ السَّبَبَ الْأَوَّلَ ... إلخ » .

(٤٨) فِي ط : وَكَذَلِكَ الرَّابِعُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْقِلَ .

(٤٩) فِي ط : فَلَا يَحْتَاجُ .

(٥٠) فِي ط : مِنْ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ النَّاطِقَةِ فِي تَكْمِيلِ تَجَوُّهِرِهَا .

(٥١) فِي ط : يَعْقِلَ مَا هُوَ دُونَهُ فِي الْمَرْتَبَةِ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَحْدَهُ .

(٥٢) فِي ط : إِلَى أَنْ يَعْقِلَ مَادُونَهُ فِي الشَّرْفِ وَمَرْتَبَةِ الْعَقْلِ كَمَا يَحْتَاجُ أَنْ يَعْقِلَ مَا فَوْقَهُ ،

وَلِذَلِكَ ...

(٥٣) فِي ط : مَرْتَبَتِهِ فِي الْوُجُودِ الْفَائِضِ عَنِ السَّبَبِ .

(٥٤) فِي ط : بِالْمَرْتَبَةِ إِلَى الْوُجُودِ .

الوجود ، وإن كان هو أفضل منها ؛ لأنَّ النفسَ النَّاطِقَةَ [١٣] صُورَةٌ في النفسِ الحَيَوَانِيَّةِ ؛ والنَّفْسُ الحَيَوَانِيَّةُ صُورَةٌ في النفسِ النَّبَاتِيَّةِ ؛ والنَّفْسُ النَّبَاتِيَّةُ صُورَةٌ في المَعَادِنِ ، والمَعَادِنُ صُورَةٌ في الأركان الأربعة ، والأركان^(٥٥) الأربعةُ صُورَةٌ في الهَيُولَى .

فلَمَّا كانت هذه الأشياءُ كُلُّهَا قَبْلَهُ في رُتْبَةِ الوجودِ ، وكانَ لاسبيلَ لَهُ إلى أنْ يَعْقِلَ السَّبَبَ الأوَّلَ حَتَّى يَعْقِلَ مَايُنْتَهَى وَيَبِينَهُ مِنَ المَوْجُودَاتِ احتِجَاجَ إلى أنْ يَعْقِلَ مَاذَوْنَهُ كما احتِجَاجَ إلى أنْ يَعْقِلَ مَافَوْقَهُ .

ولَمَّا^(٥٦) كانت المَوْجُودَاتُ الفَائِضَةُ مِنَ السَّبَبِ [الأوَّلِ]^(٥٧) شَكْلَهَا شَكْلَ دَائِرَةٍ آخِرَهَا الإنسانُ - كما ذَكَرْنَا في البَابِ الأوَّلِ - احتِجَاجَ الإنسانُ إذا سَلَكَ على رُتْبَةِ^(٥٨) وجودِهِ أنْ يعكسَ الدَّائِرَةَ عِنْدَ الإِعْتِبَارِ فَيُنْحَطُّ مِنَ مَرْتَبَتِهِ في الوجودِ إلى مَرْتَبَةِ الحَيوانِ غَيْرِ النَّاطِقِ الَّتِي هِيَ أَذْنَى المَرَاتِبِ إِلَيْهِ ثُمَّ إلى النَّبَاتِ ثُمَّ إلى المَعَادِنِ^(٥٩) ثُمَّ إلى الأركانِ ثُمَّ إلى الهَيُولَى .

فإذا بَلَغَ إلى الهَيُولَى كانَ قَدْ^(٦٠) وَصَلَ إلى أَحَطِّ المَوْجُودَاتِ مَرْتَبَتَهُ في

(٥٥) ضبطها في خ هكذا ، على الاستئناف : والنفسُ الحَيَوَانِيَّةُ صُورَةٌ ... والنفسِ النَّبَاتِيَّةُ ... والمَعَادِنُ ... والأركانُ .

(٥٦) في ط : فلما كانت .

(٥٧) زيادة من : ط .

(٥٨) في ط : من مرتبة وجوده .

(٥٩) في ط : « ثم النبات ثم المعادن » يَأْسُقَاطِ (إلى) منها .

(٦٠) في ط : فقد وصل .

الوجود^(٦١) فيبدأ بالصعود منها نحو المبدأ الأعلى ، فيكون إلى الصورة أول صعوده^(٦٢) ، ثم إلى النفس ، ثم إلى العقل الفعّال ، ثم إلى الثواني التسعة^(٦٣) ثم إلى الباري تعالى . غير أنه إذا وصل إلى مرتبة العقل الفعّال وقف لأن قوته الناطقة منه بدأت وإليه تعود^(٦٤) . وإنما يحتاج إلى معرفة ما فوق العقل لتكامل ذاته وجوهره^(٦٥) لالتكامل دائرة علمه ونظيره .

ونحن نكمل هذا الباب بأن ندير دائرة تمثل بها ما ذكرناه ونقسمها تسعة أقسام على مراتب الأحاد التسعة ، ونجعل مبدأها العقل الفعّال ، وتتلوه بما يتصل بمرتبته في الوجود^(٦٦) ، ثم ما يلي منحدرًا أو صاعداً^(٦٧) حتى يتعطف آخر الموجودات عليه .

ولانذكر في هذه الدائرة أشياء مما فوق العقل الفعّال لنبيّن لمن رآها أن الإنسان مرجعة إلى العقل الفعّال .

(٦١) في ط : مرتبة ثم يبدأ .

(٦٢) في ط : فيكون أول صعوده إلى الصورة ثم إلى النفس .

(٦٣) في ط : ثم إلى الثواني التسعة التي تسمى الملائكة للقرين .

(٦٤) في ط : بعد عبارة العقل الفعّال : كلت الدائرة ولم يحتاج في كالمها إلى أن يتخطى العقل الفعّال ، لأن القوة الناطقة إلخ .

(٦٥) في ط : وجوهره .

(٦٦) في ط : بما يتصل بمرتبته في الوجود بمرتبته .

(٦٧) في ط : منحدرًا وصاعداً .

الباب الثالث

في شرح قولهم : إن في قدرة^(١) العقل الجزئي
أن يتصور بصورة العقل الكلي

هذا - أوضح الله لك الخفيات ، وأعانك على فهم أسرار الموجودات -
فرغ لطيف تحته معنى شريف ؛ ومرادهم بهذا أن الإنسان مهياً^(٢) بفطرته
[١٤] إذا فاض عليه نور العقل فخرجت قوته الناطقة إلى الفعل لأن
يتصور جميع الموجودات فيتحصل^(٣) في عقله الجزئي الصور التي في
العقل الكلي .

وذلك أن البارئ تعالى لما أبدع العقل الكلي أفاض عليه صورة^(٤)
الأشياء التي شاء إيجادها دفعةً بلازمان^(٥) ولا حركية ؛^(٦) وأفاضها العقل
الكلي على النفس الكلية على دفعةً أيضاً بلازمان^(٧) [وأفاضتها النفس

(١) في ط : إن في قوة العقل .. إلخ .

(٢) في ط : تهيأ .

(٣) في ط : فحصل .

(٤) في ط : صور الأشياء .

(٥) في ط : اتخذها دفعة واحدة بلازمان .. إلخ .

(٦-٧) ما بين الرقبن سقط من : ط .

الكَلِيَّةُ عَلَى الْهَيُولَى بِالزَّمَانِ ^(٨) وَوَسَاطَتَهُ ^(٩) حَرَكَةَ الْفَلَكَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي قُوَّةِ
الْهَيُولَى أَنْ تَقْبَلَهَا كُلَّهَا دَفْعَةً ، وَإِنَّمَا تَقْبَلُهَا عَلَى الْمُعَاقَبَةِ .

وَخَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْإِنْسَانَ آخِرَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَجَمَعَ فِي
خَلْقَتِهِ ^(١٠) جَمِيعَ مَا فِي الْعَالَمِ فَصَارَ مَخْتَصِراً مِنْهُ ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ : الْعَالَمُ
الْأَصْغَرَ ^(*) .

وَقِيلَ إِنَّهُ مُخْتَصِرٌ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، وَجَعَلَهُ حَدّاً بَيْنَ عَالَمِ الْحِسِّ
وَعَالَمِ الْعَقْلِ . فَهُوَ آخِرُ الْمَوْجُودَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَأَوَّلُ الْمَوْجُودَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَهُوَ
مُعَرَّضٌ لِأَنْ يَتَلَوَّ فَيَلْحَقَ بِالْعَالَمِ الْأَعْلَى ، أَوْ يَسْفَلَ ^(١١) فَيَلْحَقَ بِالْعَالَمِ الْأَدْنَى .
وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ ^(١٢) :

[من الخفيف]

أَنْتَ وَسَطِي ^(١٣) مَا بَيْنَ ضِدَّيْنِ يَأْتِي ... سَانَ رُكِّبْتَ صُورَةً فِي هَيُولَى

(٨) ما بين معقوفتين لم يرد في خ ، واستدركناه من : ط .

(٩) في ط : وواسطة حركة الفلك : (بحذف الضمير) .

(١٠) في ط : وجمع في خلقه .

(*) قال في كتاب (التوقيف على مهمات التعاريف) : باب العين :

« ... والعالم عالمان : كبير وهو الفلك ، وما حواه من جواهر وغرض ؛ وصغير وهو
الإنسان لأنه مخلوق على هيئة العالم ، وأوجد الله فيه كل ما أوجده في العالم الكبير . »
ينظر كتاب التوقيف بتحقيقنا مطبوعاً في دار الفكر بدمشق .

(١١) في ط : بالملأ الأعلى ، ويسفل .

(١٢) القطعة في شعره المجموع .

(١٣) في ط : أنت وسط .

إِنْ عَصَيْتَ الْهَوَىٰ عُلُوًّا أَوْ أَطَعْتَ الْهَوَىٰ سَفَلَتْ سَفُولا !
فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ جَمَعَ فِي خِلْقَةٍ^(١٤) جَمِيعَ مَا فِي الْعَالَمِ الْأَكْبَرِ صَارَ مَهَيًّا
بِفِطْرَتِهِ الْفَاضِلَةِ ، مُسْتَعِيدًا بِقُوَّتِهِ الْعَاقِلَةِ لِأَنْ يَتَصَوَّرَ جَمِيعَ مَا فِي الْعَالَمِ
الْأَكْبَرِ .

وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ مَدْرَكَاتِ الْإِنْسَانَ صِنْفَانِ :

مَحْسُوسَاتٌ ؛

و : مَعْقُولَاتٌ .

فَالْأَشْخَاصُ هُنَّ مَحْسُوسَاتُهُ^(١٥) .

وَأَنْوَاعُهَا ، وَأَجْنَاسُهَا ، وَمَبَادِيهَا هُنَّ مَعْقُولَاتٌ^(١٦) .

وَلَهُ إِدْرَاكَانِ :

إِدْرَاكٌ بِالْحِسِّ لِلْأَشْيَاءِ الْمَحْسُوسَاتِ^(١٧) .

وَإِدْرَاكٌ بِالْعَقْلِ لِلْأَشْيَاءِ الْمَعْقُولَاتِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّمَا يُدْرَكُ
بِشَكْلِهِ .

(١٤) في ط : في خِلْقَتِهِ . (ويلاحظ أن ما بين المطبوع والمخطوط مخالفة في هذا الموضع ،

وفي الموضع السابق - انظر الحاشية ذات الرقم (١٠) من هذا الباب) .

(١٥) في ط : فالأشخاص هي المحسوسات .

(١٦) في ط : هي معقولاتها .

(١٧) اخترت المحسوسات على المحسوسة التي في خ ، والذي في ط : « إدراك بالحس للأشياء

المحسوسات ، وإدراك بالعقل للأشياء المعقولة » .

فإذراكه المحسوسات يُسمى كماله الأول ، وحياته الأولى ؛ وإدراكه
المعقولات يُسمى كماله الثاني وحياته الأخرى^(١٨) .

فإذا كان العالم كله صنفين : محسوس ومعقول^(١٩) ؛ وكان كمال
تجوهر^(٢٠) الإنسان يذراكهما معاً ؛ وكان مهياً يطرته لذلك صار الإنسان
إذا أدرك المحسوسات والمعقولات فقد^(٢١) تصوّر بصورة العالم الأكبر ؛
فالإنسان إذن يستحق أن يُسمى عالماً صغيراً من جهتين :
إحداها^(٢٢) : خلقة لا عمل له فيها .

والثانية : اكتساب يكتسبه . إلا أن سعادته إنما هي بالاكتساب
وحصول العقل المستفاد .

وأما [١٥] الخلقية^(٢٣) فإنما هي هيئة واستعداد جعل معرضاً بهما
لنيل السعادة إن فهم ذاتة ، وعلم مرتبته من العالم ، أي^(٢٤) مرتبة
[تحصيل هي نجا وسعد ؛ وإن جهل ذاتة ، ولم يعرف ما الغرض]^(٢٥)

(١٨) في ط : الأخيرة .

(١٩) في ط : محسوساً ومعقولاً .

(٢٠) في ط : كمال جوهر الإنسان .

(٢١) في ط : فقد ، وفي خ : قد . والمثبت من ط أقوم ، فهي في صدر جواب إذا .

(٢٢) في ط : أحدهما ... والثاني .

(٢٣) في ط : وأما خلقتة .

(٢٤) في خ بعد كلمة « مرتبة » إشارة استلحاق كلام ؛ ولكن لاشيء على هامش النسخة

التي معنا (وهي صورة) وقد يكون المستدرك على طرف غاب عن المصور .

(٢٥) ما بين معقوفتين مستدرك من : ط .

بكونه آخِرَ الْمَوْجُودَاتِ هَلَكَ وَطَالَ شَقَاؤُهُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (٢٦) :
 « النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا » . وَقَالَ (٢٧) : « أَعْلَمَكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْلَمَكُمْ
 رَبَّهُ » ؛ وَقَالَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٨) : « تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِعَقْلِكَ إِذَا تَقَرَّبَ
 النَّاسُ إِلَيْهِ بِأَعْمَالِهِمْ » .

ولِهذا الَّذِي قَدَّمَناهُ صَارَ الْعَالَمُ خَمْسَةَ أَصْنَافٍ مِنَ الْوُجُودِ سِوَى وَجُودِهِ
 فِي عِلْمِ الْبَارئِ تَعَالَى :

وُجُودٌ فِي الْعَقْلِ الْفَعَالِ .

وُجُودٌ فِي النَّفْسِ الْكُلِّيَّةِ .

وُجُودٌ فِي الْهَيُولَى .

وُجُودٌ فِي قُوَّةِ الْإِنْسَانِ الْمَخَيَّلَةِ .

(٢٦) قَالَ فِي كَشْفِ الْخُفَا وَمَزِيلِ الْإِلْبَاسِ عَمَّا اشْتَهَرَ مِنَ الْأَحَادِيثِ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ
 ١ : ٢١٢ ، عِنْدَ ذِكْرِ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ : النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا ؛ مَا نَصَّهُ : هُوَ
 مِنْ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، لَكِنْ عَزَاهُ الشُّعْرَانِيُّ فِي الطَّبَقَاتِ لِسَهْلِ التُّسْتَرِيِّ ؛ وَلَفْظُهُ
 فِي تَرْجُمَتِهِ : وَمِنْ كَلَامِهِ : النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا ؛ وَإِذَا مَاتُوا نَدِمُوا ، وَإِنْ
 نَدِمُوا لَمْ تَنْفَعَهُمْ نَدَامَتُهُمْ .

(٢٧) فِي : عَيْنِ الْأَدَبِ وَالسِّيَاسَةِ وَزِينِ الْحِسْبِ وَالرِّيَاسَةِ لِابْنِ هَدَّيْلِ الْغَرْنَاطِيِّ : ١٥٥
 قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ قَالَ : إِذَا عَرَفَ
 نَفْسَهُ » .

(٢٨) رَوَى النَّهْرَوَانِيُّ فِي كِتَابِهِ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ الْكَاثِبِ وَالْأَنْبِيَاءِ النَّاصِحِ الشَّافِعِيِّ عَنِ عَلِيِّ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْسِنَادُ ذِكْرَهُ بِطَوْلِهِ ، قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ
 إِلَى خَالِقِهِمْ بِأَنْوَاعِ الْبِرِّ فَتَقَرَّبَ إِلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ الْعَقْلِ تَسْبِقُهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالزُّلْفِ عِنْدَ
 النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ، وَعِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ (١ : ٥٢٤) .

ووجود في قوته الناطقة^(٢٩) إذا حصل له العقل المستفاد .

فيصير بهذا الاعتبار كالدائرة التي تبدأ من نقطة وتعود إليها ؛ لأنّ مبدأه أن يكون صورة مجردة في العقل ، ونهايته أن يصير صورة مجردة في العقل . وعند ذلك يتصور العقل الجزئي بصورة العقل الكلي ، ويصير الإنسان موضوعاً بصورة العالم يحمل صورة^(٣٠) في ذاته كما تحيل الهيولى الصور .

فالإنسان - إذا اعتبر به^(٣١) المُعتَبَر - أغرب المخلوقات صنعاً ، وأكثرها أعجوبة . ولهذا قالت الحكماء : إن الغرض في وجوده كمال الحكمة ؛ لأنه انتظم بقطرته^(٣٢) طرفي العالم ، وصار واسطة بينهما . وكال الطرفين بالواسطة التي تنظّمهما :

أرادوا بذلك أنّ البارئ - جلّ جلاله - لما خلق جوهرًا معقولاً وجوهرًا محسوساً كان كمال الخلق^(٣٣) في أن خلق جوهرًا ثالثاً يصل بين الجوهريين ، وينظّم^(٣٤) الطبيعتين ؛ فصار الإنسان حدّاً بين عالم العقل وعالم الحسّ ، وصار من جهة صورته الطبيعية في أعلى مراتب الصور الطبيعية ، ومن جهة صورته العقلية في أدنى مراتب الصور العقلية^(٣٥) .

(٢٩) في ط : في قوّة الناطقة إذا جعل له العقل المستفاد .

(٣٠) في ط : صورته كما تحمل الهيولى الصورة .

(٣١) في ط : اعتبر فيه المعتبر .

(٣٢) في ط : انتظم بقطرته طرفي العالم ، وصار بينها . وكال ... إلخ .

(٣٣) في ط : كمال الحكمة .

(٣٤) في ط : فينظم الطبيعتين .

وفي كُتُبِ بني إسرائيل أَنَّ الإنسانَ خُلِقَ على التَّخومِ بَيْنَ الطَّبِيعَةِ
المائيَّةِ ، والطَّبِيعَةِ الَّتِي لَيْسَتْ بمائيَّةِ . وَيَدُلُّ أَيْضاً على أَنَّهُ واسِطَةٌ بَطْبِيعِهِ :
أَنَّهُ من قِسمِ المُمكنِ ، والمُمكنُ بِطَبِيعَتِهِ واسِطَةٌ بَيْنَ الواجِبِ والمُمتنعِ .

وقد قُلْتُ في ذلكَ على سَبيلِ الوَعظِ^(٣٦) : [من الطويل]
تَبِيهٌ وَقَدْ أُيْقِنْتَ أَنَّكَ مُمكنٌ فَكَيْفَ لو اسْتَيْقِنْتَ أَنَّكَ واجبٌ ؟
وهلْ لَكَ من عَدُنٍ إِذَامتْ أَوْلَظِيَّ مَحِيصٌ يَرْجَى أَوْعِنَ اللهُ حَاجِبٌ^(٣٧)

[١٦] وَمَعْنَى كَوْنِ الإنسانِ مِنَ المُمكنِ أَنَّهُ صُورَةٌ من الصُّورِ الَّتِي
مَوْضُوعُهَا الهَيُولَى ، وبِالهِيُولَى قَامَتُ طَبِيعَةُ المُمكنِ لِأَنَّهَا تَلْبَسُ الصُّورَةَ
تَارَةً ، وَتَخْلَعُهَا تَارَةً ، وَتَكُونُ فِيهَا الصُّورُ^(٣٨) تَارَةً بالقُوَّةِ ، وَتَارَةً
بِالفِعْلِ . وَلَوْلَا الهَيُولَى لَبَطَلَتْ طَبِيعَةُ المُمكنِ وَلَمْ يُوَجَدْ لِلأَشْيَاءِ إِلاَّ
عُنْصُرَانِ : واجبٌ ومُمتنعٌ .

(٣٥) في ط : مراتب الصور العقلية .

(٣٦) القطعة في مجموع شعره .

(٣٧) في خ : واجب ؛ وأثبتنا ما في : ط .

(٣٨) في ط : وتكون فيها الصورة تارة بالقوة .

الباب الرابع

في شرح قولهم : إنَّ العَدَدَ دَوَائِرٌ^(١) وَهَمِيَّةٌ

اعلمُ أَنَّ الْوَاحِدَ أَصْلُ الْعَدَدِ وَمَبْدُوهُ ؛ وَهُوَ غَايَةٌ^(٢) لوجودِ الْعَدَدِ وَلَيْسَ بِعَدَدٍ . وَكُلُّ عَدَدٍ مَتَسَوِّبٌ إِلَيْهِ وَمَنْعَطِفٌ عَلَيْهِ أَنْعِطَافٌ آخِرِ الدَّائِرَةِ عَلَى أَوَّلِهَا .

وللأعداد^(٣) إليه نسبتان :

إحداها : نسبة تَضْعِيفٍ وَتَكْثِيرٍ .
والثانية : نسبة تَجْزِئَةٍ وَتَقْلِيلٍ .

فَأَمَّا نِسْبَةُ التَّكْثِيرِ فَكَقَوْلِكَ^(٤) : وَاحِدٌ ، وَاثْنَانٌ ، وَثَلَاثَةٌ ، وَأَرْبَعَةٌ ، وَخَمْسَةٌ فَمَا زَادَ^(٥) ، وَأَمَّا نِسْبَةُ التَّقْلِيلِ فَهِيَ نِسْبَةُ الْكُسُورِ كَقَوْلِكَ : نِصْفٌ وَرُبْعٌ ، وَخُمْسٌ ، وَثُلُثٌ^(٦) وَنَحْوِ ذَلِكَ .

(١) في ط : إن العدد دائرة وهمية .

(٢) في ط : وهو علة .

(٣) في ط : والأعداد .

(٤) في خ : « فقولنا » . وفي ط : كقولك . واخترت هنا ما في ط ، مع الفاء اللازمة

- بعد أمّا - التي في خ . وسيعيد العبارة بعد سطر .

(٥) في ط : وما زاد .

(٦) في ط : نصف ، وثلث ، وربيع ، وخمس .

والنصفُ أولُ مراتبِ التجزئةِ والتقليلِ كما أن الاثنين أولُ مراتبِ التضعيفِ والتكثيرِ . وهو يذهبُ في كلتا الجهتينِ إلى غيرِ نهايةٍ ؛ غيرَ أن^(٧) [التكثيرُ يبتدئُ من أقل^(٨) الكميّةِ ويذهبُ في تزييدٍ إلى غيرِ نهايةٍ ، و [التقليلُ يبتدئُ من أكثر^(٩) الكميّةِ وهو النصفُ ، ويذهبُ في التجزؤ^(١٠) إلى غيرِ نهايةٍ .

وإذا اعتبرت^(١١) بفكرِكَ الأعدادَ كلّها ، والواحدَ ، وجَدتها ناشئةً منه ، وراجعةً إليه . أمّا نشوؤها مِنْهُ فإنَّ قُوَّةَ الواحدِ تسري إلى الأعدادِ فتصوغها^(١٢) بواسطةٍ وبغيرِ واسطةٍ . والعدَدُ الَّذِي يتولَّدُ مِنْهُ بغيرِ واسطةٍ هو الاثنانِ . وأمّا الثلاثةُ فلا توجدُ مِنَ الواحدِ إلا بتوسُّطِ^(١٣) الاثنينِ ، وكذلك الأربعةُ لا توجدُ مِنْهُ إلا بتوسُّطِ^(١٤) الثلاثةِ والاثنينِ ؛ وكذلك الخمسةُ لا توجدُ إلا بتوسُّطِ الأربعةِ ، والثلاثةِ ، والاثنينِ ؛ وهكذا^(١٥) كلُّ

(٧) ما بين معقوفتين مستدرك من ط .

(٨) في المطبوع : بأقل الكميّة . ورجحت ما أثبتت مناظرةً لِمَا ورد بعد سطر ، فإنه قابل بأكثر الكميّة . وقال : « يبتدئ من » .

(٩) في خ : « من أقل » وهو من اضطراب السقط السابق ؛ والصواب ما في المطبوع .

(١٠) في ط : ويذهب التجزؤي إلى غير نهاية .

(١١) في ط : فإذا اعتبرت .

(١٢) في ط : تسري إلى الأعداد فيصوغها .

(١٣) في ط : بواسطة .

(١٤) في ط : وكذلك الأربعة لا توجد إلا بواسطة الثلاثة .

(١٥) في ط : وكذلك كل عدد .

عَدَدٍ لَا يُوجَدُ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَّا بِتَوْسُطِ مَا بَيْنَهُ [وَيَبِينُ ذَلِكَ]^(١٦) مِنَ الْأَعْدَادِ ؛
 فَيَكُونُ الْعَدَدُ الَّذِي بَيْنَهُمَا هُوَ الَّذِي يُؤَدِّي^(١٧) إِلَيْهِ قُوَّةَ الْوَاحِدَانِيَّةِ فَيَصِيرُ
 مُوجُوداً بِمَا يَسْرِي إِلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقُوَّةِ . فَالْإِثْنَانُ يُؤَدِّيَانِ قُوَّةَ الْوَاحِدِ إِلَى
 الثَّلَاثَةِ ؛ وَالْإِثْنَانُ وَالثَّلَاثَةُ يُؤَدِّيَانِ قُوَّتَهُ إِلَى الْأَرْبَعَةِ ، وَالْإِثْنَانُ وَالثَّلَاثَةُ
 وَالْأَرْبَعَةُ تُؤَدِّي قُوَّتَهُ إِلَى [١٧] الْخَمْسَةِ ؛ وَهَكَذَا مَا زَادَ بِالْغَا مَا بَلَغَ^(١٨) .

فَهَذِهِ كَيْفِيَّةُ تَنْشُؤِ^(١٩) الْعَدَدِ وَتَوَلُّدِهِ مِنَ الْوَاحِدِ .

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ انْعِطَافِهِ عَلَيْهِ كَانْعِطَافِ^(٢٠) أَحَدِ طَرَفَيْ الدَّائِرَةِ عَلَى
 الطَّرْفِ الْآخَرِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَوَلُّدِ الْأَعْدَادِ مِنْهُ وَاسْتِيفَائِهَا^(٢١)
 مَرَاتِبَ الْأَحَادِ التَّسْعَةِ الَّتِي عَلَيْهَا تَدَوَّرُ مَرَاتِبُ الْأَعْدَادِ ، وَلَيْسَتْ لِلْعَدَدِ
 بَعْدَ التَّسْعَةِ مَرْتَبَةٌ ؛ وَلَكِنْ كَلَّمَا بَلَغَ عَدَدٌ إِلَى مَرْتَبَةِ التَّسْعَةِ انْعَطَفَ إِلَى
 مَرْتَبَةِ الْوَاحِدِ ؛ فَصَارَ دَائِرَةً وَهَمِيَّةً .

بَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَاحِدَ يَنْشَأُ مِنْهُ الْإِثْنَانُ ، وَتُؤَدِّي الْإِثْنَانُ قُوَّتَهُ إِلَى
 الثَّلَاثَةِ ، [فَيَكُونُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْوَاحِدِ بِوَاسِطَةِ الْإِثْنَيْنِ ؛ وَكِلَاهُمَا عِلَّةٌ
 لَوْجُودِ الثَّلَاثَةِ] غَيْرَ أَنَّ الْإِثْنَيْنِ عِلَّةٌ قَرِيبَةٌ ، وَالْوَاحِدُ عِلَّةٌ بَعِيدَةٌ . ثُمَّ تُؤَدِّي

(١٦) زاداها في الطبعة المصرية فزداها بالمعنى .

(١٧) في ط : تؤدِّي إليه .

(١٨) في ط : بالغاً ما بلغه .

(١٩) في ط : كيفية نشوء العدد .

(٢٠) في ط : فانعطاف .

(٢١) في ط : واستبقائها .

الثلاثة ماسرى إليها من قُوَّةِ الاثنين وقُوَّةِ الواحد إلى الأربعة ، فتكون الأربعة من الواحد بوساطة^(٢٢) الثلاثة والاثنين . فيكون لوجود الأربعة ثلاث عِلَلٍ ؛ ثم يستمر الأمر كذلك^(٢٣) إلى أن تكون التسعة بما يسري إليها من قُوَّةِ الواحد بوساطة الثانية .

ومنتهى مراتب العددي التسع^(٢٤) عند وجود التسعة ؛ فإذا تجاوزت قُوَّةِ الواحد التسعة كَوْنَتْ^(٢٥) العشرة بتجاوز قُوَّةِ الواحد إليها مع قُوَّةِ التسعة ، واستدار العددي دوائر وهمية إلى مرتبة الواحد لكمال المراتب ، فكانت عشرة كواحد ، وعشرون كائنين ، وثلاثون كثلاثة ؛ إلى أن تكون تسعون كسبعة - وتسمى هذه : دوائر العشرات . ثم تزيد على التسعين تسعة لتقوم طبيعة العشرة^(٢٦) التي بها يصح وجود المئة ؛ فيصير العددي تسعة وتسعين .

فإذا تجاوزت^(٢٧) قُوَّةِ الواحد السارية في الأعداد التسعة والتسعين قامت طبيعة المئة بما أنتهى إليها من قُوَّةِ الواحد وقوى التسعة والتسعين ؛ واستدار العددي استدارة وهمية إلى مرتبة الواحد ؛ فتكون مئة كواحد ،

(٢٢) في ط : بوساطة الثلاثة .. بوساطة الثانية .

(٢٣) في ط : هكذا .

(٢٤) في ط : وتنتهي مراتب العدد التسعة .

(٢٥) في ط : تكوونت العشرة بتجاوز قُوَّةِ الواحد إليها في قوة التسعة .

(٢٦) في ط : لتقوم طبيعة العشرة .

(٢٧) في ط : فإذا تجاوز .

ومئتانِ كائنينِ ، وثلاثِ مئةٍ كئلاثةٍ ، وأربعِ مئةٍ كأربعةٍ إلى أن تصيرَ
تسعُ مئةٍ كتسعةٍ .

وتسمى هذه : دوائر المئين . فإذا بلغَ العددُ تسعَ مئةٍ كملت مراتبُ
الأحادِ التسعةَ ، فتزیدُ علیها تسعةً وتسعينَ لتقومَ بها طبيعَةُ المئةِ ؛
فيجتمعُ لذلكِ تسعُ مئةٍ وتسعةٌ وتسعونُ^(٢٨) .

فإذا تجاوزتْ قُوَّةُ الواحدِ السَّاريةُ في الأعدادِ هذا العددَ يكونُ الألفُ
بما سرى إليه^(٢٩) [١٨] من قُوَّةِ الواحدِ وقوى^(٣٠) الأعدادِ التي تینهُ
ويینهُ^(٣١) واستدارَ العددُ استدارةً وهميةً فرجعَ^(٣٢) إلى مرتبةِ الواحدِ ؛
فيكونُ ألفٌ كواحدٍ^(٣٣) ، وألفانِ كائنينِ^(٣٤) ، وثلاثةُ آلافٍ كئلاثةٍ إلى أنْ
تصيرَ تسعةَ آلافٍ كتسعةٍ . وتسمى هذه دوائرِ الآلافِ^(٣٥) .

وهكذا أبدأ تنمي^(٣٦) الأعدادُ يا يسري إليها من قُوَّةِ الواحدِ بوساطةِ^(٣٧)

(٢٨) في ط : فتزیدُ علیها ... فتجتمعُ لك تسع مئة وتسعين .

(٢٩) في ط : تكونت الألف بما يسري إليها .

(٣٠) في ط : وقوى الأعداد التي بينه وبينها .

(٣١) أي : بين الواحد وبين الألف . فجاء بالضميرين مذكرين لتذكير الواحد والألف .

(٣٢) في ط : ورجع .

(٣٣) في ط : الألف كواحد .

(٣٤) في ط هنا ، وفي عبارة سبقت مشابهة (كائنان) على الحكاية .

(٣٥) في ط : دوائر الألف .

(٣٦) في ط : تسمى الأعداد .

(٣٧) في ط : بواسطة .

الأعداد التي قبلها . ويكون كل عدد سبق^(٣٨) وجوده علة لما تأخر وجوده ؛ فيكون لما بعدت مرتبته عن مرتبة الواحد علة كثيرة ؛ كل واحد منها علة لوجوده ؛ ويصير الواحد علة للعلة ، وسبب الأسباب .

وكلما كملت مراتب الآحاد التسعة استدار العدد إلى مرتبة الواحد ؛ فصارت منه دوائر وهمية^(٣٩) .

وعلى مقدار بُعد ذلك العدد من الواحد يكون عظم دائرته وصغرها . فاعتبر ذلك تجده على ما قلناه .

ولأهل الهند وغيرهم في هذه الدوائر العددية رموز وألغاز طوي عن الناس علمها ؛ إذ كانت أذهان الجمهور تنبو^(٤٠) عن فهمها ؛ وعقولهم تقصر عن علمها .

ويرون أن في معرفة تنشؤ^(٤١) العدد من الواحد ، ونسبته إليه ، وانعطافه عليه^(٤٢) ، وكال مراتب الأعداد التسعة عليه معرفة^(٤٣) العالم وكيف وجد عن الباري تعالى .

(٣٨) في ط : ليسبق وجوده علة .

(٣٩) في ط : دائرة وهمية .

(٤٠) في ط : أذهان الناس تنبو .

(٤١) في ط : نشوء .

(٤٢) في ط : وانعطافه عند كال مراتب ... إلخ .

(٤٣) في ط : (معرفته) نشوء العالم .

قالوا : وليس يمكن الإنسان^(٤٤) أن يعلم حدوث الموجودات
[وانبعائها]^(٤٥) عن البارئ تعالى بطريق أقرب من طريق العدد .

وقد علم البارئ جلّ جلاله أنّ العقلاء المستعدين بفطرتهم^(٤٦)
الشريعة لقبول الحكمة سيفكّرون^(٤٧) في حدوث الموجودات عنه : فلا
يقدرّون^(٤٨) على تصوّر ذلك ؛ لأنّ الإنسان لا يمكنه أن يتصوّر حدوث
شيء إلا من هيولى ، وفي زمان وفي مكان وبحركة^(٤٩) وآلات^(٥٠) وأدوات .
ووجود الموجودات عن البارئ تعالى ليس هكذا^(٥١) ؛ لأنّ الأشياء كلّها
محدثّة مبدعة حدثت كلّها معاً^(٥٢) ؛ فجعل البارئ عزّ وجلّ لمعرفة ذلك
طريقاً أسهل من هذه الطريق ، وهو^(٥٣) الاعتبار بنشء^(٥٤) العدد عن
الواحد .

(٤٤) في ط : وليس يمكن للإنسان .

(٤٥) « وانبعائها » من ط .

(٤٦) في ط : بفطرتهم .

(٤٧) في ط : لقبول العلم سيفكّرون .

(٤٨) في ط : ولا يقدرّون .

(٤٩) في ط : بحركة .

(٥٠-٥١) ما بين هذين الرقنين سقط من : ط .

(٥٢) في ط : حديثاً كلها معاً .

(٥٣) في ط : وهي الاعتبار .

(٥٤) في ط : بنشوء .

- وفي اللغة يقال : نشأ نشأً ونشأةً ونشوءاً .

فَكَمَا أَنَّ الْوَاحِدَ عِلَّةٌ لَوْجُودِ الْعَدَدِ وَلَيْسَ مِنَ الْعَدَدِ ، فَكَذَلِكَ الْبَارِئُ
جَلَّ جَلَالُهُ عِلَّةٌ لَوْجُودِ الْعَالَمِ وَلَيْسَ مِنَ الْعَالَمِ .

وَكَمَا أَنَّ الْوَاحِدَ لَوْ تَوَهَّمَ ارْتِفَاعُهُ وَعَدَمُهُ لَارْتَفَعَتْ الْأَعْدَادُ كُلُّهَا
وَعُدِمَتْ : فَكَذَلِكَ الْبَارِئُ تَعَالَى [١٩] لَوْ ارْتَفَعَ وَعُدِمَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ
مَوْجُودًا .

وَمَا أَنَّ الْأَعْدَادَ كُلُّهَا لَوْ ارْتَفَعَتْ لَمْ يُوجِبْ ارْتِفَاعَهَا عَدَمَ الْوَاحِدِ ؛
كَذَلِكَ الْمَوْجُودَاتُ كُلُّهَا لَوْ ارْتَفَعَتْ لَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ ارْتِفَاعَ الْبَارِئِ
تَعَالَى ^(٥٥) .

فَتَبَّتْ بِهَذَا أَنَّ الْبَارِئَ عَزَّ وَجَلَّ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِ ؛ وَالْعَالَمُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ .
وَكَمَا أَنَّ وُجُودَ الْوَاحِدِ وُجُودٌ مُطْلَقٌ أَغْنِي أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ فِي وُجُودِهِ إِلَى
غَيْرِهِ وَوُجُودِ الْأَعْدَادِ كُلِّهَا وُجُودٌ مُضَافٌ [أَغْنِي أَنَّهَا غَيْرٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِأَنْفُسِهَا
فِي وُجُودِهَا ، لِأَنَّ وُجُودَهَا بِوُجُودِ الْوَاحِدِ ، وَكَذَلِكَ الْبَارِئُ تَعَالَى وَجُودٌ
مُطْلَقٌ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ فِي وُجُودِهِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَوُجُودَ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا
وُجُودٌ مُضَافٌ] لِأَنَّ وُجُودَهَا مُقْتَبَسٌ مِنْ وُجُودِهِ فَائِضٌ عَنْهُ ^(٥٦) .

وَكَمَا أَنَّ الْأَعْدَادَ كُلُّهَا اقْتَبَسَتْ الْوُجُودَ مِنَ الْوَاحِدِ مِنْ غَيْرِ حَرَكَةٍ وَلَا
زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَمْ يَحْتَاجِ الْوَاحِدُ فِي إِيجَادِهَا إِلَى شَيْءٍ آخَرَ غَيْرَ ذَاتِهِ .

(٥٥) في ط : « ... لو ارتفعت لم يوجب ذلك ارتفاع الواحد ، فكذلك لو ارتفع جميع

الموجودات لم يوجب ذلك ارتفاع البارئ تعالى » .

(٥٦) في ط : وفائض عنه .

فكذلك حدوث الموجودات عن البارئ تعالى بغير حركة ، وبغير زمان
وبغير مكان ، وبغير أدوات ، ومن غير أن يحتاج في إيجادها إلى شيء
غيره .

وكما أن الواحد يوصف بأنه تقدم الأعداد بالزمان ، ولا يبطل ذلك
بأن تكون^(٥٧) الأعداد محدثة عنه ، كذلك لا يوصف^(٥٨) البارئ بأنه تقدم
العالم بالزمان ولا يبطل ذلك أن يكون العالم محدثاً عنه .

وكما أن الواحد لم يتغير^(٥٩) عن وحدانيته بكثرة ما حدث من الأعداد
عنه ولم يوجب ذلك تكثراً في ذاته ولا استحالة في جوهرة ، فكذلك
حدوث العالم على كثرته لم يوجب^(٦٠) تغير الباري : - تعالى - عن
وحدانيته ، ولا تكثراً في ذاته ؛ تعالى الله عن صفات النقص .

وكما أن الأعداد توجد عن الواحد بتوسط الأحاد التسعة ، وما يجتمع
في العشرة من قواها كذلك وجدت الموجودات عن البارئ تعالى
بواسطة^(٦١) الثواني التسعة وما اجتمع^(٦٢) في الموجود^(٦٣) العاشر من القوى

(٥٧) في ط : ولا يبطل ذلك أن يكون .

(٥٨) في ط : وكذلك الباري سبحانه وتعالى لا يوصف بأنه

(٥٩) في ط : لا يتغير .

(٦٠) في ط : فكذلك حدوث العالم وكثرته لا توجب تغير الباري ...

(٦١) في ط : بواسطة الثواني .

(٦٢) في ط : وما يجتمع .

(٦٣) في المطبوع : « وما اجتمع في الموجود (العقل) العاشر ... » والقوس الذي عند

(العقل) من المطبوع .

السَّارِيَةِ إِلَيْهِ مِنَ الثَّوَانِي ، وَمَا فَاضَ عَلَيْهِ مِنْ قُوَّةِ الْوَحْدَانِيَّةِ
بِوَسَاطَتِهَا^(٦٤) .

وكذلك إذا اعتبرَ المُعْتَبِرَ وَفَكَّرَ الْمَفَكَّرَ وَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ
إِنَّمَا حَصَلَ^(٦٥) مَوْجُوداً بِأَنَّ صَارَتْ لَهُ ذَاتٌ يُوجَدُ بِهَا وَأَنْفَصَلَ مِنْ غَيْرِهِ^(٦٦) .

وَتِلْكَ الْوَحْدَةُ الَّتِي تَهْوَى بِهَا وَتُوَحَّدُ^(٦٧) إِنَّمَا سَرَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْبَارِيِّ
تَعَالَى بِوَسَاطَةِ^(٦٨) مَايَبْنَةُ وَيَبْنَةُ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ . وَتِلْكَ الْوَحْدَةُ هِيَ هُوِيَّتُهُ
وَصُورَتُهُ الَّتِي بِهَا قَوَامُهُ ، وَتَمَيَّزُهُ عَنْ^(٦٩) سِوَاهُ ، فَهِيَ فَارَقَتْهُ تِلْكَ [٢٠]
الْوَحْدَةَ عَدِمَ .

فَتَرِيَانُ الْوَحْدَةِ مِنَ الْبَارِيِّ تَعَالَى إِلَى الْأَشْيَاءِ^(٧٠) هُوَ الَّذِي كَوَّنَهَا ،
وَأَقْتَضَى^(٧١) وَجُودَهَا عَلَى مَرَاتِبِهَا ، وَصَيَّرَ بَعْضَهَا عَلَلاً لِبَعْضٍ ؛ وَهُوَ
- تَعَالَى - عِلَّةٌ وَجُودِ الْجَمِيعِ ، وَلِذَلِكَ سَمَّوْهُ عِلَّةَ الْعِلَلِ ، وَالْفَاعِلَ الْمَطْلُوقَ ،
وَالْفَاعِلَ بِالْحَقِيقَةِ ؛ لِأَنَّ فِعْلَ غَيْرِهِ إِنَّمَا هُوَ فِعْلٌ بِالْمَجَازِ . وَبِالإِضَافَةِ^(٧٢) لِأَنَّهُ

(٦٤) فِي ط : بِوَسَاطَتِهَا .

(٦٥) فِي ط : يَصِيرُ .

(٦٦) فِي ط : .. ذَاتٌ يَتُوَحَّدُ بِهَا وَفَصَلَ يَفْصَلُ مِنْ غَيْرِهِ .

(٦٧) فِي ط : الَّتِي بِهَا تَوْجَدُ إِنَّمَا سَارَتْ إِلَيْهِ ..

(٦٨) فِي ط ، بِوَسَاطَةِ .

(٦٩) فِي ط : وَتَمَيَّزُهُ عَمَّنْ سِوَاهُ .

(٧٠) فِي ط : لِلْأَشْيَاءِ .

(٧١) فِي ط : وَأَفَاضَ الْوُجُودَ عَلَى مَرَاتِبِهَا .

(٧٢) فِي ط : وَالإِضَافَةِ .

يَقْبَلُ الْفِعْلَ عَمَّا هُوَ أَسْبَقُ مِنْهُ وَجُوداً^(٧٣) ، وَيؤْذِيهِ إِلَى مَا بَعْدَهُ . فَهُوَ مُنْفَعِلٌ لِمَا فَوْقَهُ وَفَاعِلٌ لِمَا دُونَهُ^(٧٤) ؛ وَهُوَ مُنْفَعِلٌ بِالْحَقِيقَةِ فَاعِلٌ بِالْمَجَازِ وَالْإِضَافَةِ ، فَيَكُونُ مَبْدَأُ الْأَفْعَالِ مِنْ فَاعِلٍ لَا يَنْفَعِلُ كغَيْرِهِ الْبَتَّةَ ، وَمُنْتَهَاهَا إِلَى مُنْفَعِلٍ لَا يَفْعَلُ الْبَتَّةَ ؛ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعِلٌ فِيمَا دُونَهُ مُنْفَعِلٌ لِمَا فَوْقَهُ .

وَلِمَا ذَكَرْنَاهُ فِي هَذَا الْبَابِ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ إِنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى مَعَ كُلِّ شَيْءٍ^(٧٥) .

وَإِنَّمَا أَرَادُوا بِذَلِكَ وَجُودَ آثَارِ صَنْعَتِهِ فِي الْمَوْجُودَاتِ ، وَسِرْيَانَ الْوَحْدَةِ مِنْهُ الَّتِي بِهَا تَكُونُ^(٧٦) الْمَحْدَثَاتُ . وَلَمْ يُرِيدُوا بِذَلِكَ أَنَّهُ يَحُلُّ الْأَمْكَنةَ^(٧٧) ، وَيَقَعُ تَحْتَ الْأَزْمِنَةِ أَوْ يَلْتَبِسُ بِشَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ . تَقَدَّسَ عَنْ ذَلِكَ وَعَلَا عُلُوًّا كَبِيرًا .

وَقَدْ غَلِطَ قَوْمٌ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ غَلَطًا فَاحِشًا ؛ فَرَعَمُوا أَنَّ الْبَارِيَّ - تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِمْ -^(٧٨) سَيَّالَةٌ فِي الْعَالَمِ^(٧٩) ؛ وَهَذَا قَالَ ثَالِسٌ^(٨٠) :

(٧٣) فِي ط : عَمَّا هُوَ أَسْبَقُ وَجُوداً مِنْهُ .

(٧٤) فِي ط : وَفَاعِلٌ لِمَا تَحْتَهُ .

(٧٥) فِي ط : فِي كُلِّ شَيْءٍ إِنَّمَا أَرَادُوا .

(٧٦) فِي ط : تَكُونُ الْمَحْدَثَاتُ .

(٧٧) فِي ط : أَنَّهُ بِكُلِّ الْأَمْكَنةِ .

(٧٨) عِبَارَةٌ (عَنْ قَوْلِهِمْ) لَمْ تَرِدْ فِي ط .

(٧٩) فِي ط : صُورَةٌ تَنْهِيًا لَهُ فِي الْعَالَمِ .

(٨٠) ثَالِسٌ ، وَيُرْسِمُ عَادَةً : طَالِسٌ (نَحْوُ ٦٢٤ - ٥٤٧ ق . م مِنْ مَلَطِيَّةِ (فِي الْيُونَانِ) ،

قَالَ فِيهِ فِي الْمَوْسُوعَةِ الْفَلْسَافِيَّةِ : ٢٨٤ : أَوَّلُ فَيْلَسُوفِ إِغْرِيقِي قَدِيمٍ مَعْرُوفٍ مِنَ النَّاحِيَةِ =

إِنَّ اللَّهَ نَاشِبٌ فِي الْأَشْيَاءِ ^(٨١) .

وقال زينون ^(٨٢) : إن كَرَّةَ الْعَالَمِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٨٣) ؛ وَأَنَّ الْمَعْلُولَ هُوَ الْعِلَّةُ .

وإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْأَرَاءِ الْفَاسِدَةِ مَارَأُوهُ مِنْ سَرِيَانِ الْوَحْدَةِ فِي الْمَوْجُودَاتِ ، وَأَنَّ وُجُودَ كُلِّ شَيْءٍ مُتَعَلِّقٌ بِوُجُودِ الْبَارِئِ تَعَالَى . وَسَمِعُوا مَعَ

= التاريخية . واشتغل بالرياضيات والفلك ، واطلع على مدونات المصريين والبابليين عن الأجرام السماوية . وفي الموسوعة الفلسفية المختصرة : (٢٨٠) ويبدو أن طاليس قد قال بأن الأشياء كلها مملوءة بالآلهة « وفترت هنا بمعنى أنها مملوءة بالروح أو الحركة ، ومبدأ الحياة الذي بسبب سعة وقوته لا بد أن يكون إلهياً .

وفي الموسوعة الفلسفية ١ : ٢٢٧ قال د. بدوي : وهم يذكرون عن طاليس أنه كان يقول بإله واحد ، وأن هذا الإله مختلف عن الإنسان ، وأن صفات الله ليست تلك الصفات التي ينسبها الشعراء إلى الآلهة فإنها صفات إنسانية خالصة . ثم قال : إن ما ينسب إليه من هذه الناحية مشكوك فيه .. الخ ويراجع مقاله فيه .

(٨١) في ط : إن الله تعالى ثابت في الأشياء .

(٨٢) زينون : هو زينون الإيلي (نحو ٤٩٠ - ٤٣٠ ق . م) من تلاميذ برمنيدس أول الفلاسفة الحقيقيين في المدرسة الإيلية .

قال د. بدوي في الموسوعة الفلسفية « ويعده البعض أول فيلسوف ميتافيزيقي وجد في بلاد اليونان ، خصوصاً إذا لاحظنا أنه قد قصر بحثه على فكرة الوجود ، ونظر إلى الوجود بحسبانه شيئاً مجرداً وليس هو الطبيعة نفسها ، كما أضاف إلى الوجود الصفات الأصلية التي تجعل من هذا الوجود كالألوهية سواء بسواء ، ولهذا لم يكن يفرق بين الوجود والآلهة فالوجود أولاً يتصف بالوحدة لأنه لا شيء غير الموجود ، ويتصف ثانية بالثبات .. » .

(٨٣) في ط : هي الله .

هذا^(٨٤) قول القُدَمَاء من الحُكَمَاء : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعَ كُلِّ شَيْءٍ^(٨٥) فَتَنَّتَجَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ هَذَا^(٨٦) التَّوَهُّمَ الْحَبِيثَ ؛ وَلَمْ يَفَكَّرُوا فِي أَنْ^(٨٧) ذَلِكَ يَقُودُهُمْ إِلَى الْمَحَالِّ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْبَارِئُ تَعَالَى مَحْمُولًا فِي غَيْرِهِ ، لِأَنَّ كُلَّ صُورَةٍ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى مَوْضُوعٍ يَحْمِلُهَا^(٨٨) . وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ قَدِيمًا ، وَتَبْطُلُ دَلَائِلُ الْحُدُوثِ ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ^(٨٩) أَنْ يَكُونَ الْبَارِئُ تَعَالَى وَاقِعًا تَحْتَ الْأَزْمَنَةِ ، مَحَلًّا^(٩٠) فِي الْأَمْكَانَةِ فِي اسْتِحَالَةٍ دَائِمَةٍ ؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْهَيُولَى أَنْ يَلْبَسَ الصُّورَةَ تَارَةً ، وَيَخْلَعَهَا تَارَةً ، وَأَنْ يَكُونَ الْبَارِئُ تَعَالَى شَخْصًا تَارَةً^(٩١) ، وَتَارَةً نَوْعًا . وَتَارَةً جِنْسًا ، [وَتَارَةً فَضْلًا]^(٩٢) ، وَتَارَةً فَاعِلًا وَتَارَةً [٢١] مُنْفَعِلًا .

وَشِبْهُ هَذَا مِنَ الْمَحَالِّ^(٩٣) . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ !

وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا يُعَدُّونَ فِي سَخَفَاءِ الْفَلَسَافَةِ لَا فِي عَقْلَانِهِمْ^(٩٤) ، وَفِي

(٨٤) فِي ط : وَسَمِعُوا مَعَ ذَلِكَ

(٨٥) فِي ط : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ فَأَتَج

(٨٦) كَلِمَةٌ (هَذَا) لَمْ تَرُدْ فِي : ط .

(٨٧) فِي ط : لَمْ يَفَكَّرُوا أَنْ

(٨٨) فِي ط : مَوْضُوعٌ يَحْمِلُهَا

(٨٩) فِي ط : وَيَلْزَمُهُمْ أَنْ

(٩٠) فِي ط : مُخْتَمَلًا

(٩١) فِي ط : تَارَةً شَخْصًا .

(٩٢) مَا بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ مِنْ ط فَقَطْ . وَتَبَةُ الْعِبَارَةِ لَمْ تَرُدْ فِي ط .

(٩٣) فِي ط : مِنْ الْمَحَالِّاتِ .

(٩٤) فِي ط : وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ يُعَدُّونَ مِنْ سَخَفَاءِ ... لَا مِنْ ...

جَهَاهُمْ لَا فِي عِلْمَائِهِمْ^(٩٥) .

وقد أجمع العارِفونَ بالله - عَزَّ وَجَلَّ -^(٩٦) أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ
مِنَ جَمِيعِ الْجِهَاتِ : لَا يُشْبَهُ شَيْئاً وَلَا يُشْبَهُهُ شَيْءٌ^(٩٧) مُبَايِنَةٌ لَا تَقْتَضِي
تَخَيُّراً يَمْكَانُ وَأَنْفِصَالاً : وَأَنَّهُ مَوْجُودٌ^(٩٨) مَعَ كُلِّ شَيْءٍ وَجُوداً لَا يَقْتَضِي
مُازَجَةً وَاتِّصَالاً ، بَلْ صِفَةٌ مُبَايِنَةٌ : وَصِفَتُهُ صِفَةٌ لَا تُحِيطُ بِهَا الْعُقُولُ^(٩٩) .
وَإِنَّا يُعَلِّمُ ذَلِكَ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ^(١٠٠) مِنْ غَيْرِ تَصْوِيرٍ وَلَا تَمَثِيلٍ
كَسَائِرِ صِفَاتِهِ الَّتِي تُثَبَّتُ وَلَا تُكَيَّفُ .

وقد رَدَّ أرسطاطاليس^(١٠١) كُلَّ قَوْلٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ^(١٠٢) ، وَأَنْكَرَهُ ،
وَضَلَّ قَائِلَهُ وَكَفَّرَهُ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : كَيْفَ أَنْكَرَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ^(١٠٢) وَكَفَّرَ مَنْ قَالَهَا ، وَهُوَ
قَدْ قَالَ^(١٠٣) فِي كِتَابِهِ الْمَرْسُومِ بِـ (مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ) إِنْ الْبَارِئُ تَعَالَى عِلَّةٌ

(٩٥) فِي ط : وَمِنْ جِهَاهُمْ .. لَا مِنْ عِلْمَائِهِمْ .

(٩٦) فِي ط : وَأَجْمَعَ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُبَايِنٌ .. الْخ

(٩٧) فِي ط هُنَا تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ بَيْنَ الْعِبَارَتَيْنِ .

(٩٨) فِي ط : وَأَنَّهُ مَوْجُودٌ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ .

(٩٩) فِي ط : بَلْ صِفَةٌ جَلِيَّةٌ وَصِفِيَّةٌ لَا تُحِيطُ بِهَا الْعُقُولُ .

(١٠٠) فِي ط : بِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الدَّلَائِلُ .

(١٠١) فِي ط : أَرِسْطُو .

(١٠٢) فِي ط : مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ .

(١٠٣) فِي ط : وَهُوَ قَالَ فِي كِتَابِهِ الْمَوْسُومِ .

- كَانَ أَرِسْطُو يَسْمِي كِتَابَهُ هَذَا : الْفَلَسَفَةُ الْأُولَى . وَإِنَّمَا سَمَّاهُ : مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ

أَنْدَرُونِيْقُوسِ (عَاشَ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ قَبْلَ الْمِيلَادِ) وَيَتَأَلَّفُ مِنْ أَرْبَعِ عَشْرَةَ مَقَالَةً .

للعالم^(١٠٤) ، على معنى أنه فاعِلٌ له ، وأنه غايةٌ له ، وأنه صورةٌ [له] .

فالجوابُ : أنه لم يردْ ماتوَهَّمَتُهُ^(١٠٥) . وكيف يصحُّ أن يُنكَرَ شيئاً ويقول بمثله ؛^(١٠٦) وقد صرَّحَ بأنَّ الباريَّ - سُبْحَانَهُ -^(١٠٧) لا يُوصَفُ بالصُّورةِ الشَّخْصِيَّةِ ولا بالصُّورةِ النَّوْعِيَّةِ ولا بِصِفَةٍ يَلْحَقُهُ بِهَا نَقْصٌ - تَعَالَى عَنِ ذَلِكَ - وَأَنَّهُ مُبَايِنٌ^(١٠٨) للأشياءِ غيرِ مَوْصُوفٍ بِصِفَاتِهَا فَتَبَّتْ بِهَذَا أَنَّهُ إِنَّمَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ صُورَةٌ لِلْعَالَمِ بِمَعْنَى لَا يَلْحَقُهُ بِهِ نَقْصٌ وَلَا شِبْهُهُ كَمَا يُسَمَّى حَيًّا وَعَالِيًّا وَقَادِرًا وَنَحْوَ ذَلِكَ عَلَى مَعَانٍ [لَا تُوجِبُ شَبْهًا ، وَلَا تَقْتَضِي تَقْصًا ، وَذَلِكَ عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ]^(١٠٩) :

أَحَدُهَا :

أَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ وُجُودٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ^(١١٠) إِلَّا الْبَارِيُّ تَعَالَى وَمَصْنُوعَاتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ضِدٌّ وَلَا نِدٌّ ، وَكَانَ هُوَ الْمَوْجُودَ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، فَوُجُودُ^(١١١) مَصْنُوعَاتِهِ مُقْتَبَسٌ مِنْ وُجُودِهِ حَتَّى إِنَّهُ لَوْ تَوَهَّمَ ارْتِفَاعَهُ تَعَالَى لَارْتَفَعَ كُلُّ مَوْجُودٍ وَصَارَ وُجُودُ الْعَالَمِ كَلَّا وَجُودٌ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَوَامٌ بِذَاتِهِ : وَصَارَ

(١٠٤) في ط : عِلَّةُ الْعَالَمِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ فَاعِلٌ ، وَأَنَّهُ غَايَةٌ لَهُ ، وَأَنَّهُ صُورَةٌ لَهُ .

(١٠٥) في ط : مَاتُوَهَّمَتُهُ .

(١٠٦) في ط : وَهُوَ يَمِثْلُهُ .

(١٠٧) في ط : وَقَدْ صرَّحَ بِأَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالصُّورَةِ الْخ .

(١٠٨) في ط : وَإِنَّمَا هُوَ مُبَايِنٌ لِلْأَشْيَاءِ بِمَعْنَى أَنَّهُ غَيْرُ مَوْصُوفٍ .

(١٠٩) ما بين معقوفتين مستدرَك من : ط .

(١١٠) في ط : أَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا بِالْحَقِيقَةِ إِلَّا الْبَارِي .

(١١١) في خ : وَوُجُودٌ . وَالْمَثْبُوتُ مِنْ : ط .

كَأَنَّهُ مُوجُودٌ وَاحِدٌ^(١١٢) ، وَصَارَ كَأَنَّهُ صُورَةٌ لَهُ إِذْ كَانَ وَجُودُهُ^(١١٣) بِهِ كَمَا
يُوجَدُ الْمُصَوِّرُ بِصُورَتِهِ - وَإِنْ كَانَ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالصُّورَةِ -

وَقَدْ قَالَ أَفْلَاطُونُ^(١١٤) نَحْوَ هَذَا فِي كِتَابِ طِيمَاوُسَ : وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ :

« مَا الشَّيْءُ الَّذِي هُوَ مَوْجُودٌ الدَّهْرَ وَلَيْسَ لَهُ تَكُونُ الْبَتَّةَ ؟ »

وَمَا الشَّيْءُ الَّذِي^(١١٥) يَتَكَوَّنُ [٢٢] الدَّهْرَ وَلَيْسَ لَهُ الْبَتَّةَ
وَجُودٌ؟^(١١٦) .

فَالأَوَّلُ^(١١٧) : الْأَنْوَاعُ وَالْأَجْنَاسُ ، وَالثَّانِي : الْأَشْخَاصُ .

فَجَعَلَ الْأَشْخَاصَ الَّتِي هِيَ مُوجُودَةٌ عِنْدَنَا^(١١٨) كَأَنَّهَا غَيْرُ مُوجُودَةٍ ؛
لأنَّهَا فِي سَيْلَانٍ مُتَّصِلٍ ، وَاسْتِحْآلَةٍ دَائِمَةٍ . وَأُثْبِتَ الْوُجُودَ لِأَنْوَاعِهَا
وَأَجْنَاسِهَا وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مُوجُودَةٍ بِالْحَوَاسِّ عِنْدَنَا لِتَبَاتِهَا عَلَى حَالٍ

(١١٢) فِي ط : وَصَارَ كَأَنَّهُ مَوْجُودًا وَاحِدًا .

(١١٣) فِي ط : مَوْجُودًا بِهِ .

(١١٤) مِنْ كِتَابِ أَفْلَاطُونِ : كِتَابِ طِيمَاوُسَ ؛ (الْمَوْسُوعَةُ الْفَلَسْفِيَّةُ ١ : ١٥٧)

- وَصَدَرَ الْكِتَابُ فِي تَرْجُمَةٍ عَرَبِيَّةٍ ، فِي دِمَشْقَ ١٩٦٨ عَنْ وَزَارَةِ الثَّقَافَةِ وَالْإِرْشَادِ الْقَوْمِيِّ

(تَرْجُمَةُ الْأَبِ فُوَادِ جَرَجِي بِرَبَارَةِ وَتَحْقِيقِ أَلْبِيرِ رِيْفُو وَتَقْدِيمِهِ : بِعَنْوَانِ ، الطِّيمَاوُسُ

وَإِكْرِيْتَيْسُ) .

(١١٥) فِي ط : الشَّيْءُ الَّذِي ... وَالشَّيْءُ الَّذِي يَتَكَوَّنُ

(١١٦) فِي ط : يَتَكَوَّنُ فِي الدَّهْرِ لَيْسَ لَهُ وَجُودُ الْبَتَّةِ .

(١١٧) فِي ط : أَرَادَ بِالْأَوَّلِ : الْأَنْوَاعُ ... وَبِالثَّانِي ...

(١١٨) فِي خ : عِنْدَهَا . وَالمُثْبِتُ مِنْ : ط .

وَاحِدَةٍ^(١١٩) لَا تَتَغَيَّرُ عَنْ طَبْعِهَا . فَهَكَذَا جَعَلَ أَرِسْطُاطَالِيسُ^(١٢٠) الْعَالَمَ
حِينَ كَانَ لِقَوَامِ لَهُ بِنَفْسِهِ ، كَأَنَّهُ غَيْرُ مُوجُودٍ ، وَجَعَلَ الْوُجُودَ^(١٢١) إِنَّمَا هُوَ
الْبَارِئُ غَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ ، وَجَعَلَهُ كَالصُّورَةِ الَّتِي لَا يُوجَدُ الْمَصَوِّرُ إِلَّا بِهَا
تَقْرِيْبًا لِاحْتِقَاقِ حِينَ كَانَ وُجُودَهُ سَبَبًا لِوُجُودِهَا^(١٢٢) كَمَا تَكُونُ الصُّورَةُ
سَبَبًا لِوُجُودِ مَصَوِّرِهَا .

وَسَمِّيَ الصُّوفِيَّةُ هَذَا : الْفَنَاءُ^(١٢٣) فِي التَّوْحِيدِ ، وَيَرُونَهُ أَرْفَعَ مَرَاتِبِهِ
فَهَذَا أَحَدُ الْمَعَانِي الَّتِي بِهَا سُمِّيَ الْبَارِئُ تَعَالَى صُورَةَ لِلْأَشْيَاءِ .

وَالْمَعْنَى الثَّانِي :

أَنَّهُ تَعَالَى أَفَاضَ مِنْ وَحْدَتِهِ عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ مَا صَارَتْ^(١٢٥) لَهُ بِهِ هَوِّيَّةٌ
يَتَصَوَّرُ بِهَا : فَكُلَّ مَوْجُودٍ إِنَّمَا يُوجَدُ بِتِلْكَ الْوَحْدَةِ الَّتِي سَرَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ
بِصُورَتِهِ^(١٢٦) .

(١١٩) فِي ط : عَلَى حَالٍ وَاحِدٍ لَا تَتَغَيَّرُ .

(١٢٠) فِي ط : أَرِسْطُو .

(١٢١) فِي ط : وَجَعَلَ الْمَوْجُودَ هُوَ الْبَارِئُ وَحْدَهُ

(١٢٢) فِي ط : سَبَبًا لِوُجُودِهِ

(١٢٣) فِي ط : وَيُسَمَّى هَذَا الصُّوفِيَّةُ : الْفَنَاءُ ... الْخ .

- وَفِي خ : « هَذَا لَبِنَا فِي التَّوْحِيدِ » . وَأَثْبَتَ كَلِمَةَ الْفَنَاءِ مِنْ : ط .

(١٢٤) فِي ط : يُسَمَّى .

(١٢٥) فِي ط : مَا صَارَ .

(١٢٦) فِي ط : بِصُورَتِهَا .

والمعنى الثالث :

أنَّ الصُّورَةَ هي غَايَةُ الْمُصَوِّرِ وَكَمَالِهِ : لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا كَانَ بِالْقُوَّةِ فَهُوَ عَلَى كَمَالِهِ الْأَوَّلِ . فإِذَا خَرَجَ إِلَى الْفِعْلِ كَانَ عَلَى كَمَالِهِ الْآخِرِ^(١٢٧) .
وخرُوجُه من القُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ إِنَّمَا هُوَ بِالصُّورَةِ .

فَلَمَّا كَانَ الْبَارِئُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الْعَالَمَ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ ،
أَعْنَى مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ ، صَارَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ كَأَنَّهُ صُورَةٌ لِلْعَالَمِ^(١٢٨) ،
وَإِنْ كَانَ غَيْرَ صُورَةٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ .

وَسَتَرَى^(١٢٩) كَلَامَنَا . فَمَا بَعْدَ هَذَا ، بِمَا يَزِيدُ^(١٣٠) هَذَا الْمَعْنَى وَضُوحاً :
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١٢٧) في ط : صار على كماله الآخر .

(١٢٨) في ط : صورة العالم .

(١٢٩) في ط : وسترى في كلامنا .

(١٣٠) في ط : بأزيد من هذه المعاني ...

الباب الخامس

في شرح قولهم : إن صفات الباري تعالى لا يصح
أن يوصف بها إلا على وجه السلب

اعلم أن الصفات نوعان :

نوع يوصف به ^(١) الموصوف لإزالة اشتراك يكون بينه وبين موصوف
آخر ، كقولك : « جاءني زيد » والمخاطب يعرف رجلين كل واحد
منهما يسمى بهذا الاسم ، أو رجلاً : كل واحد منهم له هذا الاسم [٢٣]
فيحتاج المخبر أن يصفه بصفة يمتاز بها عند المخاطب ممن يشاركه في
اسمه .

والنوع الآخر : لا يراد به إزالة اشتراك ^(٢) ، ولكن يراد به مدح الموصوف ،
أو ذمه . والمخاطب غني عن أن يوصف له المذكور ؛ كقول القائل : رأيت ابنك
النجيب ، وليس لمن تخاطبه إلا ابن واحد ؛ ونحو ذلك .

وصفات الباري - جلّ جلاله - كلها من هذا النوع الثاني ^(٣) : إنها هي
صفات يمجدها بها الواصفون ، ويثني عليه بها المثنون .

(١) في ط : يوصف بها لإزالة الاشتراك .

(٢) في ط : الاشتراك .

(٣) في ط : من هذا النوع ، وهذا النوع إنما هو صفات .. إلخ .

وَمَا كَانَ الْبَارِئُ - جَلَّ جَلَالُهُ - بَائِئاً عَنِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ^(٤) غَيْرِ
 مُشَبَّهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ صَارَ الْمُشَبَّهِ عَلَيْهِ مُقَصَّراً فِي ثَنَائِهِ - وَإِنْ
 اجْتَهَدَ - غَيْرَ بِالْغِ^(٥) مَا يَسْتَوْجِبُهُ - وَإِنْ عَظَّمَ وَمَجَّدَ - .
 وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَدْحَ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٌ^(٦) :

إِفْرَاطٌ ؛

وَاقْتِصَادٌ ؛

وَتَقْصِيرٌ ؛

فَالِإِفْرَاطُ : أَنْ يَرْفَعَ الْمَادِحُ الْمَمْدُوحَ إِلَى مَرْتَبَةٍ أَرْفَعَ مِنْ مَرْتَبَتِهِ ،
 وَمَنْزِلَةٍ أَعْلَى مِنْ مَنْزِلَتِهِ .

وَالِاقْتِصَادُ : أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ بِهِ مَرْتَبَتَهُ ، وَلَا يَتَخَطَّى مَنْزِلَتَهُ .

وَالْتَقْصِيرُ : أَنْ يَحْطئه عَنْ مَرْتَبَتِهِ ، وَلَا يُوفِّيهِ حَقَّ مَنْزِلَتِهِ .

فَالْوَجْهَانِ الْأَوْلَانِ مُحَالٌ^(٧) فِي وَصْفِ الْبَارِئِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ
 الْمَادِحَ^(٨) أَنْ يَمْدَحَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ وَيَسْتَوْجِبُهُ ؛ لِأَنَّ مَرْتَبَتَهُ مَجْهُولَةٌ الْكُنْهِ ،
 لَا تُحِيطُ بِهَا الْعُقُولُ ؛ وَلَيْسَ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِ مَرْتَبَةٌ أَعْلَى مِنْهَا فَيُرْفَعُ^(٩)

(٤) في ط : جميع المحدثات غير مشبه لشيء .

(٥) في ط : غير بالغ ليا .

(٦) في ط : على ثلاثة أنواع .

(٧) في ط : محالان .

(٨) كلمة (المادح) لم ترد في : ط .

(٩) في ط : فيرفعه .

إليها : لأنه نهاية الأشياء وغايتها فليس في مدح المادح له إفراط ولا اقتصاد . وكلُّ مادح له مُقَصِّرٌ في مدحه غير واصل له بالواجب من حقه ، لأنه يصفه بصفات : المَعْقُولُ منها^(١٠) معانٍ مُخَالَفَةٌ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ . فإذا قال : إنه حَيٌّ ،^(١١) وإِنَّهُ عَالِمٌ ، وإِنَّهُ سَمِيعٌ^(١٢) ، وإِنَّهُ بَصِيرٌ ، فَإِنَّمَا يَصِفُهُ بِصِفَاتٍ إِنْ حُمِلَتْ عَلَى تَعَلُّقِهِ بِجُزْءٍ مِنْهَا لَمْ يَلْقُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَوْجَبَتْ شَبَهَهُ بِالْمَخْلُوقَاتِ ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ^(١٣) .

فلهذه العلة افترق الناس في وصفه - جلَّ جلاله - فِرْقَتَيْنِ : فقالت فِرْقَةٌ لَاتَثْبُتُ لَهُ صِفَةٌ عَلَى طَرِيقِ الْإِيجَابِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ شَبَهَهُ بِخَلْقِهِ ، وَلَكِنْ تُسَلِّبُ عَنْهُ أَضْدَادَ هَذِهِ الصِّفَاتِ ؛ فَلَا تَقُولُ عَنْهُ^(١٣) : عَالِمٌ ، وَلَكِنْ تَقُولُ : لَيْسَ بِعَالِمٍ ؛ وَلَا تَقُولُ : هُوَ^(١٤) قَادِرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ بِعَاجِزٍ ؛ وَلَا تَقُولُ : هُوَ مُوْجُودٌ ، وَلَكِنْ : لَيْسَ بِمَعْدُومٍ .

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ ثَانِيَةٌ : تُوجِبُ لَهُ الصِّفَاتِ [٢٤] وَتَتَّبِعُهَا حَرْفُ السَّلْبِ لِنَزِيلِ مَا تَوَهَّمُ فِيهِ مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْمَخْلُوقِينَ^(١٥) ؛ فَتَقُولُ : هُوَ حَيٌّ لَا كَالْأَحْيَاءِ ، وَعَالِمٌ لَا كَالْعُلَمَاءِ ، وَمَوْجُودٌ لَا كَالْمَوْجُودَاتِ .

(١٠) في ط : المعقول فيها .

(١١) - (١١) ما بين هذين الرقمين لم يرد في : ط .

(١٢) في ط : إِنْ حُمِلَتْ عَلَى مَا تَعْقِلُهُ نَحْنُ مِنْهَا لَمْ يَلْقُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ ، بَلْ هَذَا رَأْيِي خَبِيثٌ مِنَ الَّذِينَ شَبَّهُوهُ بِالْمَخْلُوقَاتِ ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ .

(١٣) كلمة (عنه) لم ترد في : ط .

(١٤) في ط : وَلَا تَقُولُ : قَادِرٌ ، وَلَكِنْ تَقُولُ : لَيْسَ بِعَاجِزٍ ، وَلَا تَقُولُ هُوَ مُوْجُودٌ وَلَكِنْ تَقُولُ : لَيْسَ بِمَعْدُومٍ .

(١٥) في ط : مِنْ الشَّبهِ لِلْمَخْلُوقَاتِ .

قَالُوا :

وَإِذَا قُلْنَا : هُوَ حَيٌّ ، وَمَوْجُودٌ ، وَعَالِمٌ ، وَقَادِرٌ : وَلَمْ نَذْكُرْ حَرْفَ
السُّلْبِ فَإِنَّا نَتْرِكُ^(١٦) ذَاكَ اخْتِصَارًا ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُضْمَنًا فِي
الصِّفَةِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُضْمَنًا فِيهَا لَمْ تَصِحْ^(١٧) .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : مِنْ أَيْنَ كَرِهْتَ الْفِرْقَةَ الْأُولَى إِجْبَابَ الصِّفَةِ ، وَأَبْوًا
أَنْ يَصِفُوهُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ السُّلْبِ ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ : « زَيْدٌ
لَيْسَ بِجَاهِلٍ » يُفِيدُ مَا يُفِيدُهُ قَوْلُنَا : « زَيْدٌ عَالِمٌ » ؟

فَالْجَوَابُ أَنَّ الْقَوْلَ الْمَنْفِيَّ لَا يُوجِبُ حُكْمًا غَيْرَ حُكْمِ النَّفْيِ ، وَلَيْسَ
يَحْصُلُ مِنْهُ^(١٨) تَشْبِيهُ وَلَا تَمَثِيلٌ يَقَعُ بِهِمَا قِيَاسٌ كَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْإِجْبَابِ .
أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ^(١٩) : « زَيْدٌ غَيْرٌ قَائِمٌ » وَ « عَمْرٌو غَيْرٌ قَائِمٌ » فَقَدْ
تَقَيَّتْ^(٢٠) عَنْهُمَا جَمِيعًا الْقِيَامَ ، وَلَمْ تُوجِبْ لِهَذَا اجْتِمَاعًا فِي مَعْنَى آخَرَ ؛
لِأَنَّهُ^(٢١) قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا قَاعِدًا وَالْآخَرَ نَائِبًا [أَوْ] مُضْطَجِعًا^(٢٢)
وَكِلَاهُمَا غَيْرَ قَائِمٍ ؟ ..

(١٦) فِي ط : تَتْرَكَةٌ .

(١٧) فِي ط : لَمْ يَصَحَّ .

(١٨) فِي ط : يَحْصُلُ فِيهِ .

(١٩) فِي ط : أَنَا إِذَا قُلْنَا .

(٢٠) فِي ط : فَإِنَّا تَقَيْنَا .. وَلَمْ نُوَجِبْ .

(٢١) فِي ط : لِأَنَّهُ .

(٢٢) حَرْف (أَوْ) زِيَادَةٌ مِنْ عِنْدِي . وَالَّذِي فِي الْمَطْبُوعِ : ... أَحَدُهُمَا قَاعِدًا وَالْآخَرَ
مُضْطَجِعًا ..

وكذلك أنا^(٢٣) إذا نفينا عن نفسين البياض لم نوجب لهما اجتماعاً^(٢٤)
في لونٍ آخر من حمرة أو صفرة أو سوادٍ أو غير ذلك .

وكذلك لو شهد شاهدان عند حكم^(٢٥) بأن زيداً لم يبع ضيعته من عمر ولم
يكن موجباً أن عمراً لا يملكها^(٢٦)؛ لأن للملك وجوهاً كثيرة غير البيع . فليس
في شهادتيها أكثر من نفي البيع . وهذا أمر متفق عليه في الأضداد التي بينها
وسائط . فأما الأضداد التي ليس^(٢٧) بينها وسائط ففيها خلاف .

فقوم يرون أن القائل إذا قال : « في الدار رجلان أحدهما ليس
بحي » فقد أوجب أن الآخر حي .

وقوم يرون أنه لم يوجب أكثر من موت الذي نفى عنه الحياة فقط .

وكذلك إذا قال^(٢٨) : « أحدهما حي » فقد أوجب الموت للآخر عند
من رأى^(٢٩) الرأي الأول . وليس فيه إيجاب موت الآخر على رأي من رأى
الرأي الثاني .

ولا حاجة بنا إلى ذكر ما احتج به كل واحد من الفريقين في هذا

(٢٣) في ط : وكذلك إذا نفينا عن جسمين .

(٢٤) في ط : اشتراكاً .

(٢٥) في ط : حاكم .

(٢٦) في ط : ... لم يكن ذلك موجباً إلا أن يكون عمرو ملكها ؛ لأن للملك ...

(٢٧) في ط : ليست .

(٢٨) في ط : كان أحدهما حياً .

(٢٩) في ط : ... فقد أوجب موت الآخر على رأي من رأى ..

المَوْضِع ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِمَّا قَصَدْنَاهُ ؛ وَإِنَّا قَصَدْنَا هَاهُنَا شَرْحَ مَعْنَى
قَوْلِهِمْ ؛ إِنَّ صِفَاتِ الْبَارِي - جَلَّ جَلَالُهُ - لَا تَصِحُّ حَتَّى يُقَرَّنَ بِهَا حَرْفُ
السُّلْبِ [٢٥] .

بَابُ ذِكْرِ الشُّبْهِ

الَّتِي اغْتَرَّ بِهَا^(٣٠) مَنْ زَعَمَ أَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ^(٣١) مُحَدَّثَةٌ
جَلَّ عَنْ ذَلِكَ

اعْلَمْ - عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَرَانَا سَبِيلَ الْعِلْمِ
وَالْجَهَالَةِ^(٣٢) - أَنَّ مَا دَعَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ^(٣٣) إِلَى هَذَا الْاِعْتِقَادِ الْخَبِيثِ أَنَّهُمْ رَأَوْا
أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ لَا يَصِحُّ إِلَّا عَلَى وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : الْعَقْلُ وَالنَّظَرُ .

وَالْآخَرُ : السَّمْعُ وَالْبَصَرُ^(٣٤) .

(٣٠) في ط : باب ذكر التشبيه الذي اغتر به ..

(٣١) في ط : - تعالى عن قولهم - .

(٣٢) في ط : سبيل العلم والهداية .

- وقوله : سبيل العلم والجهالة : أي : معرفة طريقي العلم والجهل للتمييز بينهما .
ولكل من عبارتي (ط) و (خ) وجه مقبول .

(٣٣) في ط : أن السبب الذي دعا هؤلاء القوم إلى هذا الرأي الخبيث أنهم ..

(٣٤) في ط : السمع والخبر .

ولا طريقَ إلى إثباتها إلا^(٣٥) من هذين الوجهين .^(٣٦) وإنما يصحُّ كلُّ واحدٍ من هذين الوجهين^(٣٦) بوجودِ المُحدثاتِ . فلما كان البارئُ - تعالى - في القِدَمِ قَبْلَ حَدوثِ الأشياءِ مُنفِرداً بِالوُجودِ ، ولم يكنْ هُنَاكَ مَوْجُودٌ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِأَثَارِ مَصْنُوعَاتِهِ^(٣٧) ، وَيُخاطَبُهُ هُوَ تَعَالَى بِمَشْرُوعَاتِهِ لم يكنْ حِينئذٍ موصُوفاً بِصِفَةِ لِعَدَمِ المُخاطَبِينَ والمُعْتَبِرِينَ . فلما أُحْدِثَ المَوْجُودَاتِ وَقَعَ حِينئذٍ الاستِدْلالُ عَلَيْهِ ، وَمُخاطَبَتُهُ للبَشَرِ^(٣٨) بأنَّه حَيٌّ وبأنَّه عالِمٌ ، وبأنَّه قَادِرٌ ، ونحو ذلك : فَوُصِفَ حِينئذٍ بِالصِّفَاتِ ، ووصَفَ نَفْسَهُ هُوَ بِهَا . فَصارتُ الصِّفَاتُ مُحْدَثَةً بِحُدُوثِ المَوْجُودَاتِ .

ومَنْ لا يُعَرِّفُ بالنُّبُوتِ ، ولا يَعْتَرِفُ بأنَّ اللهَ بَعَثَ بَشَرًا فَالصِّفَاتُ على رَأْيِهِ أُمُورٌ أُحْدِثَهَا المَخْلُوقُونَ^(٣٩) ، ثم اسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِأَثَارِ مَصْنُوعَاتِهِ ، واشْتَقُّوا^(٤٠) لَهُ مِن أفعالِهِ وما تَقَرَّرَ في نَفوسِهِم من مَعْرِفَةِ صِفَاتِ وَصْفُوهِ بِهَا .

فَيَقَالُ^(٤١) لِمَنْ قالَ بِهَذَا القَوْلِ الفاسِدِ : هذا الَّذِي قُلْتُمُوهُ^(٤٢) لا يُبْطِلُ

(٣٥) أكثر من هذين الوجهين .

(٣٦) ما بين هذين الرقيين لم يرد في ط ، وسقط منه سهواً .

(٣٧) في ط : بأثاره ومصنوعاته ، ومخاطبته .

(٣٨) في ط : ومخاطبته البشر .

(٣٩) في ط : المخلوقات .

(٤٠) في ط : بأثاره ومصنوعاته فاشتقوا .

(٤١) في ط : فنقول .

(٤٢) في ط : ... هذا الذي قُلْتُمُوهُ من معرفة أنه صفات وصفوه بها لا يبطل ...

أَنْ يَكُونَ مَوْصُوفًا بِالصِّفَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ فِي الْأَزْلِ ، فَيَكُونُ عَالِمًا ، قَادِرًا
[مُرِيدًا] ، مَوْجُودًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ يَسْتَدِلُّ أَوْ يُخَاطَبُ^(٤٣) .
وَلَيْسَ مِنْ جِهَةِ الشَّرْطِ^(٤٤) فِي الصِّفَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ إِلَّا تَثَبَتَ لِمَوْصُوفِهَا حَتَّى
يُوجَدَ مَنْ يَصِفُهُ بِهَا ، وَيُخَاطَبُ بِصِحَّتِهَا .

وَأِنَّمَا حَدَثَ الْعِلْمُ لِلْعُلَمَاءِ^(٤٥) مِنَ الْخَلْقِ بِاعْتِبَارِهِمْ ، وَبِمُخَاطَبَةِ اللَّهِ
إِيَّاهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا جَهَالًا بِالصِّفَاتِ .

وَأَمَّا الصِّفَاتُ أَنْفُسُهَا فَثَابِتَةٌ لَهُ تَعَالَى ، لَا يُبْطِلُهَا جَهْلٌ مِنْ جِهَلِهَا كَمَا
لَا يَثْبِتُهَا عِلْمٌ مِنْ عِلْمِهَا .

وَيَدُلُّ^(٤٦) عَلَى صِحَّةِ قَوْلِنَا وَبُطْلَانِ قَوْلِهِمْ أَنَّ الْكَاتِبَ لَا يُبْطِلُ كِتَابَتَهُ
عَدَمَ الْمَكْتُوبِ ؛ وَكَذَلِكَ الْبَانِي لَا يُبْطِلُ صِفَتَهُ بِالْبَيَانِ عَدَمَ [٢٦]
الْمُبْنِيِّ وَلَا يُلْزَمُ إِذَا عَلِمْنَا الشَّيْءَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْلُومُ وَالْعِلْمُ [مَعًا]^(٤٧)
بِالزَّمَانِ ؛ وَلَكِنَّ الْعَالِمَ قَدْ يَعْلَمُ الشَّيْءَ الْمَوْجُودَ فِي وَقْتِ عِلْمِهِ ، وَقَدْ
يَعْلَمُهُ^(٤٨) بَعْدَ مَضِيِّهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
فِيهِ .

(٤٣) فِي ط : مَخْلُوقٌ يُسْتَدِلُّ بِهِ أَوْ مُخَاطَبٌ .

(٤٤) فِي ط : وَلَيْسَ مِنْ شُرُوطِ الصِّفَةِ النَّفْسَانِيَّةِ .

(٤٥) فِي ط : لِلْحُكَمَاءِ . وَفِي بِلَاثِيُوسَ : الْعَالِمَ لِلْحُكَمَاءِ . وَفِي ط : أَوْ بِمُخَاطَبَةِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ .

(٤٦) فِي ط : وَقَدْ دَلَّ .

(٤٧) فِي ط : « الْعِلْمُ وَالْمَعْلُومُ مَعًا » . وَزِدْنَا (مَعًا) مِنْ ط . وَقَدْ تَرَكَ لَهَا نَاسِخَ (خ)
فِرَاقًا .

(٤٨) فِي خ : « يَعْلَمُ » . وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : ط .

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى فسادِ ما قالوه أَنَّ من صِفَاتِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ما يَتَعَلَّقُ
 بِالذَّاتِ^(٤٩) كَقَوْلِنَا : إِنَّهُ شَيْءٌ ، وإِنَّهُ موجودٌ ، وإِنَّهُ حَيٌّ . فيجبُ على
 هذا الرَّأْيِ الفاسِدِ أن يكونَ البارئُ تعالى كانَ في الأزلِ قَبْلَ خَلْقِ^(٥٠)
 الأَشْيَاءِ غَيْرَ شَيْءٍ وَغَيْرَ موجودٍ ، وَغَيْرَ حَيٍّ^(٥١) : وهذا يُوجبُ أَنَّهُ كانَ
 مَعْدُومًا ، وَيَلْزَمُهُمْ - إنْ كانتِ الصِّفَاتُ مُحَدَّثَةً مع الأَشْيَاءِ - أنْ يُخْبِرُونَا
 مَنْ أَحَدَّثَهَا له . فإنْ كانَ هُوَ الَّذِي أَحَدَّثَهَا لِنَفْسِهِ فكيفَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ
 موجودًا مَنْ هُوَ مَعْدُومٌ ؟ وشَيْئًا مَنْ لَيْسَ بشَيْءٍ ؟ وحيًا مَنْ لَيْسَ بِحَيٍّ ؟
 وَحَقًّا مَنْ لَيْسَ بِحَقٍّ ؟

وإنْ كانَ غَيْرُهُ أَحَدَّثَهَا له : لم يَخْلُ ذلكَ الغَيْرُ أنْ يكونَ إِلَهًا آخَرَ غَيْرَهُ .
 أو يَكُونُ البَشَرُ هُمُ الَّذينَ أَحَدَّثُوهَا له .
 فإنْ كانَ أَحَدَّثَهَا له إِلَهٌ آخَرُ فهوَ أَحَقُّ بِالعبادَةِ منه .

وإنْ كانَ أَحَدَّثَهَا البَشَرُ فكيفَ يُحَدِّثُونَهَا له^(٥٢) وهو الَّذِي أَحَدَّثَهُمْ .

وإنْ جازَ للمَعْدُومِ أنْ يُحَدِّثَ موجودًا^(٥٣) فما الَّذِي يُنكَرُ مِنْ أنْ يَكُونُ
 العالَمُ هو الَّذِي أَحَدَّثَ نَفْسَهُ ؟

(٤٩) في ط : أن من صفاته عز وجل ما لا يتعلّق بالذات ، وما لا يتعلّق بشيء من
 الموجودات ، وأنه موجود وأنه حق وأنه حي .

(٥٠) في ط : قبل خلقه الأشياء .

(٥١) في ط : وغير حق .

(٥٢) في ط : فكيف أحدها له ؟

(٥٣) كلمة (موجوداً) لم ترد في : ط .

وكَيْفَ [يُحَدِّثُ]^(٥٤) غَيْرَهُ مَنْ هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى أَنْ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ^(٥٥) ؟

وكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْأَزْلِ مَنْ ذَاتُهُ وَصِفَاتُهُ مُحَدَّثَاتٌ ؟

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِذَا أُثْبِتَ لَهُ تَعَالَى الصِّفَاتِ فَهَلْ تَقُولُونَ إِنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الذَّاتِ بِنَفْسِهَا^(٥٦) أَمْ إِلَى مَعَانٍ غَيْرِ الذَّاتِ ؟

^(٥٧)ففي هذه الْمَسْأَلَةِ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٌ :

أَحَدُهَا :

أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى مَعَانٍ غَيْرِ الذَّاتِ : وَهُوَ قَوْلُ الْمُجَسِّمَةِ^(٥٧) . وَهَذَا^(٥٨) كُفْرٌ بِحَتٍّ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُمْ ، لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْبَارِئَ تَعَالَى حَامِلًا وَمَحْمُولًا ، وَجَوْهَرًا تَتَعَلَّقُ بِهِ الصِّفَاتُ وَالْأَعْرَاضُ . تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي^(٥٩) :

أَنَّهَا - عَلَى اخْتِلَافِهَا - تَرْجِعُ إِلَى الذَّاتِ لَا إِلَى مَعْنَى غَيْرِهَا زَائِدٍ عَلَيْهَا بِأَنَّهُ عَالِمٌ وَأَنَّهُ عِلْمٌ ؛ وَأَنَّهُ حَيٌّ وَأَنَّهُ حَيَاةٌ^(٦٠) ، ذَاتٌ وَاحِدَةٌ لَا تَتَغَيَّرُ فِيهَا .

(٥٤) من : ط .

(٥٥) إِلَى مَنْ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ ؟

(٥٦) فِي ط : بَعِينَهَا .

(٥٧-٥٧) مَا بَيْنَ الرَّقْمَيْنِ لَمْ يَرِدْ فِي : ط .

(٥٨) فِي ط : الْأَوَّلُ قَوْلُ الْمُجَسِّمَةِ ، وَهُوَ كُفْرٌ بِحَتٍّ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ . وَفِي بِلَاثِيُوسَ : وَهُوَ كُفْرٌ

بِحَتٍّ .

(٥٩) فِي ط : وَالْقَوْلُ الثَّانِي .

(٦٠) فِي ط : بِأَنَّهُ عَالِمٌ وَأَنَّهُ حَيٌّ ، ذَاتَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَتَغَيَّرُ فِيهَا .

وكذلك سائر صفات الذات .

وهذا قول كُبراء^(٦١) الفلاسفة وزعمائهم ؛ وإليه ذهب الشافعي وداوود^(٦٢) وجماعة من علماء [٢٧] المسلمين .

وقال قوم :

لا نقول إنها هو^(٦٣) ولا إنها غيره .

فاعترض^(٦٤) عليهم من قال : إنها غير زائدة على الذات بأن قالوا :
« ليس يُعقل شيئان ليس أحدهما الآخر ولا هو غيره^(٦٥) » . فاعترض
عليهم أصحاب هذا القول وقالوا : من أين استحال إثبات شيئين ليس
أحدهما الآخر ولا هو غيره^(٦٦) ؟ فإن قلتم : لأن هذا خلاف المَعهود ،
قلنا لكم : فكيف جاز لكم أن يكون العالم هو العلم ، والحياة هو الحي ،
والقادر هو القدرة ؛ وهذا كله خلاف المَعهود ؟ فإن جاز لكم هذا جاز
لنا^(٦٧) إثبات شيئين لا يقال إن أحدهما هو الآخر ، ولا هو غيره ، وإن
كان خلاف المَعهود .

(٦١) في ط : أكثر .

(٦٢) الإمام الشافعي ، وداوود الظاهري رأس المذهب الظاهري .

(٦٣) في ط : لا تقولوا إنها هي هو ولا أنها غيره .

(٦٤) في ط : فإن اعترض .

(٦٥) في ط : بأن قال : لا يُعقل شيئان أحدهما ليس هو الآخر .

(٦٦) في ط : ليس أحدهما هو الآخر ولا غيره .

- قوله بعد هذا : « والحياة هو الحي » كذا ورد ترتيب الألفاظ في النسخ كلها .

(٦٧) في ط : ولم يجز لنا إثبات شيئين لا يقال إن أحدهما ...

قَالُوا : وَنَسَأَلُكُمْ : هَلْ يَجِبُ إِذَا قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ شَيْءٍ ^(٦٨) أَنْ يَبْطُلَ إِذَا لَمْ يُوَجَدْ لَهُ نَظِيرٌ مِنَ الْمَعْهُودِ أَمْ لَا ؟ فَإِنْ أَوْجَبْتُمْ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِثْبَاتُ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ لَهُ نَظِيرٌ مِنَ الْمَعْهُودِ لَزِمَكُمْ أَنْ يَبْطُلَ ^(٦٩) قَوْلُكُمْ : إِنَّ الْعِلْمَ هُوَ الْعَالِمُ ، وَالْحَيَاةَ هُوَ الْحَيُّ عَلَى مَا قَدَّمْنَا . وَلَزِمَكُمْ أَلَّا تُثَبِّتُوا شَيْئاً لَيْسَ فِي زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ ، وَلَا يُشْبِهُ شَيْئاً ، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ : لِأَنَّهُ كُلُّهُ خِلَافٌ [الْمَعْهُود] .

وَإِنْ وَجَبَ أَنْ يَثْبُتَ الشَّيْءُ إِذَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُوَجَدْ لَهُ نَظِيرٌ صَحَّ قَوْلُنَا : إِنَّ صِفَاتِ الْبَارِئِ - تَعَالَى وَجَلَّ - لَا يُقَالُ إِنَّهَا هُوَ وَلَا ^(٧٠) إِنَّهَا غَيْرُهُ : كَمَا صَحَّ وَصْفُهُ بِأَشْيَاءٍ يُخَالِفُ جَمِيعُهَا الْمَعْهُودَ .

قَالُوا : فَإِنْ قَالَ لَنَا ^(٧١) قَائِلٌ : فَمِنْ أَيْنَ صَحَّحْتُمْ ^(٧٢) قَوْلَكُمْ وَأَبْطَلْتُمْ قَوْلَ خُصُومِكُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِمَا عِلْمٌ ، قَادِرٌ بِمَا قُدْرَةٌ وَغَوَ ذَلِكَ ؟ وَقَدْ اسْتَوَى قَوْلُكُمْ ^(٧٣) وَقَوْلُهُمْ فِي أَنَّ خِلَافَ الْمَعْهُودِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَا إِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ قَوْلَنَا هُوَ الصَّحِيحُ لِأَنَّ قَوْلَنَا مُبْنِيٌّ عَلَى أَصْلِ صَحِيحٍ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ .

(٦٨) في ط : صحة الشيء .

(٦٩) في ط : لزمكم بطلان قولكم .

(٧٠) في ط : ولا يقال .

(٧١) في ط : فإن قال قائل .

(٧٢) أي : من أين عددتموه (جعلتموه) صحيحاً ؟

(٧٣) في ط : قولكم .

وقَوْلُهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلِ فَاسِدٍ ، وَهُوَ أَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ مُحَدَّثَةٌ ، وَهُوَ أَمْرٌ يُبْطِلُهُ الشَّرْعُ^(٧٤) ، وَالْعَقْلُ . وَأَيْضاً فَإِنَّ نُصُوصَ الشَّرْعِ تُصَحِّحُ قَوْلَنَا وَتُبْطِلُ قَوْلَهُمْ : لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ عِلْماً فِي نَصِّ الْقُرْآنِ . وَتَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّ لَهُ قُدْرَةَ وَإِرَادَةَ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا لَا تَقْدِرُ الْمُعْتَزَلَةُ عَلَى دَفْعِهِ^(٧٥) .

وَإِنَّا فِي قَوْلِنَا شُبْهَةٌ عَرَضَتْ وَقَفْنَا عِنْدَهَا^(٧٦) . فَإِذَا صَحَّ الْأَصْلُ لَمْ يُتْرَكْ^(٧٧) لِشُبْهَةٍ تَعْرِضُ فِي التَّفْرِيعِ : وَأَمَّا قَوْلُهُمْ فَفَاسِدُ الْأَصْلِ وَالتَّفْرِيعُ مَعاً .

[٢٨] وَأَمَّا صِفَاتُ الْأَفْعَالِ : كَخَالِقٍ ، وَرَازِقٍ : فَالْقَوْلُ فِيهَا أَنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُوصَوفاً بِهَا ، لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الْبَارِئُ تَعَالَى فِي الْأَزْلِ غَيْرَ خَالِقٍ ، وَغَيْرَ رَازِقٍ ثُمَّ صَارَ كَذَلِكَ . وَإِنَّا الْمُحَدَّثَاتُ^(٧٨) : الْخَلْقُ ، وَالرِّزْقُ ، وَالْمَخْلُوقُ ، وَالْمَرْزُوقُ .

فَإِنْ قِيلَ : هَذَا يُوجِبُ عَلَيْكُمْ تَقَدُّمَ^(٧٩) الْعَالَمِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُوجُوداً مَعَهُ . قُلْنَا : لَا يُوجِبُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الصِّفَاتِ^(٨٠) فِي اللُّغَةِ يُوصَفُ بِهَا مَنْ

(٧٤) فِي ط : السَّمَاعُ .

(٧٥) فِي ط : عَلَى رَفْعِهِ .

(٧٦) فِي ط : وَإِذَا عَرَضَتْ فِي قَوْلِنَا شُبْهَةٌ وَقَفْنَا عِنْدَهَا . وَفِي بِلَاثِيوسَ : وَأَنَا فِي قَوْلِنَا .

(٧٧) فِي ط : لَمْ نَزَلْ عَنْهُ إِلَى شِبْهَةِ تَعْرِضُ ..

(٧٨) فِي ط : وَإِنَّا الْمُحَدَّثَاتُ هِيَ الْخَلْقُ ..

(٧٩) فِي ط : الْقَوْلُ بِقَدَمِ الْعَالَمِ .

(٨٠) فِي ط : .. لِأَنَّ الصِّفَاتِ يُوصَفُ بِهَا فِي اللُّغَةِ مِنْ فَعَلَ ...

فَعَلَ فِيمَا مَضَى ، وَمَنْ يَفْعَلُ فِي الْحَالِ ، مَنْ هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ ، فَيَقَالُ : ^(٨١) إِنَّهُ ضَارِبٌ عَمْرٍو أَمْسِ ، وَضَارِبٌ عَمْرًا الْآنَ ،
وَضَارِبٌ عَمْرًا عَدَاً . وَهَذَا أَشْهَرُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى شَاهِدٍ .

(٨١) فِي ط : يُقَالُ : زَيْدٌ ضَارِبٌ عَمْرًا أَمْسِ .
- وَفِي خ : فَيَقَالُ : إِنَّهُ ضَارِبٌ عَمْرٍو أَمْسِ .

الباب السادس

في شرح قولهم : إنَّ الباريَّ تعالى لا يَعْلَمُ^(١) إِلَّا نَفْسَهُ

هذا القول - عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الزَّلَلِ - قد أَوْهَمَ كَثِيرًا^(٢) من النَّاسِ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ أَنَّهُ غَيْرُ عَالِمٍ بغيرِهِ .

وَاسْتَعْظَمَ قَوْمٌ مِنْهُمْ أَنْ يَصِفُوهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَرَعَمُوا أَنَّهُ عَالِمٌ بِالْكَلِّيَّاتِ غَيْرِ عَالِمٍ بِالْجَزْئِيَّاتِ .

وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّهُ عَالِمٌ بِعِلْمِ الْكَلِّيَّاتِ^(٣) وَالْجَزْئِيَّاتِ بِعِلْمِ كَلِّيٍّ .

وهذا القول الثالثُ أَقْرَبُ أَقْوَالِهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَوْضِعٌ لِلتَّعَقُّبِ . وَأَمَّا الْقَوْلَانِ الْآخَرَانِ فَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهِمَا الْخَطَأُ الْفَاحِشُ ، وَالْجَهْلُ بِصِفَاتِ الْبَارِيِّ جَلُّ جَلَّالِهِ ، وَسُوءُ^(٤) التَّأْوِيلِ لِكَلَامِ الْقُدَمَاءِ مِنَ الْفَلَسِيفَةِ .

وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَوْلَى أَنْ نُبَيِّنَ مَعْنَى قَوْلِ الْفَلَسِيفَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ : إِنَّ الْبَارِيَّ

(١) في ط : لا يعرف إلا نفسه .

(٢) في ط : أَوْهَمَ كَثِيرًا (مجذوف قد) .

(٣) في ط : أنه يعلم الكليات والجزئيات بعلم كلي .

(٤) في ط : الخطأ الفاحش ، والجهل في صفات الله تعالى بسوء التأويل .

تعالى لا يعلم إلا نفسه ، وأنهم لم يريدوا بذلك أنه جاهل بغيره . ونورد^(٥)
 من كلامهم ما يدل على براءتهم مما توهمه هؤلاء عليهم ، ثم نناقضهم^(٦)
 بعد ذلك فيما احتجوا به ؛ وبالله التوفيق .

فصل

أما قولهم إن الباري تعالى لا يعلم إلا نفسه فيحتمل أربعة معان
 يقرب بعضها من بعض .:

أحدها :

أن الوجود نوعان : وجود مطلق ، ووجود مضاف . فالوجود
 المطلق هو الذي لا يفتقر إلى موجد ، ولا هو معلول لعلّة هي أقدم
 منه . والوجود المضاف هو الذي يفتقر إلى موجد كان علّة له .

فالوجود المطلق [٢٩] : هو^(٧) الذي يوصف به الباري - جلّ
 جلاله - لآنة الموجود المطلق الذي لا علّة لوجوده .

والوجود المضاف : هو الذي يوصف به سواه من الموجودات . لأن
 وجود كل موجود^(٨) مقتبس من وجوده وتابع له ، ومتعلق به ، حتى إنه
 لو توهم ارتفاع وجوده تعالى لارتفع وجود كل شيء .

(٥) في ط : فنورد .

(٦) في ط : تناقضهم (بالتاء) .

(٧) في ط : هو الوجود الذي .

(٨) في ط : كل شيء .

ولأجل هذا شَبَّهُوا وجودَ الأشياءِ عنه بوجودِ نورِ الشَّمسِ عن الشَّمسِ^(٩) ، لأنَّ الشَّمسَ إذا ذَهَبَتْ ذَهَبَ نورُها ؛ ولم يَريدوا بهذا الكلامِ تشبيهُه^(١٠) بالشَّمسِ على الحَقِيقَةِ ؛ لأنَّ الباريَّ تَعَالَى عَن^(١١) أَنْ يَكُونَ لَهُ نَظِيرٌ ؛ وإنما أرادوا بهذا تَمثِيل^(١٢) اِفتِقَارِ المَوْجُودَاتِ إلى وُجُودِهِ عَلَى جِهَةِ التَّقَرُّبِ مِنَ الأَفْهَامِ .

كما قالوا أيضاً : إنَّ وجودَ المَوْجُودَاتِ عنه كوجودِ الكلامِ من المتكلمِ لا كوجودِ الدَّارِ من البِنَاءِ ؛ لأنَّ الدَّارَ يَمكِنُ أَنْ تُوجَدَ مع عَدَمِ البِنَاءِ ؛ ولا يَمكِنُ أَنْ يوجَدَ شيءٌ إلا بِوجودِ الباريِّ تَعَالَى .

فَلَمَّا كانَ الباريُّ تَعَالَى هو المَوْجُودُ الصَّحِيحُ الوُجُودِ كانَ وجودُ غَيرِهِ لاحقاً بِوجودِهِ وتابِعاً لَهْ ، ولم يَكُنْ في الوجودِ إلا هُوَ في مَصنُوعَاتِهِ^(١٣) صارَ الوجودُ من هذه الجِهَةِ كَأَنَّهُ مَوْجُودٌ [وَاحِدٌ]^(١٤) والمَعْلُومُ كَأَنَّهُ مَعْلُومٌ وَاحِدٌ ، وصارَ إذا عَلِمَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَلِمَ كُلَّ وجودٍ تابعٍ لوجودِهِ .

(٩) في ط : من الشمس .

(١٠) في ط : تشبيهاً بالشمس .

(١١) في ط : لأنَّ الباريَّ تَعَالَى عَزَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ نَظِيرٌ .

(١٢) في ط : أرادوا بهذا المثل افتقار ..

(١٣) في ط : ولم يكن في الوجود إلا هو ومصنوعاته .

(١٤) ما بين معقوفتين مضاف من : ط .

والمعنى الثاني :

أَنَّ الْمَعْقُولَ تَسْمِيًّا لِلْعَاقِلِ وَتَتِمُّ لِلجَوْهَرِ^(١٥) : ولولا ذلك ما احتجَّ إلى أن يَعْقِلَ غيره . وليسَ في كثرةِ مَعْقُولَاتِ^(١٦) العَاقِلِ دَلِيلٌ على فَضْلِهِ ؛ بل فِيهَا دِلَالَةٌ^(١٧) على شِدَّةِ نَقْصِهِ . فَعَلَى قَدْرِ كِبَالِ الشَّيْءِ فِي جَوْهَرِهِ تَقِلُّ مَعْقُولَاتُهُ ، وَعَلَى قَدْرِ نَقْصِهِ تَكْثُرُ مَعْقُولَاتُهُ . وَلَا جُلَّ هَذَا صَارَ النَّقْصُ لَازِمًا لِكُلِّ مَوْجُودٍ دُونَ الْبَارِئِ تَعَالَى ؛^(١٨) لِأَنَّهَا كَلَّمَا لَا تَنَالُ الْفَضِيلَةَ وَالْكَمَالَ إِلَّا بِعَقْلِهَا الْبَارِئِ جَلَّ جَلَالُهُ^(١٨) . فَأَقْرَبُهَا إِلَيْهِ أَكْمَلُهَا ، وَأَقْلُهَا نَقْصًا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ فِي كِبَالِ جَوْهَرِهِ إِلَى أَكْثَرِ مَنْ عَقَلَهُ الْعِلَّةُ الْأُولَى . وَكَلَّمَا انْحَطَّتْ^(١٩) مَرَاتِبُ الْمَوْجُودَاتِ كَثُرَ نَقْصُهَا ، وَاحْتِجَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي كِبَالِ جَوْهَرِهِ إِلَى أَنْ يَعْقِلَ كُلُّ مَوْجُودٍ قَبْلَهُ مَعَ عَقْلِهِ الْعِلَّةُ الْأُولَى ؛ إِذْ لَا يُمْكِنُ عَقْلُ الْعِلَّةِ الْأُولَى حَتَّى يَعْقِلَ الْوَسَائِطَ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا . فَلَمَّا كَانَ الْبَارِئُ تَعَالَى هُوَ نِهَايَةُ الْكِبَالِ كَانَ غَنِيًّا عَنْ أَنْ يَعْقِلَ غَيْرَهُ ، وَإِذَا [٣٠] كَانَ^(٢٠) عَقْلٌ نَفْسُهُ فَقَدْ عَقَلَ^(٢١) سِوَاهُ .

(١٥) في ط : أن المعقول بتتم العاقل وتكمل تجوهره ؛ ولولا ذلك ما احتجنا إلى أن نعقل غيره .

(١٦) في ط : وليست كثرة المعقول دليلاً على فضله ...

(١٧) ضبطها في الأصل المخطوط بكسر الدال : دلالة . ويصح فيها دلالة ودلالة .

(١٨-١٨) ما بين الرقین سقط من النسخة : ط

- وقوله : يعقلها البارئ : كلمة البارئ مفعول به للمصدر عقل .

(١٩) في ط : فكلمها انحطت .

(٢٠) في ط : وكان إذا عقل ... إلخ .

(٢١) في ط : فقد عقل ماسواه .. المعنى الثالث (بحذف الواو) .

والمعنى الثالث :

قد ذكرنا في باب شرح قولهم : إن الأعدادَ دوائرٌ وهميةٌ ، عند شرح قول أرسطو : إن البريء تعالى علة الأشياء ، على أنه فاعل لها وعلى أنه غاية لها ، وعلى أنه صورة لها ؛ وذكرنا أنه لم يرد الصورة^(٢٢) التي هي شكلٌ وتخطيطٌ ، ولا الصورة التي هي النوع ؛ لأنه لا يوصف بالصورة .
وقلنا إن معنى ذلك أن وجود غيره لما كان مقتبساً من وجوده صار من هذه الجهة كأنه صورة للموجودات إذ كانت إنما توجد بوجوده كما يوجد المصور بصورته . وصار وجوده كالجنس الذي يجمع الأنواع والأشخاص ، وإن كان البريء تعالى يتنزه^(٢٣) عن أن يوصف بجنس أو نوع أو شخص ؛ ولكنه تمثيل^(٢٤) وتقريب لا حقيقة . فيصير المعلوم - أيضاً - من هذه الجهة^(٢٥) واحداً .

والمعنى الرابع :

أن الإنسان لا يعلم^(٢٦) الأشياء بذاته وجوهره ، ولو علمها بذلك^(٢٨) لكانت ذاته عالمةً أبداً ، ولم يحتج إلى اكتساب العلم . وإنما يعلم الأشياء

(٢٢) في ط : لم يرد بالصورة ..

(٢٣) في ط : تنزه عن

(٢٤) في ط : بتثيل

(٢٥) في ط : فيصير المعلوم من هذه الجهة أيضاً واحداً .

(٢٦) في ط : المعنى الرابع (بحذف الواو) .

(٢٧) في ط : أن الإنسان لا يعرف

(٢٨) في ط : ولو علمها بذاته وجوهره .

بأمورٍ زائدةٍ على ذاته يتَّخذها آلاتٌ يتَّوَصَّلُ بِهَا إلى نَيْلِ مَعْقولاتِهِ^(٢٩) ؛
وهي :

الحواسُّ الخمسُ ؛

والمَعْقولاتُ الأوَّلُ الَّتِي يَجِدُهَا مَرَكوزَةً في نَفْسِهِ ، ولا يَدْرِي من
أَيْنَ حَصَلَتْ لَه .

فبِهَذَيْنِ الصَّنْفَيْنِ مِنَ الآلاتِ يَتَوَصَّلُ إلى اِكْتِسَابِ المَعَارِفِ الَّتِي
يَتَجَوَّهَرُ بِهَا^(٣٠) ، وَيَحْصُلُ لَه عَقْلٌ مُسْتَفاد .

والبارئُ تعالى لا يُوصَفُ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ الأشياءَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، جَلَّ عَن
ذَلِكَ^(٣١) .

وَإِذَا اسْتَحَالَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الأشياءَ على هَذَا السَّبِيلِ صَحَّ أَنَّهُ عِلْمُهُ ذَاتِيٌّ
ليسَ بِاِكْتِسَابٍ . وَإِذَا اسْتَحَالَ أَنَّهُ يُوصَفُ بِأَنَّهُ عِلْمُهُ شَيْءٌ زَائِدٌ على ذَاتِهِ
كَانَتْ ذَاتُهُ هِيَ العِلْمُ بِعَيْنِهِ . وَإِذَا لَمْ يَصِحَّ أَنَّهُ يُوصَفُ بِأَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إلى
غَيْرِهِ ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ مُفْتَقِرٌ إليه صَحَّ أَنَّ العَالِمَ والعِلْمَ والمعلومَ مِنْهُ شَيْءٌ
وَاحِدٌ بِخِلافِ ما نَعْقِلُهُ مِنْ أَنفُسِنَا .

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا بالدلائلِ الَّتِي يُضْطَرُّ إليها^(٣٢) ، صارَ : إِذَا عِلِمَ نَفْسَهُ
فَقَدْ عِلِمَ كُلَّ شَيْءٍ .

(٢٩) في ط : معلوماته .

(٣٠) في ط : إلى اكتساب المعاني التي تجوهر بها ، ويحصل له العقل المستفاد .

(٣١) في ط : بهذه الصفة ، عز ذلك . (أظنها سقط منها جَلَّ ، وتصحفت عن إلى عَزَّ) .

(٣٢) في ط : يضطر إليها (بالنون) .

فصل

ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى اعْتِقَادِ كِبَرَاءِ الْفَلَّاسِفَةِ وَجَلَّتِهِمْ^(٣٣) أَنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَغِيبُ عَنْهُ مَقْدَارُ الذَّرَّةِ^(٣٤) وَمَاهُو الْأَطْفُ مِنْهَا ، وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِضَمَائِرِ النَّفُوسِ وَوَسَاوِسِ الصُّدُورِ - مَعَ قَوْلِهِمْ إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ إِلَّا نَفْسَهُ - قَوْلُهُمْ^(٣٥) : إِنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى مَوْجُودٌ^(٣٦) مَعَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ يُرِيدُونَ أَنْ الْوَحْدَةَ السَّارِيَةَ مِنْهُ تَعَالَى ، بِهَا حَصَلَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ ذَاتٍ يَنْفَصِلُ بِهَا عَنْ ذَاتٍ أُخْرَى^(٣٧) ؛ وَبِهَا تَهَوَّى^(٣٨) كُلُّ مَتَهَوٍّ . فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ ؛ عَلَى مَنْ يُعْتَقِدُ هَذَا ؛ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى يَجْهَلُ شَيْئاً أَوْ يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ ؛ وَهَذَا إِثْبَاتُ الشَّيْءِ وَتَقْيِضِهِ مَعاً ؟ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : إِنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى عَقْلٌ مُتَجَرِّدٌ عَنِ الْمَادَّةِ ، بِخِلَافِ مَا يُوصَفُ مِنْهُ أَنَّهُ^(٣٩) عَقْلٌ ؛ إِذْ كَانَ لَا يُشْبِهُ شَيْئاً وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ^(٤٠) .

(٣٣) فِي ط : وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى اعْتِقَادِ الْفَلَّاسِفَةِ وَذِكْرِهِمْ أَنَّ . وَفِي بِلَاثِيُوس : اعْتِقَادُ ذِكْرِ الْفَلَّاسِفَةِ .

(٣٤) فِي ط : مَقْدَارُ ذَّرَّةٍ .

(٣٥) فِي ط : قَوْلُهُمْ .

(٣٦) فِي ط : إِنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى مَعَ كُلِّ شَيْءٍ . (يَأْسِقَاطُ : مَوْجُودٌ) .

(٣٧) فِي ط : ذَاتٍ أُخْرَى .

(٣٨) فِي ط : يَتَهَيَّأُ كُلُّ مَتَهَوٍّ ، فَكَيْفَ يَتَمَّ (بَدَلًا مِنْ يَتَوَهَّمُ) .

- وَ : تَهَوَّى : مِنْ الْهُوَيَّةِ وَهِيَ : « حَقِيقَةُ الشَّيْءِ مِنْ حَيْثُ تَمَيَّزَهُ عَنْ غَيْرِهِ ، وَتَسْمَى

أَيْضاً وَحْدَةَ الذَّاتِ » - مِنَ الْمَعْجَمِ الْفَلْسَفِيِّ -

(٣٩) فِي ط : مَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ عَقْلٌ .

(٤٠) فِي ط : إِذَا كَانَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْئاً

وإذا كان عندهم عقلاً متجرداً^(٤١) من المادة لم يخف عنه شيء لأن
المانع لنا من إدراك الأشياء إنما هو المادة .

ومن ذلك قولهم : إن العاقل والعقل والمعقول منه شيء واحد .
وكذلك : العالم والعلم والمعلوم^(٤٢) شيء واحد . فذاتة عندهم عقل
وعلم ، فكيف يتوهم على من ذاته عقل وعلم أنه^(٤٣) يغيب عنه شيء ؟

ومن ذلك قولهم : إن الغرض في^(٤٤) العلم القرب من الله تعالى في
الصفات ، وقولهم في حدّ الفلسفة : إن معناها التشبه بالله تعالى بمقدار
طاقة الإنسان . فصح^(٤٥) بهذا أنه تعالى العالم^(٤٦) على الإطلاق ، وأنّ علمه
هو العلم على الإطلاق .

من ذلك قول أفلاطون في كتاب طيماؤس حين^(٤٧) تكلم في العوالم
العالية فذكر فضلها ثم قال : وهذا ليس لنا في عالمنا هذا بل لو عسى أنا
في العوالم العالية إذا^(٤٨) نحن تهذبنا فجزنا الأفلاك التسعة وحركاتها
بتطلّعنا ؛ وجزنا عالم النفس بتهديبنا^(٤٩) حتى نحل في عالم العقل الذي

(٤١) في ط : مجرداً عن المادة .

(٤٢) في ط : والمعلوم منه .

(٤٣) في ط : أن يغيب

(٤٤) في ط : الغرض من العلم . (وهذا هو المشهور في مثل هذه العبارة) .

(٤٥) في ط : فيصح

(٤٦) في ط : عالم على الإطلاق .

(٤٧) في ط : حيث تكلم .

(٤٨) في ط : إذ نحن

لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، وَلَا تَحْوِزُهُ^(٥٠) صُورَةٌ^(٥١) ، وَلَيْسَ فِيهِ زَمَانٌ ،
وَلَا مَكَانٌ ، وَلَا حَرَكَةٌ ، وَلَا كَيْفِيَّةٌ ، وَلَا هَيُولَى ؛ بَلِ الْأَشْيَاءُ فِيهِ حَقَائِقُ
مَجْرَدَةٌ مَكشُوفَةٌ لَيْسَ فِيهِ قُوَّةٌ^(٥٢) ، بَلِ الصُّورَةُ فِيهِ ثَابِتَةٌ رَاجِعَةٌ^(٥٣) عَلَى
أَنْفُسِهَا [وَذَوَاتِهَا تَعْرِفُ أَنْفُسَهَا]^(٥٤) وَغَيْرَهَا لِمَا فِيهِ مِنْ مُطَالَعَةِ الْبَارِي
جَلَّ وَعَزَّ لَهَا .

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، وَهُوَ [يُرِيدُ] أَنْ يَنْفِيَ عَنِ نَفْسِهِ أَنْ يَتَوَهَّمَ
عَلَيْهِ الْقَوْلُ بِأَزَلِيَّةِ الْعَالَمِ وَقَدَمِهِ ، فَقَالَ :

« إِنَّمَا نُرِيدُ [٣٢] بِقَوْلِنَا : إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَزَلْ : أَنْ الْعَوَالِمَ قَدْ كَانَتْ
مُصَوَّرَاتٍ عِنْدَ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ مُمَثَّلَاتٍ بِالْقُوَّةِ قَبْلَ كَوْنِهَا . وَذَلِكَ أَنَّ
الْبَارِيَّ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَطَلِّعًا إِلَيْهَا ، نَاطِرًا إِلَى ذَاتِهِ ، عَارِفًا بِوَحْدَانِيَّتِهِ .
فَتَرَدَادُهُ^(٥٥) عَلَى ذَاتِهِ بِالْمَعْرِفَةِ هُوَ عَالَمُ الْعَقْلِ الْمُطَابِقِ لَهُ فِيهِ الصُّورُ
مَحْضَةٌ » .

وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّعَقُّبِ فَقَدْ صَحَّ مِنْهُ أَنَّ

(٤٩) فِي ط : فَهَدُّبْنَا .

(٥٠) فِي ط : وَلَا تَحْوِزُ عَنْهُ .

(٥١) زَادَ فِي الْمَطْبُوعِ هُنَا : وَمِنْهُ انْتِشَاقُ الصُّورَةِ .

(٥٢) فِي ط : لَيْسَ قُوَّةٌ (بِإِسْقَاطِ الْأَدَاةِ : فِي) .

(٥٣) فِي ط : ثَابِتَةٌ وَرَاجِعَةٌ (بِمَجْرِىِ الْعَطْفِ) .

(٥٤) مَا بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ مِنْ : ط .

(٥٥) فِي ط : غَيْرُ زَائِدٍ عَلَى ذَاتِهِ بِالْمَعْرِفَةِ هُوَ ...

مَذْهَبَهُ : أَنَّ الْبَارِئَ جَلَّ جَلَالُهُ عَالِمٌ بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِهَا بِخِلَافِ مَا يَتَوَهَّمُ عَلَيْهِ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً مِنْ مَذْهَبِهِ^(٥٦) قَوْلُهُ فِي النَّوَامِيسِ :

« مَا مِنْ^(٥٧) شَيْءٍ أَغْوَى عَلَى صَلَاحِ أَمْرٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَأَمْرٍ جَمَاعَتِهِمْ مِنْ أَنْ يَعْلَمُوا وَيَعْتَقِدُوا ثَلَاثَةَ آرَاءٍ ، وَلَا أَضْرُّ مِنْ أَنْ يَجْهَلُوهَا وَيَعْتَقِدُوا خِلَافَهَا :

أَحَدَهَا : أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ لِلْأَشْيَاءِ صَانِعاً ؛

وَالثَّانِي : أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يُغْفَلُ شَيْئاً ، وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ ، بَلْ كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَحْتَ عِلْمِهِ^(٥٨) وَتَحْتَ عِنَايَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ .

وَالثَّلَاثُ : أَنَّهُ لَا يَرْضِيهِ وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ أَنْ يُخْطِئَ خَطِيئَةً يَتَعَمَّدُهَا ؛ عَلَى أَنْ يُقِيمَ يَازَائِهَا قُرْبَاناً إِلَيْهِ فَيَغْفِرَ لَهُ بَلْ إِنَّا يَقْبَلُ قُرْبَانَهُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا صَالِحاً » .

ثُمَّ قَالَ :

« وَهَذِهِ مَعَانِي إِنَّمَا مَعْدِنُهَا وَمَوْضِعُ تَعَلُّمِهَا مِنْ عِلْمِ^(٥٩) الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ » وَهُوَ يُسَمَّى بِالْيُونَانِيَّةِ^(٦٠) : أَثُولُوجِيَا .

(٥٦) سقطت كلمة « مذهبه » من ط .

(٥٧) في الأصل المخطوط : بل هي شيء . وأثبت ما في ط لجره مع نسق العبارة ؛ ويكون من ناسخ (خ) تصحيفاً .

(٥٨) في ط : في علمه .

(٥٩) في ط : من عالم الأمور الإلهية .

(٦٠) لم تظهر الكلمة بوضوح في خ . وأثبتنا ما في : ط .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ اِعْتِقَادُهُمْ وَتَضَرُّحُهُمْ بِأَنَّ الْعَالَمَ
 إِنْسَانَ كَبِيرًا : كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ عَالَمًا صَغِيرًا . فَمَا أَنَّ الْحَسُوسَاتِ تَصِلُ إِلَى
 النَّفْسِ الْجُزْئِيَّةِ بِتَوْسُطِ الْحَوَاسِّ الْجِسْمَانِيَّةِ ، بِلَا زَمَانٍ فَتَنْطَبِعُ صُورَهَا^(٦١)
 فِي الْعَقْلِ الْجُزْئِيِّ الْهَيُولَائِيِّ فَكَذَلِكَ فِي الْعَالَمِ الَّذِي هُوَ الْإِنْسَانُ^(٦٢) الْكَبِيرِ
 أَشْيَاءٌ هِيَ بِمَنْزِلَةِ^(٦٣) الْحَوَاسِّ لِلنَّفْسِ الْكُلِّيَّةِ الَّتِي هِيَ نَفْسُ الْإِنْسَانِ الْأَكْبَرِ
 يَتَّصِلُ^(٦٤) بِهَا مِنْ قَبْلِهَا أَحْوَالُ الْعَالَمِ بِلَا زَمَانٍ . وَإِذَا اتَّصَلَتْ بِالنَّفْسِ
 الْكُلِّيَّةِ اتَّصَلَتْ بِالْعَقْلِ الْكُلِّيِّ كَاتِّصَالِهَا بِالْعَقْلِ الْجُزْئِيِّ ؛ وَإِذَا اتَّصَلَتْ
 بِالْعَقْلِ الْكُلِّيِّ اتَّصَلَتْ بِالْبَارئِ جَلَّ وَتَعَالَى ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ الْكُلِّيَّ لَا وَسْطَةَ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى .

فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ كَلَامِهِمْ^(٦٥) تَدُلُّ مِنْ تَأَمُّلِهَا عَلَى بَرَاءَتِهِمْ مِنْ سُوءِ تَأْوِيلِ
 مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ^(٦٦) بِأَنَّ الْبَارئِ لَا يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ : ۱ وَلَا يَعْلَمُ إِلَّا
 نَفْسَهُ^(٦٧) .

(٦١) فِي ط : فَتَنْطَبِعُ صُورَتَهَا

(٦٢) فِي ط : إِنْسَانٌ كَبِيرٌ

(٦٣) فِي ط : تَمَائِلٌ

(٦٤) فِي ط : تَتَّصِلُ

(٦٥) فِي ط : تَتَّصِلُ مِنْ كَلَامِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ (بِزِيَادَةِ هَذِهِ الْأَخِيرَةِ)

(٦٦) فِي ط : قَوْلُهُمْ إِنَّ

(٦٧) الْعِبَارَةُ مَزِيدَةٌ مِنْ : ط .

فصل

وقد احتجَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ بِأَنَّ قَالَ : إِنَّمَا اسْتَحَالَ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ [٣٣] الْأَشْيَاءَ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِالْأَشْيَاءِ ^(٦٨) يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَوَاسِّ ، وَتَقْدِيمِ الْمَقْدَمَاتِ الَّتِي بِهَا يَتَوَصَّلُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْكَلِّيَّاتِ مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ ، وَفِيهِ كَمَالُ الْعَالَمِ ؛ وَيُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى تَصَوُّرٍ وَتَخْيِيلٍ ؛ وَالْبَارِئُ سُبْحَانَهُ يُجَلُّ عَنْهُ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ يَتَصَوَّرُ شَيْئاً أَوْ يَتَخَيَّلُهُ ، أَوْ [أَنَّهُ] ^(٦٩) ذُو حَوَاسِّ يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ شَيْءٍ ، أَوْ يُحْتَاجُ إِلَى مَقْدَمَاتٍ ، وَأَنَّ غَيْرَهُ يَفِيدُهُ ^(٧٠) كَالَا فِي ذَاتِهِ ، بَلْ هُوَ الْمَفِيدُ الْكَمَالِ ^(٧١) لِكُلِّ كَامِلٍ عَلَى مِقْدَارِ مَرْتَبَتِهِ ^(٧٢) ؛ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ غَيْرِهِ ؛ وَغَيْرُهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ ، فَفِي وَصْفِنَا لَهُ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ غَيْرَهُ نَقْصٌ لَهُ لَا كَمَالٌ .

وَجَوَابُنَا عَنْ هَذَا هُوَ أَنَّ تَقَوْلَ لَهُمْ :

هَلْ تَزْعُمُونَ أَنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى يُشْبِهُ الْبَشَرَ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ أَمْ هُوَ مُخَالَفٌ لَهُمْ ؟ فَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُ مُشْبِهُ لَهُمْ بِالذَّاتِ وَالصِّفَاتِ ، أَوْ فِي بَعْضِ ذَلِكَ لَزِمَ أَنْ يُلْحَقَهُ مِنَ النَّقْصِ مَا يُلْحَقُ الْبَشَرَ ، وَأَنْ يُلْزَمَهُ مِنَ الْحُدُوثِ مَا يُلْزَمُ سَائِرَ الْأَشْيَاءِ .

(٦٨) فِي ط : لِأَنَّ الْعَالِمَ بِالْأَشْيَاءِ .

(٦٩) « أَنَّهُ » مِضَافَةٌ مِنْ ط .

(٧٠) فِي ط : يَفِيدُ كَالَا .

(٧١) فِي ط : بَلْ هُوَ مَفِيدٌ لِلْكَامِلِ

(٧٢) فِي ط : عَلَى قَدَرِ مَرْتَبَتِهِ مِنْهُ .

وإن قالوا إنه مخالف للبشر لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء قلنا لهم :
من أين قسّمتم علمه على علمكم ، وأوجبتم أنه إن كان عالماً لزم^(٧٣) أن يعلم
باستنباطٍ ومقدماتٍ ، واحتاج إلى حواسٍ ؟ .

وماتنكرون من^(٧٤) أن يكون يعلم الأشياء بنوع آخر من العلم
لا يكيف ، ولا يشبه علم البشر ؟ .

وما الذي تبطلون به هذا ؟ فإن قالوا لا يعقل علم إلا بهذه الطرق
لزمهم تشبيه البراءة تعالى بمخلوقاته ، وقلنا لهم : من أين زعمتم أنه
عالم ، وأنه علم ، وأنه معلوم : شيء واحد لا تغاير فيه ؟ وكذلك أنه
عاقل ، وأنه عقل ، وأنه معقول شيء^(٧٥) واحد من صفاته^(٧٦) ، وهذا أمر
غير معقول فيما نعهد من أنفسنا ؟ .

ويقال لهم كذلك : لا نعقل موجوداً إلا أن يكون جوهرًا حاملاً
للأعراض ، أو عرضاً محمولاً في جوهر . فاحكموا على البراءة تعالى
وجل أنه جوهر من جنس الجواهر المعقولة ، ولا فرق .

ويقال لمن زعم منهم أنه يعلم الكلّيات ولا يعلم الجزئيات : من
أين فرقتم بين الأمرين ؟ .

(٧٣) في ط : لزمه

(٧٤) في ط : وماتنكرون أن يكون (بحذف الأداة : من)

(٧٥) في الأصل المخطوط : بشيء واحد . ورجحت ما في (ط) لجاراته العبارة السابقة .

(٧٦) في ط : شيء واحد في صفاته . وهذا غير معقول . (بإسقاط كلمة : أمر) .

فإن قالوا : لأنَّ الجُزئيات تَدْخُلُ تَحْتَ الزَّمانِ ، وتَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِهِ ،
ويُحْتَاجُ فِي مَعْرِفَتِهَا [٣٤] إِلَى الحَواسِّ (٧٧) .

وجوابنا (٧٨) عَنْ هَذَا أَنْ نَقُولَ (٧٩) :

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَعْلَمُ الكَلِّيَّاتِ بِمُشَاهَدَةِ الجُزئياتِ
الواقعةِ تَحْتَ الزَّمانِ ، والاستدلالِ عَلَيْهَا بِالْمَقَدِّماتِ الغَرِيزِيَّاتِ . فهل
تَزْعَمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْرِكُ الكَلِّيَّاتِ بِهَذَا السَّبِيلِ ؟ .

فإن قالوا : نَعَمْ شَبَّهَهُ بِالْبَشَرِ ، وَقُلْنَا لَهُمْ : إِذَا جازَ عِنْدَكُمْ أَنْ يُشْبِهَ
البَشَرَ فِي عِلْمِ الكَلِّيَّاتِ فَمَا الَّذِي يَمْنَعُهُ أَنْ يُشْبِهَهُمْ (٨٠) فِي عِلْمِ الجُزئياتِ ؟

وإن قالوا : لا يَجُوزُ أَنْ يَعْلَمَ الكَلِّيَّاتِ عَلَى نَحْوِ مَا يَعْلَمُهُ (٨١) البَشَرُ ،
وإنَّمَا يَعْلَمُهَا بِنوعِ آخَرٍ مِنَ العِلْمِ لا يُكَيِّفُ ولا يُشْبِهُ عِلْمَ البَشَرِ [قلنا : فَمَا
المَانِعُ أَنْ يَعْلَمَ الجُزئياتِ بِهَذَا العِلْمِ] ولا فَرَقَ ؟ .

وعمدة هذا الباب ، وغيره ، من الكلام في صفات الله تعالى أن تجعل
أصلك (٨٢) أن الباري - سبحانه - لا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء . وتجتهد
في أن تعلم هذه الجملة بالبراهين الواضحة .

(٧٧) في ط : إلى الحواس الخمس .

(٧٨) في : خ وفي : ط أيضاً : « وجوابنا » بالواو . والكلام يقتضي الفاء .

(٧٩) في ط : أن تقول لهم .

(٨٠) في ط : يشبهه .

(٨١) في ط : ما يعلمها .

(٨٢) في ط : أملك (بالميم) وهو تحريف ظاهر .

فَإِذَا تَفَرَّرتْ فِي نَفْسِكَ سَقَطتْ عَنْكَ هَذِهِ الْوَسَاوِسُ كُلُّهَا: ^(٨٣) لَأَنَّ
الَّذِينَ غَلَطُوا فِي هَذِهِ الْمَعَانِي إِنَّا عَرَضَ لَهُمُ الْغَلَطَ ^(٨٣) لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ
تَعَالَى بِالْبَشْرِ ، وَيُشَبِّهُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِهِمْ ^(٨٤) .

وقد أثبتت شريعتنا الحنيفية ، التي شرفنا الله تعالى بها ، أن الله عالم
بكبير الأشياء وصغيرها ، لا يعزب ^(٨٥) عنه مثقال ذرة في السموات ولا في
الأرض ^(٨٦) ؛ وأنه ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ^(٨٧) ؛
و﴿ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ
وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٨٨) .

وهذه صفة الكمال التي تليق بالله تعالى ، لا ما زعمه ^(٨٩) هؤلاء
المبطلون .

(٨٣-٨٢) ما بين الرقمين سقط من : ط .

(٨٤) في ط : صفاته بصفاته .

(٨٥) في ط : لا يعيب .

(٨٦) من الآية (٣) من سورة سبأ (٣٤) : ﴿ وَمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَدِّمُوا عَلَيْنَا مَتَاعًا . اللَّهُ الْمَوْلَىٰ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ . هُوَ الْغَنِيُّ . وَهُوَ يُعْزِبُ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . وَسَيَكْفُرُ بِالسَّاعَةِ كَلِمَاتٍ لَّا تَعْلَمُهَا فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ .

(٨٧) الآية (١٩) من سورة غافر (٤٠) .

(٨٨) من الآية (٥٩) من سورة الأنعام (٦) . ﴿ وَمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَدِّمُوا عَلَيْنَا مَتَاعًا . اللَّهُ الْمَوْلَىٰ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ . هُوَ الْغَنِيُّ . وَهُوَ يُعْزِبُ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . وَسَيَكْفُرُ بِالسَّاعَةِ كَلِمَاتٍ لَّا تَعْلَمُهَا فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ .

(٨٩) في ط : لا ما زعم

وقد ذكرنا من كلام الفلاسفة المتقدمين ما يطابق هذا الذي ورد به
شرعنا^(٩٠) ؛ وقد قلت في ذلك :^(٩١)

[من مخلع البسيط]

يا واصفاً ربّهُ بجهلٍ لم تُقدِرِ اللهُ حقَّ قدره
كيفَ يَفُوتُ الإلهَ علمٌ بسراً مخلوقه وجهه
وهو مُحيطٌ بكلِّ شيءٍ وكلُّها كائنٌ بأمره !؟

(٩٠) في ط : وردت به شريعتنا

(٩١) الأبيات في مجموع شعره .

الباب السابع

فِي إِقَامَةِ الْبَرَاهِينِ
عَلَى أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ حَيَّةٌ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْجِسْمِ

النفوسُ ثلاثةٌ :

نباتيّةٌ ؛

وحيوانيّةٌ ؛

وناطقةٌ .

فأمّا النفسُ النباتيّةُ والنفسُ الحيوانيّةُ فلانُعَلِمُ خِلافاً في عَدَمِهَا
بِعَدَمِ^(١) الجِسْمِ ، وإنّنا وَقَعُ الخِلافَ في النفسِ [٣٥] النَّاطِقَةِ ؛ وهي
العاقلةُ المميّزةُ . فزَعَمَ قومٌ أنّها تُعَدَمُ عندَ فِراقِها الجِسْمَ كَعَدَمِ النباتيّةِ
والحيوانيّةِ .

وقالَ قومٌ إنّها باقيةٌ حَيَّةٌ ، لا عَدَمَ لَهَا ، وهو مَذْهَبُ [سقراط
وأرسطو وأفلاطون ، وسائر]^(٢) زُعماءِ الفلاسفةِ . وعلى ذلكَ تَدُلُّ الشرائعُ
كُلُّها .

(١) في الأصل المخطوط : بَعْدَ الجِسْمِ . ورجّحت ما بي : ط ، ائتلافاً مع ما سيلحق في
كلام المؤلف .

(٢) ما بين معقوفتين مضاف من : ط .

وأنا أذكر جملة من البراهين الفلسفية على بقائها : لأن الشريعة لا تليق بهذا الموضوع : وبالله التوفيق .

بُرْهَانٌ أَوَّلٌ (٢)

مِثْلُ الْإِنْسَانِ إِلَى الشَّهَوَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ ، وَأَنْغِيَارِهِ فِي اللَّذَاتِ الْجَسَدِيَّةِ (٤) تَمْنَعُهُ مِنْ تَصَوُّرِ الْحَقَائِقِ ، وَقَبُولِ الْمَعَارِفِ ، وَتَكْسِبُ ذِهْنَهُ بِلَادَةً . وَإِقْلَالَهُ مِنْ ذَلِكَ يُفِيدُ ذِهْنَ حِدَّةً ، وَيُعِينُهُ عَلَى قَبُولِ الْمَعَارِفِ وَتَصَوُّرِ الْحَقَائِقِ . فَذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمَادَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ آفَةٌ لِلنَّفْسِ النَّاطِقَةِ (٥) ؛ وَأَنَّهَا كَلَّمَا انْسَلَخَتْ مِنْهَا كَانَتْ أَكْثَرَ تَمْيِيزًا ، وَأَصَحَّ مَعْرِفَةً (٦) ؛

وَيَنْتِجُ مِنْ هَذِهِ الْمَقَدِّمَاتِ أَنْ تَكُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ أَصَحَّ تَمْيِيزًا ، وَأَبْصَرَ لِلْحَقَائِقِ لِأَنْسِلَاخِهَا مِنْ جَمِيعِ الْمَادَّةِ . وَلَا يَكُونُ التَّمْيِيزُ وَالتَّصَوُّرُ إِلَّا لِحَيٍّ ، فَالنَّفْسُ إِذْ نُحْيِيَّ بَعْدَ مَوْتِ الْجِسْمِ (٧) .

وقد وافق هذا البرهان الفلسفي من نصوص شرعنا قول الله تعالى :

-
- (٢) في ط هنا ، وفي سائر ماورد من (برهان) في هذا الباب من عناوين جاء في ط معرفاً : البرهان الأول ، والبرهان الثاني ... إلخ .
- (٤) في ط : الطبيعية والأهواء والذات الجسدية .
- (٥) في ط : فذل ذلك إذابة الطبيعة للنفس الناطقة .
- (٦) في ط : وأوضح معرفة ؛ فينتج من ...
- (٧) في ط : بعد الجسم . (بتقص كلمة : موت) .

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ
حَدِيدٌ ﴾ (٨) .

وَقَوْلَ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ السَّلَام :

« النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا » (٩) .

بُرْهَانٌ ثَانٍ (١٠)

كُلُّ مَوْجُودٍ بِالْفِعْلِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الطَّبِيعِيَّةِ فَقَدْ كَانَ مَوْجُوداً بِالْقُوَّةِ
وَكُلُّ مَا كَانَ مَوْجُوداً بِالْقُوَّةِ ثُمَّ وُجِدَ بِالْفِعْلِ فَمُخْرِجُهُ (١١) إِلَى الْوُجُودِ شَيْءٌ
آخَرٌ هُوَ مَوْجُودٌ بِالْفِعْلِ كَالْمَاءِ الَّذِي هُوَ بَارِدٌ بِالْقُوَّةِ ، وَيُخْرِجُهُ (١٢) إِلَى
الْحَرَارَةِ بِالْفِعْلِ : النَّارُ الَّتِي هِيَ حَارَّةٌ بِالْفِعْلِ . وَهَذَا اضْطِرَارٌ إِذْ لَا يَصِحُّ
أَنْ يُوجِدَ الشَّيْءُ نَفْسَهُ (١٣) . وَلَا يَصِحُّ أَيْضاً أَنْ يُخْرِجَهُ مِنَ الْوُجُودِ بِالْقُوَّةِ

(٨) الآية ٢٢ من سورة ق (٥٠) .

(٩) قال في « كشف الخفا ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس »

١ : ٣١٢ عند ذكره الكلام المشهور « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » مانصّه : « هو من

قول علي بن أبي طالب ؛ لكن عزاه الشعراي في الطبقات لسهل التستري . ولفظه في

ترجمته ، ومن كلامه : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، وإذا ماتوا ندموا ، وإذا ندموا

لم تنفعهم ندامتهم » .

(١٠) في ط : البرهان الثاني .

(١١) في ط : يُخْرِجُهُ إِلَى الْوُجُودِ .

(١٢) في ط : ومخرجه إلى الحرارة .

(١٣) في ط : إذ لا يصح أن يكون موجد الشيء نفسه .

إلى الوجودِ بالفعلِ ما هو موجودٌ بالقُوَّةِ لأنَّها^(١٤) قد تساويا في العدمِ .
 وكلُّ واحدٍ مِنْهَا مُفْتَقِرٌ إلى مَوْجِدٍ^(١٥) . وإذا اسْتَحَالَ الأَمْرانِ صَحَّ أَنْ
 مُخْرِجَ الشَّيْءِ^(١٦) مِنَ القُوَّةِ إلى الفِعْلِ لا يكونُ إِلَّا غَيْرَهُ ، ولا [يكونُ] إِلَّا
 مَوْجُوداً بالفعلِ .

وإذا ثَبَّتَ^(١٧) هذا قُلْنَا : إِنَّ بَعْضَ الأَجْسَامِ حَيٌّ بالقُوَّةِ ، ثم يَصِيرُ^(١٨)
 حَيّاً بالفعلِ ؛ فَمُخْرِجُهُ إِذَنْ^(١٩) إلى الحَيَاةِ [٣٦] جَوْهَرٌ آخَرَ غَيْرَهُ حَيٌّ
 بالفعلِ . والأَجْسَمُ أَيضاً إِنَّا يَصِيرُ حَيّاً بِمقَارَنَةِ النَّفْسِ له . فالنَّفْسُ إِذَنْ
 حَيَّةٌ بالفعلِ ؛ وما هو حَيٌّ بالفعلِ لا يَعْدَمُ الحَيَاةَ فالنَّفْسُ إِذَنْ لا تَعْدَمُ
 الحَيَاةَ .

بُرْهَانٌ ثَالِثٌ^(٢٠)

نَفُوسُنَا النَّاطِقَةُ إِنَّا تَفْتَقِرُ إلى الحَوَاسِّ الجَسَدِيَّةِ مادامتُ عارِيَةً مِنَ
 الصُّورِ العَقْلِيَّةِ . فإذا حَصَلَتْ فِيهَا صُورَةٌ مِنَ الصُّورِ العَقْلِيَّةِ لم تَحْتَجْ إلى
 اسْتِعْمَالِ الحَاسَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَيْهَا ؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ لِلنَّفْسِ

(١٤) في ط : فإنها قد تساويا في العدم فكل واحد .

(١٥) في خ : موجود . وأثبتنا ما في : ط .

(١٦) في خ : يخرج . وأثبتنا ما في : ط .

(١٧) في ط : فإذا ثبت . وهي بالفاء أمثل .

(١٨) في ط : لم يصر حياً .

(١٩) في ط : فَمُخْرِجُهُ إلى الحياة (يأسقاط : إِذَنْ) .

(٢٠) في ط : البرهان الثالث .

استِقْلَالاً بِذَاتِهَا تَسْتَعِينِي بِهِ عَنِ الْجِسْمِ ، وَأَنْ أَعْضَاءَ الْجِسْمِ إِنَّمَا هِيَ
 آلَاتٌ^(٢١) تَلْتَقِطُ بِهَا مَعَارِفَهَا . فَأُنتَجَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ إِذَا
 تَجَوَّهَتْ بِالْمَعَارِفِ^(٢٢) ، وَحَصَلَ لَهَا الْعَقْلُ الْمُسْتَفَادُ لَمْ تَخْتَجِ إِلَى التَّعَلُّقِ
 بِالْجِسْمِ .

بُرْهَانٌ رَابِعٌ^(٢٣)

نَفُوسُنَا تَجِدُ الْأَشْيَاءَ الْهَيُولَانِيَّةَ مُصَوَّرَةً فِي ذَاتِهَا^(٢٤) ، عِنْدَ مَغِيبِ
 الْأَشْيَاءِ الْمُصَوَّرَةِ عَنْ حَوَاسِنَا . وَكَذَلِكَ نَرَى الْأَشْيَاءَ فِي حَالِ نُومِنَا .
 وَمَا تَرَاهُ نَفُوسُنَا مِنْ ذَلِكَ فِي حَالَتِي^(٢٥) الْيَقْظَةِ وَالنُّومِ إِنَّمَا هِيَ صُورَةٌ
 مُجَرَّدَةٌ مِنْ هَيُولَاتِهَا^(٢٦) . فَثَبِتَ بِذَلِكَ أَنَّ الصُّورَ لَهَا وَجُودَانٌ .

وَجُودٌ فِي الْهَيُولَى ؛

وَوَجُودٌ خِلْوٌ مِنَ الْهَيُولَى^(٢٧) .

(٢١) في ط : وأن أعضاء الجسم إنما هي آلات لها تلتقط بها . (بزيادة : لها) . وبها يكون الكلام أكثر وضوحاً .

(٢٢) كلمة « بالمعارف » من خ فقط .

(٢٣) في ط : البرهان الرابع .

(٢٤) في ط : مصورة في ذواتها .

(٢٥) في ط : في حالي .

(٢٦) في ط : صورة مجردة من هيولاها .

(٢٧) في خ : خَلْقٍ مِنْ . وفي ط : خِلْوٌ عَنْ ؛ وَأُثْبِتَاهُ .

ولولا ذلك لم يمكن نفوسنا أن تجد صورة إلا في هيولاتها^(٢٨) .
 وإذا ثبت ذلك لم يستنكر وجود الإنسان بعد الموت صورة مجردة
 من الهيولى ولم يمنع من ذلك مانع .

برهان خامس^(٢٩)

نجد الإنسان بالمشاهدة يبدأ طفلاً لا يعلم شيئاً . ثم لا يزال كلما نشأ
 يترقى في المعارف ، وتكثر المعقولات في نفسه حتى يصير فيلسوفاً
 حكماً .

فلا يخلو ما يستفيده^(٣٠) من التمييز والمعرفة أن يكون :

من قبل جسمه فقط ؛

أو من قبل نفسه فقط ؛

أو من قبلها معاً .

فإن كان من قبل جسمه فيجب أن يكون الإنسان^(٣١) كلما^(٣٢) ضخم جسمه
 وكثرت مادته كان أقعد بقبول المعارف^(٣٣) ، [وكلما ضؤل ، وقلت مادته

(٢٨) في ط : لم تمكن نفوسنا أن تجد صورة لافي هيولاها . (كأن : لا مصحفه من :
 إلا) .

(٢٩) في ط : البرهان الخامس .

(٣٠) في خ : ما يستفيد ؛ وأثبتنا ما في : ط .

(٣١) في ط : مهياً ضخم .

(٣٢) في ط : كان أشدَّ هيؤاً لقبول المعارف .

كَانَ أَبْعَدَ عَنِ قَبُولِ الْمَعَارِفِ [٣٣] . وَنَحْنُ نَجِدُ الْأَمْرَ بِعَكْسِ ذَلِكَ (٣٤) ؛ لِأَنَّا نَرَى مَنْ بِهِ السَّلَالُ (٣٥) وَالذَّبُولُ يَنْقُصُ جِسْمَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَذِهْنُهُ بَاقٍ عَلَى كَمَالِهِ إِلَى أَنْ تَفَارِقَهُ النَّفْسُ . قَبِطِلَ (٣٦) بِهَذَا الدَّلِيلِ أَنْ يَكُونَ [ذَلِكَ] (٣٧) مِنْ قِبَلِ جِسْمِهِ .

وَيَنْخُو هَذَا الدَّلِيلُ يَبْطُلُ أَنْ يَكُونَ [ذَلِكَ] (٣٨) مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ [٢٧] وَجِسْمِهِ مَعًا ؛ فَإِذَنْ مَا يَسْتَفِيدُهُ [الْإِنْسَانُ] (٣٩) مِنَ التَّمْيِيزِ وَالْمَعَارِفِ [إِنَّا هُوَ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ فَقَطْ ؛ وَلَا حَظٌّ فِي ذَلِكَ لِلْجِسْمِ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهُ آلَةٌ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الْأَلَاتِ لِلصَّنَاعَةِ . وَلَا يَصِحُّ وُجُودُ التَّمْيِيزِ وَالْمَعَارِفِ] (٤٠) مِنْ مَوَاتٍ ، وَإِنَّا يَصِحُّ وُجُودُهَا (٤١) مِنْ حَيٍّ .

فَالنَّفْسُ إِذَنْ حَيَّةٌ بِالطَّبْعِ ؛ لِأَنَّ فِي طَبْعِهَا قَبُولَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ .

وَالْجِسْمُ مَوَاتٌ بِالطَّبْعِ ؛ إِذْ لَيْسَ فِي طَبْعِهِ قَبُولُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

فَبَانَ بِالْبُرْهَانِ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُرَكَّبًا مِنْ جَوْهَرَيْنِ :

(٣٣) ما بين معقوفتين من : ط ؛ وسقط من : خ .

(٣٤) في ط ؛ ونحن نرى الأمر بالعكس من ذلك .

(٣٥) في ط ؛ السَّلَالُ .

(٣٦) في ط ؛ قَبِطِلَ .

(٣٧) الزيادة من : ط .

(٣٨) الكلمة من : ط .

(٣٩) كلمة الإنسان من ط .

(٤٠) ما بين معقوفتين مستدرك من : ط .

(٤١) في ط ؛ وجودها (يافراد الضمير) .

أَحَدُهُمَا حَيٌّ بِالطَّبِيعِ ؛ وَهِيَ النَّفْسُ .
وَالْآخَرَ^(٤٢) مَوْتٌ بِالطَّبِيعِ ؛ وَهُوَ الْجِسْمُ .

وَإِنَّمَا لَمَّا اقْتَرْنَا عَرَضَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَرَضٌ^(٤٣) مِنْ قِبَلِ صَاحِبِهِ .
^(٤٤) فَعَرَضَ لِلْجِسْمِ الْحَيَاةُ الَّتِي هِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ ، وَعَرَضَ لِلنَّفْسِ
الْمَوْتُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ الْجَهْلُ مِنْ قِبَلِ الْجِسْمِ^(٤٤) .

فَالنَّفْسُ إِذْ نَحْيَةً بِالطَّبِيعِ مَيَّتَةٌ بِالْعَرَضِ ، وَالْجِسْمُ مَيَّتٌ بِالطَّبِيعِ حَيٌّ
بِالْعَرَضِ . فَإِذَا انْفَصَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَلَصَ لِلْجِسْمِ الْمَوْتُ
الْمَحْضُ الَّذِي هُوَ طَبَعُهُ وَفَارَقَتْهُ الْحَيَاةُ الْعَرَضِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ اسْتِفَادَهَا مِنْ
النَّفْسِ . وَخَلَصَ^(٤٥) لِلنَّفْسِ الْحَيَاةُ الْمَحْضَةُ الَّتِي هِيَ طَبَعُهَا . وَفَارَقَهَا
الْمَوْتُ الْعَرَضِيُّ الَّذِي كَانَتْ عَرَضاً لَهَا مِنْ قِبَلِ اسْتِغْرَاقِهَا فِي الْجِسْمِ .

بُرْهَانٌ سَادِسٌ^(٤٦)

النَّفْسُ النَّاطِقَةُ تَنَاقِضُ النَّفْسَ الْحَيَوَانِيَّةَ لِأَنَّهَا تَرْتَعِبُ فِي كَسْبِ
الْفَضَائِلِ وَاطْرَاحِ الرِّذَائِلِ . وَتَزْهَدُ فِي اللَّذَاتِ الْجَسَدِيَّةِ ، وَتَرْتَعِبُ فِي
اللَّذَاتِ الْعَقْلِيَّةِ .

(٤٢) في ط : والثاني موات .

(٤٣) في ط : وإنما لما افترقا زال ما عرض لكل واحد من قبل صاحبه .

(٤٤-٤٤) ما بين الرقبتين لم يرد في ط .

(٤٥) في ط : وخلصت .

(٤٦) في ط : البرهان السادس .

وَالنَّفْسُ الْحَيَوَانِيَّةُ بَضِدَ ذَلِكَ ، وَلذَلِكَ سُمِّيَتْ بِهَيْئَةٍ .

فَإِنْ كَانَ لَا بَقَاءَ لِلنَّفْسِ النَّاطِقَةِ بَعْدَ فِرَاقِ^(٤٧) الْجَسَدِ ، وَلَا لَهَا حَيَاةٌ أُخْرَى تَجْنِي فِيهَا ثَمَرَةً مَا كَانَتْ تَسْعَى فِيهِ ، وَتَحْضُرُ عَلَيْهِ^(٤٨) ؛ فَالنَّفْسُ الْحَيَوَانِيَّةُ [إِذْنَهُ أَشْرَفُ مِنَ النَّاطِقَةِ وَمَا تَأْمُرُ بِهِ النَّفْسُ الْحَيَوَانِيَّةُ]^(٤٩) مِنْ اسْتِغْرَاقِهَا^(٥٠) فِي الشَّهَوَاتِ هُوَ الصَّوَابُ وَالْعَقْلُ ؛ وَمَا تَأْمُرُ بِهِ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ هُوَ الْخَطَأُ وَالْجَهْلُ .

وَهَذَا قَلْبُ الْعُقُولِ^(٥١) وَعَكْسُ مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ .

بُرْهَانٌ سَابِعٌ^(٥٢)

كُلُّ شَيْءٍ مُرَكَّبٌ مِنْ بَسَائِطَ فَإِنَّهُ يَنْحَلُّ إِلَى بَسَائِطِ^(٥٣) . وَالْإِنْسَانُ مُرَكَّبٌ مِنْ سَبْعِينَ^(٥٤) :

رُوحَانِيٌّ

وَجِسْمَانِيٌّ

(٤٧) فِي ط : فِرَاقِهَا الْجَسَدِ .

(٤٨) فِي ط : مَا كَانَتْ فِيهِ تَسْعَى وَعَلَيْهِ تَحْرُصُ فَالنَّفْسُ ..

(٤٩) مَا بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ مِنْ : ط .

(٥٠) فِي ط : مِنَ الْاسْتِغْرَاقِ .

(٥١) فِي ط (مِصْر) : وَهَذَا قَلْبُ الْمَعْقُولِ ، وَعَكْسٌ لِمَا ..

(٥٢) فِي ط : الْبُرْهَانُ السَّابِعُ .

(٥٣) فِي ط : إِلَى بَسَائِطِهِ .

(٥٤) مُرَكَّبٌ مِنْ سَبْعِينَ .

وَنَحْنُ نَرَى الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ لَحِقَ جِسْمَهُ بِجِسْمَانِي مِثْلِهِ ، فَكَذَلِكَ
رُوحَانِيَّةٌ يَجِبُ أَنْ يَلْحَقَ بِرُوحَانِي مِثْلِهِ ^(٥٥) .

وَقَدْ صَحَّ مَا قَدَّمْنَاهُ فِي الْبَرَاهِينِ السَّالِفَةِ أَنَّ ذَلِكَ الرُّوحَانِيَّ هُوَ الَّذِي
يَفِيدُ جِسْمَهُ الْحَيَاةَ ؛ وَأَنَّهُ حَيٌّ بِالْفِعْلِ ، فَهُوَ إِذْنُ حَيٌّ بَعْدَ مَفَارَقَةِ
الْجِسْمِ ^(٥٦) ، لَا يَعْدَمُ الْحَيَاةَ .

بُرْهَانٌ ثَامِنٌ ^(٥٧)

[٢٨] مَعْنَى الْحَيَاةِ الْجَسَدِيَّةِ عِنْدَنَا ^(٥٨) هُوَ مَقَارَنَةُ النَّفْسِ لِلْجِسْمِ ^(٥٩)
وَاسْتِعْمَالُهَا إِيَّاهُ ؛ وَمَعْنَى الْمَوْتِ مَفَارَقَةُ النَّفْسِ إِيَّاهُ وَتَرْكُهَا اسْتِعْمَالَه .

وَقَالَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّفْسَ هَالِكَةً بِهَلَاكِ الْجِسْمِ : « مَعْنَى الْحَيَاةِ أَنَّ
تَكُونَ النَّفْسُ ذَاتَ حِسٍّ . وَمَعْنَى الْمَوْتِ أَنَّ تَعْدَمَ الْحِسَّ » .

فَنَسَأَلُهُمْ عَنِ الْحِسِّ الْمَوْجُودِ لِلنَّفْسِ طَوْلَ مَقَارَنَتِهَا لِلْجِسْمِ ^(٦٠) : هَلْ
هُوَ ذَاتِيٌّ لَهَا ، أَوْ عَرَضِيٌّ فِيهَا ^(٦١) ؟

(٥٥) في ط : روحانيته يجب أن تلحق بروحاني مثلها .

(٥٦) في ط : بعد مفارقة الجسد .

(٥٧) في ط : البرهان الثامن .

(٥٨) في ط : معنى الحياة الجسدية عندنا هو ؛ وفي خ : عند مقارنة . وأثبتنا ما في ط .

(٥٩) في ط : الجِسْمِ (بمحذف أداة الجر) .

(٦٠) في ط : للجسد .

(٦١) كلمة : فيها . لم ترد في : ط .

فإن كان ذاتياً لها بطل أن تُعَدَمَ الحِسَّ بعد مُفَارَقَتِهَا الجِسْمَ ^(٦٢) ؛ وإن كانَ عَرَضِيًّا فِيهَا ^(٦٣) فلا يَخْلُو من أن يكونَ اسْتِفَادَتُهُ من الجِسْمِ ، أو مِن جَوْهَرٍ آخَرَ مُصَاحِبٍ لَهُ ^(٦٤) .

فإن كانَ الجِسْمُ هو الَّذِي يَفِيدُهَا الحِسَّ وَجَبَ أَلَّا يُعَدَمَ الجِسْمُ [الحِسَّ] ^(٦٥) إِذَا فَارَقَتُهُ النَّفْسُ ؛ وَهَذَا خِلَافٌ ^(٦٦) مَا نَشَاهِدُهُ مِن حَالِهَا ، وَحَالِ جِسْمِهَا .

وإن كَانَتْ ^(٦٧) النَّفْسُ إِنَّمَا تَسْتَفِيدُ الحِسَّ من جَوْهَرٍ آخَرَ رُوحَانِيٍّ مُتَّصِلٍ بِهَا وَجَبَ أَنْ نَسْأَلَهُم عن ذَلِكَ الجَوْهَرِ الآخِرِ : هَلْ هُوَ حَسَّاسٌ بِذَاتِهِ أَمْ بِجَوْهَرٍ ^(٦٨) آخَرَ أَيضاً ؛ وَيَسْتَمِرُّ ذَلِكَ إلى مَا لَانِهَائِيَّةَ لَهُ . وَمَا لَانِهَائِيَّةَ لَهُ بِالعقلِ ^(٦٩) فَمَحَالٌّ ؛ فَتَبَّتْ أَنَّ النَّفْسَ حَسَّاسَةً بِذَاتِهَا وَجَوْهَرِهَا . وَمَا كَانَ حَسَّاساً بِذَاتِهِ وَجَوْهَرِهِ بَطْلٌ أَنْ يُعَدَمَ الحَيَاةَ .

فَالنَّفْسُ إِذْنُ حَيَّةٌ بَعْدَ فِرَاقِ الجِسْمِ .

(٦٢) في ط : للجسد .

(٦٣) كلمة : فيها ، لم ترد في : ط .

(٦٤) في ط : مصاحب لها .

(٦٥) الزيادة من : ط .

(٦٦) في ط : وهذا ضد ما نشاهده .

(٦٧) في ط : فإن كانت .

(٦٨) في ط : أو بجوهر .

(٦٩) في خ : وما لا نهاية بالعقل . وفي ط : وما لا نهاية له بالفعل . وأثبتنا (له) من : ط .

وقد استدلَّ الحُكَمَاءُ على بقاءِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ بِأدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ هَذِهِ .
وفِيما ذَكَرناهُ مِنْها مَقْنَعٌ .
وباللهِ التَّوْفِيقُ .
كَلَّتِ المسائِلُ الفِلسَفِيَّةُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً^(٧٠) .

(٧٠) في ط ، في موضع هذه العبارة : « تَمَّ الكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَامِهِ » . انْتَهَى .

المستشرق الإسباني البحّثة
مقدمة ميغيل آسين بلاثيوس
على طبعته لكتاب (الحقائق) في مجلة الأندلس
وتعريف به
ترجم المقدمة : الدكتور سهون حايك

م . آ . بلاثيوس ، ومقدمته لكتاب الحدائق

في أثناء ندوة حطين التي دعت إليها وزارة الثقافة عام ١٩٨٧ م ، التقيت مرة أخرى بالصديق الأستاذ الدكتور سيون حايك ، وسألته أن يتفضل بمراجعة مقدّمة كتاب (الحدائق) التي كتبها المستشرق الإسباني ميغيل آسين بلاثيوس حين أصدر هذا الكتاب في مجلة الأندلس ، ويتكرم بترجمتها .

ولبى الزميل الكريم رغبتى فترجم مقدمة بلاثيوس ؛ وها أنا ذا أضعها مع هذه المقدمات التي أضدّر بها نشرقي لكتاب الحدائق^(١) .

وإنني أسجل هنا شكري وتقديري للدكتور حايك ، وأرجو أن يستمر تعاونا في مجال الدراسات والبحوث العربية عامة والأندلسية خاصة .

وأقدم قبل النصّ المترجم بتقدمة سريعة عن هذا الباحث الإسباني القدير ، المحب للثقافة العربية الإسلامية ، والذي قدّم جهوداً عظيمة في الأدب العربي ، والفلسفة الإسلامية ، وكان له شأنٌ خاص في حقل تبين الأثر الإسلامي في الفكر الأوربي .

ميغيل آسين بلاثيوس

ميغيل آسين بلاثيوس (١٨٧١ - ١٩٤٤ م) أحد أعلام الدراسات العربية في إسبانية ، وأحد أركان المدرسة الأندلسية في هذا القرن .

ولد في مدينة سرقسطة عاصمة مقاطعة أرغون . ودرس في مدارسها ، ودخل كلية الآداب في جامعتها . ودرس في الوقت نفسه في المعهد الجمعي (معهد ديني لتخريج رجال الدين) ؛ وتخرج فيه فعلاً سنة ١٨٩٥ م وعيّن قسيساً في كنيسة سان كينانو بسرقسطة .

(١) تركت المقدمة على حالها ، لم أحذف منها شيئاً ، أعني خصوصاً تقويمه لكتب ابن السّيد التي اطلع عليها م . آ . بلاثيوس ، وما أورده عن كتاب الإنصاف : فتحت أحكامه نظر كثير .

وتتلمذ ميغيل أسين بلاثيوس على خليان ريبيرا (١٨٥٨ - ١٩٣٤ م) وهو مستشرق من ذوي الفضل على الدراسات الأندلسية ، وأسهم في نشر عدد من النصوص التراثية الأندلسية وساعد ريبيرا تلميذه على دراساته العربية .

وحصل م . آ . بلاثيوس على درجة الدكتوراة من جامعة مدريد سنة ١٨٩٦ م . وكانت رسالته عن الإمام الغزالي ، ثم أصدرها معدلة سنة ١٩٠١ م بعنوان الغزالي : (العقائد والأخلاق ، والزهد) .

وخلف م . آ . بلاثيوس أستاذه ريبيرا على شغل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة مدريد سنة ١٩٠٣ م .

وأسهم هذا المستشرق النشط في كتابة المقالات وتقديم البحوث ، إلى المجلات المتخصصة ، والمؤتمرات الأدبية والثقافية ، واشترك في المؤتمر الدولي للمستشرقين المنعقد في الجزائر ١٩٠٥ م بصحبة كوديرا ، وحضر معه المؤتمر الآخر لهم في كوبنهاجن ١٩٠٨ م .

واختير سنة ١٩١٢ م عضواً في الأكاديمية الملكية للعلوم الأخلاقية والسياسية وألقى سنة ١٩١٤ م - عند ممارسته الفعلية لهذه العضوية - بحثاً عن : ابن مسرّة ومدرسته : أصول الفلسفة الإسبانية الإسلامية . وتابع أثر هذه المدرسة في الفكر الأوربي .

و م . آ . بلاثيوس معروف في الدراسات الإسلامية والأوربية - وخصوصاً عند المهتمين بالأثر الإسلامي في أوربة - بالبحث الخطير الذي ألقاه في ٢٦ كانون الثاني ١٩١٩ م ، بمناسبة تعيينه عضواً في الأكاديمية الملكية الإسبانية بعنوان : « الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية » . فقد قرّر بالأدلة والاستنتاجات - التي أيدها البحوث التالية - تأثر داتي بالتصورات الإسلامية للأخرة في وضعه للكوميديا الإلهية .

وتابع هذا المنهج فأثبت أن الراهب تورميديا الفرنسكاني (نحو

١٣٦٢ - ١٤٢٣ م) نسب إلى نفسه أجزاء من رسائل إخوان الصفا . وقد أسلم هذا الراهب (ينظر في تفصيل هذا موسوعة المستشرقين : ٧٨) .

وأنفق بلاثيوس زماناً متطاولاً في العناية بكلّ من ابن حزم القرطبي ومحيي الدين بن عربي . ودرس كتاب طوق الحمامة قبل أن يصدره بتروف أول مرة . وأصدر ترجمة لكتابه : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ودراسة مستفيضة عن ابن حزم . وأصدر عن ابن عربي أكثر من أثر ، أشهرها كتاب بعنوان « ابن عربي : حياته ومذهبه » وكتب بحثاً عن أثر ابن عباد الرندي في يوحنا الصليبي . وترجم بعض كتب الغزالي ...

واستمرّ م . آ . بلاثيوس على نشاطه في أثناء الحرب الأهلية الإسبانية وبعدها . في التأليف والترجمة والتصنيف ، والمشاركة في نشاط الأكاديميات الثلاث التي كان عضواً فيها : (الأكاديمية الإسبانية ، وأكاديمية التاريخ ، وأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية) .

وجمع مقالاته المتعلقة بتأثير الإسلام في أوربة والمسيحية في كتاب عنوانه « تأثيرات الإسلام » أصدره سنة ١٩٤١ م .

وعني سنة ١٩٤٠ بدراسة الأسماء العربية للبلاد الإسبانية ، وحاول التعرف إلى نظائرها الحالية في إسبانية . وبحث في الأسماء الرومانشية التي سجلها عالم نبات أندلسي مسلم مجهول لقيه في مخطوط في الأكاديمية الملكية للتاريخ .

وكانت وفاته سنة ١٩٤٤ م في ١٢ آب من ذلك العام ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

وصدر له بعد وفاته مجموعة مختارة من آثاره طبعت بعنوان : (مؤلفات مختارة) صدرت في ثلاثة أجزاء .

وقد أثبتت عناوين مقالاته وبحوثه ودراساته ومؤلفاته وتراجمه في ترجمته

في مجلة الأندلس الصادرة سنة ١٩٤٤ م : (ج ٩ ص ٢٦٧ - ٣١٩) .

وأثنى مترجموم . آسین بلاثيوس عليه ؛ ونذكر هنا قول الدكتور بدوي في ترجمة له في موسوعة المستشرقين : « لقد كان آسین بلاثيوس طوداً شامخاً من أطواد الاستشراق ؛ يحتلُّ مكان الصدارة التي يحتلُّها نلینو (إيطالية) وجولدزیه (المجر) ونولدكه (ألمانية) وماسينيون (فرنسة) وكراتشكوفسكي (روسية) ودوزي (هولندية) ، وبه رسخت أقدام البحث العلمي المتميز في تاريخ الإسلام الروحي في إسبانية ، ولئن كان منهجه العلمي يستند إلى اللحاحات البعيدة واللوامع العبقريّة أكثر مما يستند إلى الوثائق والقواعد المنهجية الوثيقة ، ويحفل بالفروض أكثر مما يحفل بالوسائل الكفيلة بتحقيقها على أصول راسخة فإن كثيراً من نظراته اللّاححة التي بدت في البدء خياليّة ، قد جاءت الوثائق المكتشفة فيما بعد لتؤيّدتها ؛ فضلاً عن أنها وجّهت - وستوجّه البحث - في اتجاهات جديدة ما كان يمكن الانتباه إليها لولا قبساته الوضاعة هذه . ومن هنا جاء الكثير منها موحياً أكثر منه مقنعاً ... » .

وقد اختير بلاثيوس عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق تقديراً لجهوده في الثقافة العربية وكان له تقديره ومكانته في كل محفل له اهتمام بالتراث العربي الإسلامي أو عناية بالثقافة العربيّة ، وخصوصاً : آدابها وفلسفتها وفكرها الديني .

(ترجم ليفيل آسین بلاثيوس : إميليو غارثية غومس في مجلة الأندلس ج ٩ - الصادرة سنة ١٩٤٤ م - الصفحات : ٢٩٣ - ٣٢١ .

واهتم به الكتاب الذين اعتنوا بالمستشرقين : ينظر مثلاً : المستشرقون لنجيب العقيقي ٢ : ٥٩٥ ، وموسوعة المستشرقين ٧٧ ، ومناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جزأين ، والدراسات العربية والإسلامية في أوربة : ١٣٨ ...) .

مقدمة لكتاب (الحدائق) لابن السيد البطليوسي*

بقلم ميغيل آسين بلاثيوس

انتقلت شخصية هذا الكاتب الإسباني المسلم إلى تاريخ الثقافات العربية كأنها صورة للغوي ونحوي عادي ، وامتزجت مع جماعات لا تحصى من الأدباء من هذا النوع ، واللائمة تقع على الذين ترجوا له^(١) فقد أبرزوا فيه تلك المواهب التي لم يميّز بها وتركوها - جانباً - مواهبه الحقيقية ؛ أي : « الفكر والفيلسوف » . وهاتان الصفتان لا ينظر إليهما بعين الرضى في الأندلس المؤرخون وغيرهم ، فابن باجة وابن طفيل وابن رشد لا قوا المصير نفسه ، وإذا أدرجت أسماؤهم في جملة الأدباء والعلماء والأطباء غير ذلك ؛ فذلك لكي يتركوا مؤلفاتهم الفلسفية في الظل أو لكي يستنكروا مذاهبهم الفكرية لأسباب لاهوتية دون التوقف لتحليل فحواها . وقد توصلوا إلى إهمال عناوين مؤلفاتهم نفسها . ولا عجب إذا رأينا أن مؤلفات ابن السيد الفلسفية لم تحظ بالشهرة التي تستحقها حتى ولم تنعت بخروجها على الدين لأنها ظلت مجهولة ، ومع ذلك ففي تاريخ الفلسفة الإسلامية الإسبانية فإن مؤلفات هذا الرجل الفلسفية تمثل نواة تلك الفلسفة المتمخضة التي ولدت عند ابن باجة وابن طفيل وابن رشد .

حياته :

عاصر ابن باجة وسبق ابن طفيل وابن رشد ، لقد تطورت حياته في فترة حرجية انتقالية من ملوك الطوائف إلى المرابطين أي عندما بدأ الانحطاط

(٢) من ترجمة الأستاذ الدكتور : سيون حايك .

(١) ابن بشكوال رقم ٦٣٩ ، الضي رقم ٨٩٢ ، ابن خلكان وفيات طبعة القاهرة ١٢٩٩ م ، ابن خاقان طبعة مرسيلا باريس ١٢٧٧ م وبروكلمان جزء أول ٤٢٧ .

السياسي الإسلامي الإسباني ، فوحدت الخلافة الأموية في قرطبة تحطمت ، وملوك الطوائف معرضون من الخارج لغزوات النصارى المستمرة ، فهرع بعض ملوك الطوائف إلى يوسف بن تاشفين لينشلهم من الهوة التي وقعوا فيها على أيدي النصارى غير أن الأزمات السياسية لا يرافقها دائماً الانحطاط الثقافي ، ففي الغالب يقابلها ازدهار أدبي وعلمي هو بالواقع نتيجة الجمود أي مجرد استمرار الازدهار الذي حدث قبل وقوع الأزمة . ويقول لنا صاعد الطليطلي مؤرخ تاريخ العلوم - وعاش قبل ابن السيد بزمن قليل - في كتابه « الطبقات ^(١) كيف أن ملوك الطوائف ورثوا الازدهار البلاطي عن قرطبة ثم نأ هذا الازدهار عن طريق سياسة أكثر انفتاحاً من قبل أولئك الملوك الصغار الذين رحبوا بالعلماء والأدباء ووضعهم تحت حمايتهم نابذين الوسوس ذات الطابع الديني .

في بلاط مملكة بطليئوس قاعدة بني الأفطس ، ولد ابن السيد عام ٤٤٤ هـ ، ١٠٥٢ ميلادية على عهد المظفر وهو ثالث ملك من ملوك بني الأفطس ، ولا يظهر أن الفلاسفة شاركوا في تثقيفه الفكري بل ثقفه فقهاء وأدباء . وبلاط المظفر ازدهرت فيه الآداب أكثر من أي بلاط آخر . والملك نفسه أسهم في ازدهاره . وما لبث أن غادر ابن السيد مسقط رأسه وانتقل إلى مناطق أكثر أماناً وسلباً إذ أن مملكة بطليئوس هي على عراك مستمر مع مملكة إشبيلية ، ومهددة باستمرار من قبل الملك فيرننند الأول القشتالي فأصبحت مملكة بطليئوس تدفع الجزية لقشتالة وما لبث الأمر أن سقطت بأيدي المرابطين ، ومن المرجح أن ابن السيد انتقل إلى بلنسية إذ أن جميع الذين ترجموا له يتحدثون عن هذه المدينة ، ولا يذكرون مدينة أخرى . وابن خاقان - وحده - يقدم لنا معلومات واضحة

(١) راجع ترجمة (بلاشير) باريس ١٩٣٥ م صفحة ١٢٧
 (والمقصود هنا كتاب : طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ، وله أكثر من طبعة عربية ، وهو في حاجة إلى تحقيق علمي - المحقق) .

وكاملةً تقول إن ابن السيد طلب حماية الأمير عبد الملك بن رزّين (١١٠٢ - ١٠٥٨) فقد شغلّ عنده وظيفة كاتب ؛ إذ أن ابن السيد يسيطر على هذه المهنة ويجيدها تمام الإجابة . وقد سقطت مملكة ابن رزّين بأيدي المرّابطين عام ١١٠٣ ميلادية ، وابن السيد الذي توقع هذا المصير غادرَ وظيفته قبل ذلك بزمانٍ وانتقلَ إلى طليطلة عازماً على تكريس ما بقي من حياته في استثمار العلوم . وكان يملك في طليطلة آنذاك المأمون (١٠٧٥ - ١٠٢٧) وهذا المركزُ يعتبرُ من أحسن المراكز لتحقيق غايته ؛ فهو يتقاسم مع سرقسطة احتكار الثقافة في المناطق الشمالية من الأندلس ، بينما إشبيلية وقرطبة تهيمان على المناطق الجنوبية منه . لا نعرف شيئاً عن حياة ابن السيد في طليطلة ، غير أن ابن خاقان يذكر أنّ ابن السيد لم ينصرف في طليطلة إلى تعاطي العلوم بل انصرف إلى الآداب . ويذكر له مقطوعة شعرية أنشدها أمام المأمون بن ذي النون . ومن الأكد أيضاً أنه أقام فترة قصيرة في سرقسطة كما يتبين ذلك من حادثة أخرى ذكرها ابن خاقان ؛ إذ أنّ ابن السيد نظم قصيدة يمدح فيها المستعين بن هود ملك سرقسطة المتوفى عام ١١١٠ ، وقد يمكن أن نضع في هذه الفترة من حياته النقاش الذي دار بينه وبين ابن باجة حول مواضع تتعلق بالقواعد والجدل . وقد ذكره ابن السيد في كتابه الذي يحمل عنوان : « كتاب المسائل » . يستعملُ فيه لهجة احتقارية لابن باجة إذ أنّ ابن باجة في ذلك الحين لم يكن بعدُ أميرَ الفلسفة الإيبانية الإسلامية بل كان رجل أدب عادياً . توفي المستعين في معركة بلنيرة (١١١٠) ربحها ألفونسو المقاتل ملك أراغون مما أدى إلى أن تصبح سرقسطة تحت رحمة المرّابطين . وبعد ثمانية أعوام أي في عام ١١١٨ استولى عليها النصارى ومن المفترض أنه في أيام اضطرابات مثل هذه غادر ابن السيد سرقسطة كما اضطرَّ إلى مغادرة بطليوس والبراسين وطليطلة لكي يبحث عن ملجأ ، ووجده في مملكة بلنسية التي خضعت مثل بقية المناطق الأندلسية

لِحَكْمِ الْمَرَابِطِينَ ، وهناك توفي عام ١١٢٧/ ٥٢١ . وكرس أعوامه الأخيرة للنظر في مؤلفاته والإشراف على تلاميذه الذين قصدوه من جميع الأنحاء لكي يتقبلوا تعاليمه .

مؤلفاته :

أكثرها في علم القواعد واللغة والانتقاد الأدبي . وقليلة تلك التي لا تحمل هذا الطابع اللغوي . وهذه لائحة بمؤلفاته التي تكرم بها علينا ابن خلكان :

١ - كتاب الأسماء^(١) : ويقول عنه ابن خلكان أنه أسمى من كتاب قُطرب المتوفى عام ٨٢١ نظراً لدقة معلوماته ، واتساعه .

٢ - شرحُ سقط الزند : وقال عنه ابن خلكان إنه أكمل وأجود من شرح أبي العلاء نفسه لهذا الكتاب تحت عنوان « ضوء السقط » .

٣ - كتاب الحروف الخمسة : أي السين والصاد والضاد والطاء والذال لأن لفظها يحمل على الالتباس والتبديل .

٤ - كتاب الحلل في شرح أبيات الجمل : وهو شرح للأشعار الواردة في كتاب (الجمل) وهو من أهم التأليف في القواعد العربية في الإسلام كتبه الزجاجي (٩٤٩) .

٥ - الحلل : تكملة الكتاب السابق وفيه يصلح ابن السيد أخطاء وردت في كتاب الزجاجي .

٦ - كتاب شرح الموطأ : وهو شرح لأشهر كتاب لمالك في الشرع .

٧ - شرح ديوان المتنبي : وهو شرح لقصائد أمير الشعراء العرب المتوفى عام ٩٦٥ م .

٨ - كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : وهو شرح لكتاب ابن قتيبة المتوفى عام ٨٨٩ م .

(١) يريد كتاب المثلثات (انظر مقدمة التحقيق) .

٩ - كتاب الإنصاف في التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة .

١٠ - كتاب المسائل .

١١ - كتاب الحدائق .

وإذا استثنينا رقم ٦ و ٩ و ١٠ و ١١ فإن بقية الكتب هي في اللغة ، وقليلة جداً الكتب المحفوظة ، فبروكلمان يذكر الكتاب الذي يحمل رقم ١١ أي كتاب الحدائق الذي يعمل على طبعه^(١) إذ أن « شرح الخمس مقالات من كلام الفلاسفة » الذي يذكره بروكلمان ليس في الواقع سوى كتاب الحدائق . طبع اثنان من هذه الكتب وهما رقم ٨ في بيروت ١٩٠١ ورقم ٩ في القاهرة ١٣١٩ هجرية .

كتاب رقم ١٠ موجود مخطوطاً في مكتبة الاسكوريال تحت رقم ١٥١٨ وقد تحدثت عن هذا الكتاب في مجلة الأندلس عام ١٩٣٥ م مجلد رقم ٣ من صفحة ٣٤٥ إلى ٣٨٩ ، ويتحدث عن عدم إيمان الشاعر الوقاشي ، وقد طرحت هذه المسألة في إسبانية ، والشاعر يحلل على طريقته الخاصة التوفيق بين العقل والإيمان قبل ابن رشد بمئة عام . والمسائل الأخرى التي تتناول مواضيع فلسفية هي هذه :

١ - حول خطأ مزعوم للفارابي في تعداد المقولات الثلاث الأولى بكتاب أورغانون لأرسطو .

٢ - حول خلود النفس .

٣ - حول « إصابة العين » .

٤ - حول الكيمياء السحرية .

٥ - حول الجدل الذي حصل بين المؤلف وابن باجة ، المشار إليه سابقاً .

ليس هذا هو الكتاب الذي يبين عن تثقيف ابن السيد الفيلسفي ، فبصرف النظر عن كتاب (الحدائق) الذي نحن بصدهه يوجد كتابان هما المذكوران تحت

(١) الطبعة التي أخرجها المستشرق الأستاذ أسين بلاثيوس (انظر مقدمة التحقيق) .

رقم ٨ ورقم ٩ ، يلمح فيها ابنُ السِّيدِ إلى مواضيع فلسفيّة مضطراً لمُجْاراة متطلّبات شَرْحِ النُّصوص الغَريبة عنه ، ونظراً للعلاقات الوثيقة التي تربط المسائل اللاهوتية بالفلسفة .

تحليل كتاب الاقتضاب :

إنه تعليقٌ على كتاب ابن قتيبة « أدب الكتاب » ، وبالْحَقِيقَة فإن ابن السِّيد لا يشرح ولا يحلّل سوى مقدّمة هذا الكتاب إذ أنه في الباقي يقتصر على تصحيح وتوضيح الأشعار التي أدرجها ابن قتيبة في تأليفه . وعندما يحلّل ابن السِّيد المقدّمة كلمةً كلمةً يتوقف عند تلك الكلمات التي لها طابع فلسفي لكي يفسرها باقتضاب ولكن بكل وضوح وحسب المعنى المطلوب وكما هو موجود في الموسوعة اليونانية ، والأمثلة على ذلك في كلمة « الكون » ، وكلمة « الفساد » ، والجوهر ، والعرض ، والخطّ والنقطة والسّطح والجسم والآن والزّمان ، ويفسّر الكلمات الهندسيّة كما يُوافق الهندسة والكلمات الفلكيّة كما يُوافق علم الفلك ، وفي كل هذا ظهرت مواهبُ ابن السِّيد كما اعترف له بذلك الذين ترجموا له : الوُضوح والبساطة والنظام في التفسير . أمّا بقية الكتاب فلا تقدّم لنا الفائدة المرجوة ؛ إذ أنّها تبحث في مواضيع بورقراطية^(١) . وحتى في هذه المواضيع لا توجد مطابقة مع الزّمن الذي عاش فيه ابن السِّيد ، ولو أنه جاري عصره لكان لهذا الشرح قيمةً كبيرةً بالنسبة إلى تاريخ التنظيم الإداري في الأندلس ؛ إذ أنه على التّوالي يتكلّم عن الكاتب البسيط ثم عن أمين السّر للمراسلات ثم الكاتب الماليّ ثم الكاتب الحربيّ ثم كاتب العدل ثم كاتب الشرطة ثم كاتب الدّولة .

تحليل كتاب الإنصاف :

في هذا الكتاب يظهر الطابع الفلسفيّ عند ابن السِّيد أكثر من الكتاب

(١) يريد قضايا تتعلق بأدب الكتاب ، ولغة الدواوين . (المحقق) .

السابق لأنه يدرس موضوعاً من أخطر المشاكل التي واجهها المفكرون المسلمون وهي كثرة الفرق في الإسلام والدواء لردها إلى فرقة واحدة ، ويعترف ابن السيد في المقدمة أنه من المستحيل الوصول إلى هذه الوحدة في الحياة الدنيا^(١) لأن الاختلاف في وجهات النظر ناتج عن الفوارق الإنسانية وهي غير قابلة للتوفيق لا طبيعياً ولا نفسياً ولا أخلاقياً فبقضاء إلهي يختلف الناس فيما بينهم من حيث العرق واللون واللغة والأساليب وطرق التفكير ، ولكن مجرد هذه الفوارق التي لا بد منها تعني ضمناً ضرورة ردها إلى الوحدة عندما تكون الخلافات عقائدية ؛ لأن الحقيقة هي واحدة بحد ذاتها وإن تغيرت الأساليب للوصول إليها في هذه الحياة الدنيا . لا يمكن أن توجد الكثرة دون وجود الوحدة ؛ ولهذا تقع في الشك المطلق الذي يتخبط به السفسطائيون إذا لم يكن يوجد حياة أخرى يتحول فيها الخلاف في الرأي عند الناس في المسائل اللاهوتية إلى وحدة كاملة . وحتى يتم ذلك لا بد لنا في هذه الحياة من وجود وسيلة تزيل هذه الفوارق أو تخفف على الأقل من حدتها ، أو البحث في مصدرها عن الأسباب التي أدت إلى حصولها ، وهي على العموم المعاني المختلفة التي تبناها الناس في التعبير عن أفكارهم عندما يريدون الكلام عن العقائد المنزلة . والفرق التي يُشير إليها ابن السيد هي الجبرية والقدرية والجهمية والشيعية وغيرها ، ولا يتوقف عند كل فرقة من هذه الفرق بل يكتفي بذكر الأسباب العامة لوجود مثل هذه الفرق ، ويعزوها إلى ثمانية أسباب^(١) :

١ - استخدام ألفاظ قابلة للتباس وقابلة لعدة تفسيرات وبعض هذه التفسيرات متناقضة بحد ذاتها أو بعوامل أخرى صرفية أو نحوية .

(١) الإنصاف : (القاهرة ١٣١٩ هجرية) ص ٥ - ١٠

(٢) انظر مقدمة تحقيقنا لكتاب (الإنصاف) الطبعة الثالثة بدار الفكر (المحقق) ، ومقدمة ابن السيد لكتابه هذا ، فإن في عبارات المستشرق الفاضل شيئاً من الغموض واللبس .

- ٢ - اختلاف الآراء المتولدة عن أخذ المعنى الحقيقي ، أو المعنى الجازي في العقائد الموحاة .
- ٣ - اختلاف في الآراء متولد عن استخدام نصوص موحاة ولكنها مجرد ذاتها لا تتضمن المعنى الكامل والحاسم بل تحتاج إلى إيضاحات بنصوص أخرى عن طريق برهان القياس .
- ٤ - اختلافات متأتية عن أخذ كلمات النصوص (الموحاة) بمعنى مطلق بينما في الحقيقة لها معنى مقيد ، أو العكس .
- ٥ - اختلاف في الآراء ناتج عن الاستعمال غير الدقيق للحجج بالاعتداد على الحديث المشكوك في صحة نسبه .
- ٦ - اختلاف حاصل عن التفكير نفسه وعن برهان القياس في مسائل لا تحل عن طريق النصوص الموحاة .
- ٧ - خلافات ناتجة عن إهمال النصوص الموحاة التي تلغي نصوصاً أخرى .
- ٨ - اختلاف الآراء في موادّ عملية يعتبرها الشرع الديني جائزة .

تحليل كتاب الحدائق

من الواضح أنه من كتاب « الاقتضاب » وكتاب « الإنصاف » لا يمكن أن نعتبر ابن السيد فيلسوفاً ولا حتى من هواة الفلسفة ولولا كتابه « الحدائق » لما كان يستحق أن يسمّى أكثر من لغويّ . فبصرف النظر عن مواهبه الشعرية التي لا مجال لذكرها هنا ، وقد أشاد بوصفها الذين ترجموا له ، مرّوا بكتابه هذا مرّ الكرام كما لو كان غير موجود ؛ والأوروبيون أنفسهم أيضاً أهملوا هذا الكتاب حتى جاء بروكلمان وذكره في مؤلفه الضخم (المجلد الأول ص ٤٢٧) . وعرف هذا الكتاب بين اليهود فقط بفضل ترجمة عبرية له قام بها الكاهن اليهودي المعروف مارسيليا ، موسى بن طبون ١٢٤٠ - ١٢٨٢ ونشرها يهودي آخر قشتالي اسمه صموئيل بن موطوط في وادي

الحجارة عام ١٣٧٠ ، ولكن اسم ابن السيد البطليوسي حَرَفَه اليهود بحيث اعتقد الناس أن هذا الرجل هو بطليموس العالم الفلكي اليوناني . وهذا جعل اسم ابن السيد يضيع حتى جاء « كوفمان » عام ١٨٨٠ وكشف الغموض عن هذه القضية عندما طبع الترجمة العبرية لموسى بن طبون (راجع دافيد كوفمان في كتابه المطبوع في بودابست عام ١٨٨٠ م ، وجورج سارتون في كتابه مقدمة لتاريخ العلوم المطبوع عام ١٩٣١ م ذاك بالألمانية وهذا بالإنكليزية) .

وأهمية هذا الكتاب الفلسفية بادية من حيث أن ابن طبون موسى وهو من أهم المترجمين في القرون الوسطى قرّر ترجمة هذا الكتاب إلى العبرية ، وبفضل هذا المترجم الكبير تعرفت أوروبا على قسم كبير من مؤلفات الفلاسفة وعلماء الحساب وعلماء الفلك والأطباء العرب مثل ابن رشد والفارابي وابن سينا وجابر ، والبطروجي والرازي وغيرهم ، مؤلفات نقلت فيما بعد إلى اللاتينية وطبع بعضها في إيطاليا ، غير أننا لا يجب أن نسترسل في المبالغة في قيمة هذا الكتاب ، إذ أنه بالواقع لا يتعدى كونه تأليفاً لكي يوضع في أيدي المبتدئين بعلم الفلسفة ؛ فإنه يعكس المعارف الفلسفية السائدة في إسبانية الإسلامية آنذاك عندما كان ابن باجة يؤلف كتبه ، وعندما كان ابن طفيل وابن رشد غير موجودين ، أو قبل أن يفكر ابن رشد في شرح أرسطو .

تزداد أهمية ابن السيد عندما نعلم أنه استشهد ببعض مقاطع من كتاب أفلاطون « طيموس » ، وهي استشهادات لا تتفق تماماً مع الأصل اليوناني المعروف . وبصرف النظر عن هذا فإن كتاب (الحداثق) هو أول محاولة في الأندلس للتوفيق أو لانسجام اللاهوت الإسلامي بالفكر اليوناني ، وقد دافع ابن السيد عن هذا الانسجام عندما قال : إنّ الوحي والفلسفة لا يختلفان : لا من حيث الموضوع ولا من حيث الغاية ؛ فالاثنتان يبحثان عن الحقيقة ويعلمانها ، وإن اختلف الأسلوب . ويكتفي ابن السيد بإيراد هذه المبادئ دون التعرّض

لِتَطْبِيقِهَا : لا يمكن أن يقومَ نزاعٌ بين الفلسفةِ والعقيدةِ الْمُوحَاةِ إذ أن الفلاسفةِ أنفسهم مثل أفلاطون وأرسطو دافعا عن ضرورة الإيمان الديني بِإِلَهِ مُدَبَّرٍ وقدير وعادل ، أما الذين في الإسلام يقولون بهذا النزاع فإنهم لا يستحقون اسم « فلاسفة » : إمّا لأنهم كَفَرُوا أو لأنهم فاسدو الأخلاق ، وهذا هو الغرضُ من كتاب الحدائق لابن السِّيد : التوفيق بين الفلسفة والدين . وهي ثغرةٌ في إسبانية الإسلامية حاول ابنُ السِّيد أن يَسُدَّها . ولذا عمَدنا إلى طبع هذا الكتاب بأصله العربي وترجمته إلى الإسبانية . وقد اعتمدنا على المخطوط الوحيد الموجود في المكتبة الملكية ببرلين رقم ٢٣٠٣ من الورقة ١٦٧ حتى ١٩٥ والمخطوط واضح الخطِّ والكتابة شرقيه والنص متواصل دون مقاطع أو فصول .

المحور الأساسي الذي اتَّخذه ابنُ السيد هو النَّظريَّة الأفلاطونية الحديثة ، ونظريَّة أَفْلُوطين في مبدأ الانبثاق والصدور^(١) مع إضافات من الفيثاغورثية الجديدة . ولكن كل هذا متستّر بلباقة تحت الصَّيغ التقليدية للعقيدة الإسلامية الصَّحيحة : الله إله القرآن خالق الكون والمدبر ، يرمز إلى « الواحد » عند أفلوطين وفيثاغوروس . فهو وإن لم يكن عدداً هو مبدأ وسبب وماهيّة وغاية جميع الأرقام . كل الأشياء تتولّد عن الخالق غير المخلوق كما تتولّد الأعداد عن الواحد .

ولكي يَنزَةَ اللهُ - تعالى - عن كل تركيبٍ وتبديل يدافعُ ابنُ السِّيد عن أزلِيَّةِ صفاتِ اللهُ ، وهذه الصفات لا تميّزُ عن ماهيَّته قبل وبعد خلق العالم والإنسان (الحدائق فصل ٥) .

وعِلْمُ اللهُ لا يُسْتثنى عن هذه القاعدة ، فاللهُ بماهيَّته ليس فقط يعرف ذاته بل يعرف أيضاً جميع الكائنات المتميِّزة عنه ، الكليّات منها والجزئيّات .

والانتقال من الوحدة إلى الكثرة أي أصل العالم لا يفسره كتاب الحدائق

(١) في نظرية الفيض (المحقق) .

بالخلق من العدم كما هو وارد في اللاهوت الإسلامي رغم أن ابن السيد يدعو الله « البارئ » ، بل هذا الخلق يتم عن طريق الإفاضة (الفيض) كما هي معروفة عند الأفلاطونيين المُحدّثين . فبينما الفلاسفة العرب الشرقيون مثل الفارابي وابن سينا ؛ وابن باجة وابن طَفَيْل في الأندلس ؛ يكتفون بإيراد التسلسل الأفلوطيني من حيث الانبثاق من الواحد^(١) ، فإن ابنَ السَّيِّد يتبنّى براهين ذات طابع حسابي فيثاغوري . وهذا غير وارد عند الفلاسفة الذين جئنا على ذكرهم . (هنا يذكر آسين بلاثيوس نظرية ابن السَّيِّد في الإفاضة كما جاءت في كتاب الحدايق الفصل السادس والفصل الأول) .

ويؤكد ابن السَّيِّد أن هذه النظرية الانبثاقية المعقدة موجودة عند سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم ، ولكن هؤلاء الفلاسفة لا يثبتونها ، فابن السَّيِّد يرى أن الأعداد هي رمز الكون . فمن الواضح أن ابنَ السَّيِّد لم يلجأ إلى الفلاسفة اليونانيين لتوضيح نظريته هذه في الانبثاق والصدور والإفاضة ، فمن المعروف أنه في الأندلس قبل ظهور ابن السَّيِّد بمئة عام ونيف ظهر أو بالأحرى انتشرت تأليف من هذا النوع استقى منها ابنُ السَّيِّد مذهبه . وهي رسائل إخوان الصفا . فهي تحتوي على تسلسل لمبادئ الأفلاطونية الحديثة في الكائن . وهي تشبه كثيراً ما جاء عند ابن السَّيِّد (يمكن مراجعة رسائل إخوان الصفا « طبعة بومباي ١٣٠٦ هـ ، المجلد الثالث من صفحة ٤ إلى ٨ و ١٦ و ٢٢ و ٢٣ و ٣٩ و ٤١ . بشأن إخوان الصفا ووصول رسائلهم إلى الأندلس راجع مجلة الأندلس العدد ٤ عام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ صفحة ٤٦٢) .

وبعد النظرية اللاهوتية ، والنظرية الكونية ، تأتي النظرية النفسية في كتاب الحدايق . وهذه النظرية في النفس وعلمها لا يقدم لنا شيئاً جديداً لا من حيث جوهر النظرية ولا من حيث عَرْضُها . وقد شاء ابنُ السَّيِّد في آخر فصل

(١) الفيض عن الواحد .

من فصول كتابه أن يبرهن عن خلود النفس البشرية لكي يكون على وفاق مع الديانة الإسلامية ، والبُرهان عن النفس العقلية أو العاقلة . وقد جاء بثنائية براهين يقول عنها إنه أخذها من الفلاسفة الذين ورثوا أفكار سقراط وأفلاطون وأرسطو . فالنفس تفهم أكثر وأفضل عندما تتجرد من المحسوس والحس ؛ وهما من خصائص الجسد وتتخلص منها في الموت وعندما تصبح جوهرية باقترانها بالعقل الفعّال لا تعود بحاجة إلى الحواس الجسدية لكي تتوصل إلى الصّور القابلة للفهم .

إذا تركنا جانباً هذا الثوب الفيثاغوري الجديد الذي لبسه ابنُ السيد ، رأينا أنه يقترب كثيراً جداً من الفلاسفة الأفلاطونيين المحدثين في الأندلس أمثال ابن باجة وابن طفيل وابن رشد الذين - بعد ابن السيد - استطاعوا أن يلفتوا أنظار الناس إليهم ، لكي يصبوا عليهم الحرم من قبل اللاهوتيين المسلمين بينما لم يتعرض أحد لابن السيد كما لو أن فلسفته ظلت مجهولة . وأنا أعتقد أن هذا الإهمال الذي وجده ابنُ السيد عائد إلى أن فلسفته سطحيّة لم يعبا بها المتعمقون في دراسة المذاهب الفلسفيّة .

أكثر من حرص ابن السيد على التوفيق بين الفلسفة والإيمان ، فإن ابن رشد حرص أكثر بكثير من ابن السيد على التوفيق بين الفلسفة والدين في كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، وفي كتابه أيضاً مناهج الأدلة ومع ذلك فلم يستطع التخلص من غضب اللاهوتيين المسلمين . ولكن ابن رشد في شروحه لكتاب النفس لأرسطو قد ترك جانباً كل ما له طابع لاهوتي ، واقتصر فقط على دُرُس المُشكلة بواقعيّتها : « وحدة النفس » عند جميع البشر . فانتقل مذهبه إلى الرُشديين بعده وإلى توما الإكويني معارضه ، مع أن الاثنين : ابن رشد وابن السيد قالا بوحدة العقل الفعّال ؛ وهذا ما أدى إلى ذلك النقاش الذي استمرّ طيلة القرون الوسطى المتأخرة ، فهذا العقل الفعّال هو الخالد وحده في نظر الاثنين : أي ابن رشد وابن السيد .

فَهَارِسُ الْكِتَابِ

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار .
- ٣ - فهرس الشعر .
- ٤ - فهرس الأعلام .
- ٥ - فهرس البلدان والأماكن .
- ٦ - فهرس الكتب والمجالات والموسوعات .
- ٧ - فهرس لغويّ مصطلحيّ .
- ٨ - فهرس المحتويات .

فهرس الآيات

الآية	الصفحة
كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١١﴾	١١
لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ .	١٢٥
وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١٢١﴾	١٢١
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .	١٢١

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
- « أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه »	٧٨
- « تقرب إلى الله بعقلك إذا تقرب الناس إليه بأعمالهم » .	٧٢
- « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » .	١٢٥، ٧٢

فهرس الشعر

الصفحة	كلمة القافية
٧٤	واجِبٌ
٧٤	حاجِبٌ
٢١	الحُلْدِ
١٢٢	قَدْرِهِ
١٢٢	جَهْرِهِ
١٢٢	بَأْمُرِهِ
٦٩	هَيُولَى
٧٠	سُفُولَا
١٩	أوطَانٌ

فهرس الأعلام

- أ -
- إبراهم السامرائي : ٢٤
أحمد بن يوسف، المستعين بن هود: ٢٢
إخوان الصفا: ٩
أرسطو، أرسطاطاليس، فيلسوف أسطا غاريا:
٩، ١٤، ٢٥، ٤٥، ٤٦، ٥٢، ٥٤، ٨٨، ٩١،
١١١، ١٢٢
- أرسطو فان: ٤٦
بنو إسرائيل: ٧٤
الإسكندر المقدوني: ٤٥
أسين بلاثيوس: ٢٧، ٣٥
الأشعرية، الأشعرية: ١٤، ٩
بنو الأقطس: ١٥، ١٦، ١٩
أفلاطون: ٩، ١٤، ٢٥، ٤٥، ٥٢، ٥٤، ٩٠،
١١٤، ١٢٢
- أقريطس: ٤٦
أكاديموس: ٤٥
أكسينو فون: ٤٥
أكسينو قراط: ٤٥
ألفونزو السادس: ١٦، ١٨
ألقبيارس: ٤٦
بنو أمية: ١٥، ١٦
أنخل جنتاليث بالثيا: ٢٥
أهل الظاهر: ١٤
- ب -
- ابن باجة، أبو بكر بن محمد بن الصانع: ٢٢، ٢٥
بلاثيوس = أسين بلاثيوس
د. بدوي: ٤٥
بروكلمان: ٢٤
أبو بكر بن العربي: ٢٤
- ت -
- تجيب (قبيلة): ١٦
التبريزي: ٢٤
- ث -
- ثالس: ١٤، ٨٥
- ج -
- ابن جحاف القاضي البلنسي: ١٨
بنو جهور: ١٦
- ح -
- أبو حامد الفزالي: ١٠
حسين مؤنس: ٢٥
أبو الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجيتاني: ٢٠
الحكماء: ٤٠، ٦٢
الحكم المستنصر: ١٦
- خ -
- ابن خاقان: ١٢، ١٥، ٢١
ابن أبي الخصال: ٢١
ابن خفاجة: ٢١

ابن خلدون: ١٠، ١٤	الصُّدر الشرواني: ١١
ابن خلكان: ١٢	الصُّدر الشيرازي: ١١
الحوارزمي: ٢٤	الصُّوفية: ١١
- د -	- ط -
داوود (الظَّاهري): ١٠٢	بنو طَاهر: ١٧
الدَّهرية: ١٤	ابن طُفَيْل: ٢٥
- ذ -	طحاوس، تياوس: ٢٥
بنو ذي النون: ٢١	- ع -
- ر -	عاصم بن أيوب البطلبيوسي: ٢٠
بنو رزين: ١٧، ٢١، ٢٢	بنو عباد: ١٧
ابن رشد: ٢٥	عبد الله الأموي (أمير): ١٥
- ز -	عبد الله بن محمد بن مسلمة: ١٦
الزجاجي: ٢٣	عبد الرَّحمن بن مروان، الجليلقي: ١٥
الزركلي: ٧	بنو عبد العزيز: ٢٢
زعماء الفلاسفة: ٥٣، ١٢٣	عبد العزيز بن عبد الرحمن المنصور العامري: ١٧
بنو زيري: ١٧	عبد الكرم اليافي: ٦، ٨
زينون الإيلي: ١٤، ٨٦	عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمن العامري: ١٧
- س -	عبد الملك بن هذيل بن عبد الملك: ١٧
سابور الفارسي: ١٦	عبد الواحد المراكشي: ١٠
سُسندو، شُسُند: ١٩	ابن عبدون: ١٦
سقراط: ١٤، ٤٥، ١٢٣	عثمان بن أبي بكر، أبو عمرو: ١٨
ابن السَّيد البطلبيوسي: ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٤، ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٣	ابن العريف: ٢١
ابن سينا: ٩، ١١	عزة العطار الحسيني: ٢٦
- ش -	عزيز النسفي الباطني: ١١
(الإمام) الشافعي: ١٠٢	ابن عكاشة: ١٨
- ص -	أبو العلاء المعري: ١٢، ٢٠
صاحب «معرفةنامه»: ١١	علي بن أحمد بن حدون، ابن اللَّطينة: ٢٠
	أبو علي الغساني الحافظ: ٢٣
	علي بن مجاهد العامري: ١٧

علي بن محمد بن السيد البطليوسي: ١٨
 علي بن يوسف بن تاشفين: ١٠
 عمر فروخ: ٤٦، ٢٥، ١٤، ٧
 عمر المتوكل (من بني الأقطس): ١٩، ١٦
 عمر الحمصاني: ٢٤

- ف -

فاتق الخادم: ١٦
 الفارابي: ٢٥، ٩
 الفتح بن خاقان: ٢١، ١٥، ١٢
 الفتيان الصقالبة: ١٧
 ابن فرحون: ١٢
 فرناندو بن سانشو: ١٦
 فلاسفة الإسلام: ٢٢
 الفلاسفة الإشرافيون: ١١
 فلاسفة الجوس: ٤٦
 فيثاغورس: ١٤

- ق -

القادر بن ذي النون: ٢١، ١٨

القمبيطور (الكبيبادور): ١٨

- ك -

كُبراء الفلاسفة: ١١٣

الكاليون (أصحاب مصطفى كمال أتاتورك): ٧

- ل -

ابن ليون: ٢١

- م -

الماتريديّة: ٩

المأمون بن ذي النون: ١٧، ١٦

مبارك (مولى العامريين): ١٧

مجاهد العامري: ١٧

المجوس: ١٤

محمد رضوان الداية: ٨، ٧

محمد زاهد الكوثري: ٢٧، ٢٦، ١١، ٧

محمد بن عبد الله بن الأقطس، المظفر: ١٩، ١٧

محمد بن عبد العزيز: ١٨، ١٧

محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي التيمي:

٢٠

محمد نجيب أمين الخانجي: ٢٧، ٢٦

المرابطون: ١٨، ١٠

المظفر (مولى العامريين): ١٧

المستعين بن المؤتمن: ١٨

المعتزلة: ١٠٥، ١٠٤، ١٤

المعتد بن عبّاد: ١٦

معن بن صادق: ١٧

المقتدر بن هود: ١٧

مكناسة (قبيلة): ١٥

المنصور (من بني الأقطس): ١٩

المؤتمن (من بني هود): ١٧

ابنة المؤتمن: ١٨

- ن -

النبي (ﷺ): ١٠٥

- هـ -

هـ. حمودي: ٢٣

هذيل بن عبد الملك، عز الدولة، أبو محمد، ابن

رزين: ٢١، ١٧

بنو هود: ٢٢، ١٨، ١٧

- ي -

يجي بن عبد الملك: ١٧

يجي القادر: ١٦

يجي المنصور: ١٦

فهرس البلدان والأماكن

- أ -	أثينا : ٤٥
	أراجون :
- ب -	إسبانية الإسلامية : ٢٥
	الآستانة : ٧
	إشبيلية : ١٧
	الأكاديمية : ٤٥
	الأندلس : ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٠
- خ -	خلقيس : ٤٥
- د -	دانية : ١٧
	دمشق : ٨ ، ٢٣ ، ٦١
- ز -	الزلاقة : ١٨ ، ١٩
- س -	سرقسطة : ١٧ ، ٢١ ، ٢٢
	السهلة : ١٧ ، ٢١
	سو (رافد نهرى) : ١٥
	سورية : ١٨
- ش -	شتمرية الشرق (سانت ماريّا) = السهلة : ١٧ ، ٢١
	شتمرية الغرب : ١٧
- ص -	صقلية : ٤٥
- ط -	طليطلة : ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١
- غ -	غرناطة : ١٧
- أ -	بازو : ١٦
	البليار (الجزائر الشرقية) : ١٧
	البرتغال : ١٥ ، ١٦
	برشلونة : ١٧
	بطلّيوس : ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١
	بغداد : ٢٣
	بلنسية : ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢
	بيروت : ٢٣
- ت -	تبريز : ٢٤
- ج -	جامع الفاتح : ٧
	جامعة دمشق : ٨
	الجزائر : ٢٣

- م -

ماردة: ١٥

مرسية: ١٧

المرية: ١٧

مصر: ٧، ٢٣، ٢٧

معبد أبولون: ٤٥

المغرب: ١٠، ٢٠

مليقة: ١٦، ١٩

- و -

وادي يانة: ١٥

وهران: ٢٣

- ي -

اليونان: ٤٥

- ف -

فرناندو: ١٩

- ق -

القاهرة: ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧

قرطبة: ١٦، ٢١

قشتالة: ١٦، ١٩

قلعة رباح: ١٨

قلمرية: ١٦، ١٩

- ك -

كلية الآداب في جامعة دمشق: ٨

- ل -

لاميجو = مليقة

ليون: ١٦

فهرس الكتب والمجلّات

- أ-
 أزهار الرياض: ١٥، ٢١
 إصلاح الخلل الواقع في شرح الجمل: ١٢، ٢٣
 الأعلام: ٧
 الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ٢٣
 الانتصار من عدل عن الاستبصار: ٢٤
 الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت
 الخلاف بين المسلمين في آرائهم: ٦، ١٢، ٢٤
- ب-
 البداية والنهاية: ١٥
 بغية الملتس: ١٥
 بغية الوعاة: ١٥
- ج-
 تاريخ الفكر الأندلسي: ٢٥
 تاريخ الفكر العربي: ٧، ٢٥
 تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون: ١٤
 تدبير الموحد: ٢٥
 التنبيه على الأسباب الموجبة للخلاف بين الأمة =
 الإنصاف...
 تهاقت الفلاسفة: ١٠
 التوقيف على مهمات التعاريف: ٦٩
- د-
 الخلدائق: ٦، ٧، ٨، ١٠، ١٤، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٢
 الحلة السيرة: ٢٢
- هـ-
 الحلل في شرح أبيات الجمل: ١٢، ٢٣
- و-
 الدباج العُذهب: ١٥
- ز-
 رسائل إخوان الصفا: ١٤
 رسالة الاسم والمسمى: ٢٤
 روضات الجنات: ١٥
- ح-
 السحب (مسرحة): ٤٦
 سير أعلام النبلاء: ١٥
- ط-
 شجرة النور الزكية: ١٥
 شذرات الذهب: ١٥
 شرح الأشعار الستة: ٢٠
 شرح ديوان المتنبي: ١٢
 شرح سقط الزند: ١٢
 شرح المختار من لزوميات أبي العلاء: ٢٤
 شرح الموطأ: ١٢
- ي-
 الصلاة: ١٥
- ك-
 طباوس: ١٠

- ع-
عصر الطوائف : ١٩ ، ٢٢
- غ-
غاية النهاية : ١٥
- ف-
الفرق بين الحروف الخمسة : ٢٣
- ق-
قلائد العقيان : ١٢ ، ١٣ ، ١٥
- ك-
كشف الظنون : ١٥
- ل-
اللغة : ١٢
- م-
ما بعد الطبيعة : ٨٨
المثلثات العربية : ١٢
المثلث : ٢٣
- مجلة الأندلس : ٢٥ ، ٢٧
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : ٢٤
مرآة الجنان : ١٥
المسائل المنشورة : ١٢
للمسائل والأجوبة : ٢٤ ، ٢٦
المُعجِب في أخبار المغرب : ١٠
معرفة تنامة : ١١
المُعرب في حَلَى المغرب : ١٥
موسوعة الفلسفة : ٤٥
- ن-
نصوص ودراسات عربية وإفريقية في اللغة
والتاريخ والأدب : ٢٤
نفح الطيب : ١٥
- ه-
هدية العارفين : ١٥
- و-
وفيات الأعيان : ١٣ ، ١٥

فَهْرِسٌ لِعَوِيٍّ مُصْطَلَحِيٍّ

ب ر هـ ن :	- البراهين : ٥١	- أ -	
ب س ط :	- بسائط : ١٣١	- الأرض : ٦٧ ، ٤٤٤	أرض :
ب ص ر :	- البصر : ٩٨	- مركز الأرض : ٥٦	
	- البصير : ٩٥	- الأزل : ١٠٥ ، ١٠٢	أزل :
ب ط ل :	- البطلون : ١٢١	- الأزلي : ٥٠	
ب ع د :	- البعد : ٣٦ ، ٣٥	- الأزلي المطلق : ٥٠	
ب هـ م :	- البهائم : ٥٥	- الأزلي المضاف : ٥٠	
	- بهيمة : ١٣١	- أزلية العالم : ٩ ، ١١٥	
ب ي ن :	- مُبَاين : ٨٨ ، ٨٩	- الأم : ٤٩	أ ل م :
	- ت -	- الأمور العقلية : ٦١	أ م ر :
ت ب ع :	- تابع : ١٠٩	- التأمل الديني : ٩	أ م ل :
ت م م :	- تتمم : ١١٠	- التأمل الميتافيزيائي : ٩	
	- ث -	- الإنسان : ٣٣ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨١	أ ن س :
ث ب ت :	- إثبات شيئين : ١٠٣	- الإنسان عالم : ١١٧	
	- تثبيت : ٨٨	- الإنسان الكبير : ٥٢	
ث ن ي :	- الثواني : ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ٣٧ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٨٣	- ب -	
	- الثنتي : ٩٤	- المبدأ : ١١ ، ٥٩ ، ٦٠	ب د أ :
	- ج -	- مبدأ الأفعال : ٨٥	
ج ر د :	- مجردة : ٧٣	- مبدأ الموجودات : ٨	
ج ر م :	- الأجرام : ٤٤	- المبادئ العقلية : ٦٠	
ج ز أ :	- الأجرام الناطقة : ٣٩	- المُتَبَدِّع : ٥٠ ، ٥١	ب د ع :
	- الجزئيات : ٩ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠	- مُتَبَدِّعَة : ٨١	
		- باردة بالقوة : ١٢٥	ب ر د :

ج س م:	- جسم: ٤٠، ٥٩، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٠	ح س س:	- الحس: ١٢٠، ١٣٣
	- جسماني: ١٣١-١٣٢		- الإحساس: ٤٨
ج وه د:	- الجسميّة: ١٠٢		- حواس: ١١٨، ١١٩، ١٣٠
	- الجوهر: ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٦، ٧٣، ٨٣، ١٠٢، ١١٠، ١١١، ١١٩		- الحواس الجسدية: ١٣٦
	١٢٦، ١٣٣		- الحواس الجسمية: ١١٧
	- الجوهر الحامل للصورة: ٤٢-٤٣		- الحواس الخمس: ٤٩، ١١٢
	- الجوهر الحامل للعرض: ١١٩	ح ق ق:	- محسوس: ٦٢، ٧١، ٧٣
	- الجوهرين: ١٢٩		- المحسوسات: ٧٠، ٧١، ١١٧
	- الجواهر المعقولة: ٥٦-١١٩		- الحق: ٥٤
	- التجوهر: ٤٤، ٦٤، ٧٣		- الحقيقة: ٣٦، ١١١
	- تجوهرات: ١٢٧		- الحقائق: ١٢٤
	- يتجوهر: ١١٢	ح ك م:	- حقائق مجرّدة: ١١٥
ج ن س:	- جنس: ٨٧-١١١		- الحكمة: ٨، ٣٥، ٥١، ٥٢
	- الأجناس: ٩٠	ح ل ل:	- الحكماء: ٨
ج ه ل:	- الجهل: ١٣٠		- مُحلّ في الأمكنة: ٨٧
	- ظلمة الجهل: ٤٠		- محلّ: ٨٥
	- جاهل: ٩٥، ١٠٨	ح م ل:	- ينحلّ: ١٣١
	- ح -		- حامل: ١٠٢، ١١٩
ح د ث:	- حدوث: ٨١، ٨٣، ٩٩، ١١٨	ح و ل:	- محمول: ٨٧، ١٠٢، ١١٩
	- مُحدث: ٥٠		- الحال: ١٠٦
	- مُحدثة: ٨١، ٨٣، ٩٨، ١٠٥		- استحالة: ٨٧، ٩٠
	- المُحدثات: ٩٩		- المُحال: ٣٧، ٨٧
	- يحدث: ١٠٢	ح ي ز:	- استحال: ١١٨، ١٢٦
	- أحدث: ١٠١		- تحييز: ٨٨
ح د د:	- حدّ الفلسفة: ١١٤	ح ي و:	- حياة: ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤
ح ر ر:	- حارة بالفعل: ١٢٥		- الحياة الجسدية: ١٣٣
ح ر ك:	- حركة: ٥٢، ٦٨، ٨١، ٨٣، ١١٥		- الحياة المحضة: ١٣٠
	- الحركة الإرادية: ٤٩		- حيّ: ٨٩، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٩
	- حركة الفلك: ٦٩		١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩
			- حيّ بالطبع: ١٣٠

- إدراك بالعقل : ٧٠		- حيّ بالفعل : ١٢٦ ، ١٣٢	
- الاستدلال : ٩٩ ، ١٢٠	دل ل :	- حيّ بالقوّة : ١٣٦	
- الدليل : ١٠٤		- حيّة [النفس حيّة] : ١٢٣ ، ١٢٩	
- دلائل الحدوث : ٨٧		- الأحياء : ٩٥	
- يستدلّ : ١٠٠		- الحيوان : ٤٤ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٧	
- الذّهر : ٩٠	د هـ ر :	- حيوان ناطق : ٤٤ ، ٦٠	
- الذّهرية : ٤٦		- حيوان غير ناطق : ٦٠ ، ٦٤	
- دوران الأفلاك : ٥١ ، ٦١	دور :	- حيوانية : ١٢٣	
- الدائرة : ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٦٧ ، ٦٦		- خ -	
- دائرة الآحاد والعشرات : ٣٣		- اختصار : ٩٦	خ ص ر :
- دائرة الألوف : ٣٣		- الخطأ : ١٣١	خ ط أ :
- دائرة المئات : ٣٣		- خطيئة : ١٦	
- دائرة وهمية : ١١ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٥٨ ، ٧٧ ، ٧٨		- الخطّ : ٥٩ ، ٦٢	خ ط ط :
- دوائر : ١١١		- تخطيط : ١١١	
- دوائر الآلاف : ٧٩		- الخلود : ١٤	خ ل د :
- دوائر العدد الوهمية : ٤٠		- الخلق : ٩ ، ١٠٥	خ ل و :
- الدوائر العددية : ٨٠		- الخلقة : ٧٣	خ ل ق :
- دوائر العشرات : ٧٨		- خالق : ٥١ ، ١٠٥	
- دوائر المئين : ٧٩		- المخلوق : ١٠٥	
- دوائر وهمية : ٧٠		- المخلوقات : ٥٩	
- استدار : ٧٩ ، ٨٠		- الأخلاق : ٥٤	
- ذ -		- الخلقية : ٧١	
- الذرّة : ١١٣	ذ ر د :	- الخير : ٥٣	خ ي ر :
- السنات : ٦٦ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤	ذ ي ت :	- التخيل : ٥٣ ، ١١٨	خ ي ل :
		- المتخيّلة : ٧٢	
		- د -	
- ذات الإنسان : ٨ ، ١١ ، ٣٣ ، ٥٨ ، ٦٣		- الإدراك : ٧٠	د ر ك :
- ذاتي : ١١٢ ، ١٣٢ ، ١٣٣		- إدراك بالحسّ : ٧٠	
		- إدراك بالحواس : ١١٨	

-س-		-ر-	
س ب ب:	- سبب: ٨٠ -	الرتبة: ٦٥، ٦٣، ٤٢،	رت ب:
	- السبب الأول: ٨، ٣٣، ٣٥، ٦٣،	المرتبة: ٤٤، ٤٣، ٤٠، ٣٧، ٣٥،	
	٦٥، ٦٤	٨٠، ٧١، ٦٤، ٦٣، ٦٠، ٤٧، ٤٦	
	- أسباب الأشياء: ٥٠ -	- مراتب: ٩١ -	
س ح ر:	- السحر: ٥٢ -	- مراتب الأحاد: ٨٠، ٧٩ -	
س ري:	- سريان الوحدة: ٨٤، ٨٥، ٨٦ -	- مراتب المعقولات: ٣٣ -	
	- يسري: ٧٩ -	- مراتب الوجود: ١١ -	
	- سرت: ٨٤ -	- مراتب الموجودات: ٨، ٤١، ٤٢،	
س ط ح:	- السطح: ٥٩ -	١١٠، ٥٠	
س ل ب:	- السلب: ٨، ١١، ٣٤، ٩٣ -	- مراتب المحسوسات: ٣٣ -	
	- حرف السلب: ١٥، ٩٨ -	- الرذائل: ٥٣-٥٤ -	ر ذ ل:
	- السلال: ١٢٩ -	- الرزق: ١٠٥ -	رزق:
س م ع:	- السمع: ٩٨ -	- رازق: ١٠٥ -	
	- سميع: ٩٥ -	- المرزوق: ١٠٥ -	
س ي س:	- السياسة: ٥٢ -	- الترقى: ٤٣، ٤٦، ٥٩ -	رق ي:
س ي ل:	- سيلان: ٩٠ -	- الأركان: ٤٣، ٤٤، ٥١، ٦٢، ٦٤،	رك ن:
	- سيالة: ٨٥ -	٦٥	
	- ش-	- عالم الأركان: ٥٥ -	
ش ب هـ:	- التشبيه: ٨ -	- رموز: ٨٠ -	رم ذ:
ش خ ص:	- شخص: ٨٧ -	- روح: ١٢٢ -	روح:
	- الأشخاص: ٩٠، ١١١ -	- الأرواح الزكية: ٥٧ -	
ش ر ر:	- الشر: ٥٣ -	- روحاني: ١٣١، ١٣٢، ١٣٣ -	
ش ر ع:	- الشرع: ١٠٥، ١٢٢ -	- روحانية: ١٣٢ -	
	- شرع الله: ٩، ١٢ -	- الروية: ٤٩ -	روي:
	- الشريعة الإسلامية: ٢٦ -	- إرادة: ١٠٥ -	ري د:
	- شريعتنا الحنيفية: ١٢١ -	- مريد: ١٠٠ -	
	- الشرائع: ٥٤، ١٢٣ -	- ز-	
	- الشرعية: ١٢٤ -	- الزمان: ٣٦، ٦٨، ٦٩، ٨١، ٨٣،	ز م ن:
	- الشعور: ٤٨ -	١٠٤، ١١٥، ١١٧، ١٢٠ -	
		- الأزمنة: ٨٥ -	

ش كل:	- شكل: ١١١	- الطبيعة المائية: ٧٤
ش هـ د:	- المشاهدة: ١٢٨	- مطلق: ٨٢
ش هـ و:	- الشهوات الطبيعية: ١٢٤	- ع -
	- ص -	- العدد: ٣٢، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨٠،
ص د ق:	- التصديق: ٥٣	٨١
ص ن ع:	- صانع: ١١٦	- الأعداد: ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ١١١
	- مصنوعات: ٨٩	- علم: ٨٢
ص و ر:	- التصوّر: ٥٣، ٨١، ١١٨، ١٢٤	- معدوم: ١٠١، ٩٥
	- التصوير: ٨٨	- معدن: ١١٦
	- الصورة: ٤١، ٤٣، ٥٠، ٦٦، ٧٣،	- معادن: ٤٤، ٥٩، ٦٤، ٦٥، ٦٧
	٧٤، ٨٤، ٨٩، ٩١، ٩٢، ١١١،	- سلم المعراج: ٥٦
	١١٥، ١٢٨	- غرَضٌ: ١١٩، ١٣٠، ١٣١
	- صورة الإنسان: ٣٣، ٣٥، ٥٨	- الأعراض: ١٠٢، ١١٩
	- الصورة الشخصية: ٨٩	- العرض المحمول في جوهر: ١١٩
	- صورة الأشياء: ٩٨	- عرضي: ١٣٣
	- الصورة العقلية: ٧٣	- المعرفة: ٤٩
	- صور الأفلاك: ٤٣، ٤٤	- معرفة الله تعالى نفسه: ٨
	- المصوّر: ٩٠، ٩١، ٩٢، ١١١	- معرفة العالم: ٨٠
	- يتصوّر: ٧٣	- المعارف: ٤٤، ٥٥، ١٢٤، ١٣٧،
ص و غ:	- تصوغ: ٧٦	١٢٩
ص و ف:	- الصوفية: ٨، ٩١	- انعطاف: ٨٠
ص ي ر:	- صير: ٨٤	- منعطف: ٧٥
	- ض -	- العقل: ٣٣، ٥٦، ٧٣، ٩٨، ١٠٥،
ض د د:	- ضدّ: ٨٩	١١٤، ١١٩
	- أضداد: ٩٥	- العقل الإنساني: ٤٧
ض م ر:	- ضامائر النفوس: ١١٣	- عقل متجرد: ١١٣، ١١٤
ض م ن:	- مضتمّاً: ٩٦	- العقل الجزئي: ١١، ٣٣، ٦٨،
	- ط -	٧٣، ١١٧
ط ب ع:	- الطبع: ٣٧، ٧٤	- العقل الفعّال: ٣٨، ٣٩، ٤٠،
		٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥٤، ٥٦، ٥٩، ٦١،

١١٩، ١١٦، ١١٤، ١١٢، ١١١
 - علم الأمور الإلهية: ١١٦
 - العلم الإلهي: ٦٠
 - علم الإنسان: ٣٣، ٥٨، ٥٩، ٦٢،
 ٦٣
 - العلم السياسي: ٦٢
 - علم الكلام: ٧، ٨، ٩، ١٠
 - العلوم: ٥٥، ١٢٩
 - العلوم الشرعية: ١٠
 - العلوم العقلية: ٥
 - العلوم النظرية: ٥٠
 - العلوم التقليدية: ٥، ١٠
 - عالم: ٨٩، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٠٠،
 ١٠٧، ١١٣، ١١٦، ١١٩
 - عالمة: ١١١
 - العلماء: ٩٥
 - العلوم: ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٩
 - يعلم: ١٠٧، ١٠٨
 - عالم الحس: ٦٩، ٧٣
 - العالم الأدنى: ٦٩
 - العالم الصغير: ٥٢، ٧١
 - العالم الأصغر: ٦٩
 - العالم الأعلى: ٥٧، ٦٩
 - عالم العقل: ٦٩، ٧٣، ١١٤، ١١٥
 - عالم العناصر: ٢٨، ٢٩
 - عالم الأفلاك: ٦١
 - العالم الأكبر: ٧٠، ٧١
 - عالم النفس: ١١٤
 - العوالم العالية: ١١٤
 - العمل: ٥٣

٦٣، ٦٧، ٧٢
 - العقل المستفاد: ٧١، ٧٣، ١١٢،
 ١٢٧
 - العقل الكلبي: ١١، ٣٣، ٦٨، ٧٣،
 ١١٧
 - العقول الثواني: ١٤
 - العقول المجردة: ٣٨، ٤٠
 - العقول العشرة: ١١
 - العقول المفارقة للمادة: ٤٦
 - العقول: ٣٦، ٦٢، ٧١، ٧٣،
 ١١٠، ١١٤، ١١٩
 - العقول الأول: ٦١
 - العقولات: ٦٠، ٧٠، ٧١، ١١٠،
 ١١٢
 - العقولات الأول: ١١٢
 - العقولات المجردة: ٤٤
 - العقولات المفارقة: ٤٧
 - العاقل: ١١٠، ١١٤، ١١٩
 - يعقل: ١١٠
 التعلّق: ٩٥، ١٢٧
 - العلة: ٦١، ٧٧، ٨٠، ٨٦، ٩٥،
 ١٠٨، ١١١
 - العلة الأولى: ٣٥، ١١٠
 - علة بعيدة: ٧٧
 - علة قريبة: ٧٧
 - علة العلل: ٣٥، ٨٠، ٨٤
 - علة الوجود: ٨٢، ٨٤
 - علل: ٥٠، ٧٨، ٨٤
 - معلول: ٨٦، ١٠٨
 - العليم: ٤٩، ٥٣، ١٠٤، ١٠٧،
 ع م ك

ع ل ق:
 ع ل ن:

ع ل م:

ع ن ص ر:	- العناصر: ٥٩	ف ك ر:	- الفكر: ٤٩
ع ه د:	- المعهود: ١٠٢، ١٠٤		- الفكر العربي: ٧
	- غ-		- الفكر اليوناني: ٢٦
غ ر ز:	- الغريزيات: ١٢٠	ف ل س ف:	- الفلسفة: ٧، ٨، ٩، ١٠، ٥٢، ٥٤، ٥٢
غ ر ق:	- استغرق: ١٣١		- الفلسفة اليونانية: ١٠
غ ن ي:	- غني: ٨٢، ١١٠، ١١٨		- الفيلسوف: ٨٣
غ ي ي:	- غاية: ٨٩، ١١١		- الفلاسفة: ٨
	- ف-	ف ل ك:	- فلك القمر: ٤١، ٤٢
ف ر ط:	- إفراط: ٩٤		- الأفلاك: ٤٠، ٥٠
ف ر ع:	- التفريع: ١٠٥		- الأفلاك التسعة: ٣٩، ١١٤
ف س د:	- الفساد: ٥٢	ف ن ي:	- الفناء في التوحيد: ٩١
ف ص ل:	- انفصال: ٨٨	ف ي د:	- المفيد الكمال: ١١
	- فصل: ٨٧	ف ي ض:	- الفيض: ٩، ١٤، ٣٩
ف ض ل:	- الفضيلة: ١١٠		- فيض العقول المجردة: ٣٩
	- الفضائل: ٥٣		- فائض: ٨٢
ف ط ر:	- الفطرة: ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٧٠، ٧٣		- تفيض: ٥٢
	- فطر شريفة: ٨١		- فاض: ٨٤
ف ع ل:	- فعل: ٥١، ٥٢، ٦٨، ٧٤، ٩٢		- أفاض: ٤٠، ٩١
	- فعل بالمجاز: ٨٤		- ق-
	- فعل بالإضافة: ٨٤	ق ب س:	- مقتبس: ٨٢، ٨٩، ١٠٨، ١١١
	- الفاعل: ٨٥، ٦١، ٨٧، ٨٩، ١١١	ق ب ل:	- قبول: ١٢٤
	- الفاعل بالمجاز: ٨٥		- المستقبل: ١٠٦
	- الفاعل على المجاز: ٥١	ق د ر:	- القدرة: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥
	- الفاعل بالحقيقة: ٨٤		- قادر: ٨٩، ٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٤
	- الفاعل على الحقيقة: ٥١	ق د س:	- تقدس: ٨٥
	- فاعل بالإضافة: ٨٥	ق د م:	- تقدم العالم: ٨٣
	- الفاعل المطلق: ٥١، ٨٤		- القدمات: ٨٥، ١١٨، ١١٩، ١٢٠
	- منفعل: ٨٥، ٨٧		- قدم: ٥٠
ف ق ر:	- مفتقر: ٨٢، ٨٩، ١١٢، ١١٨		
	١٢٦		

ق رأ:	- القرآن الكريم: ١٠٥	- ك:
ق رب:	- التُّرْب: ٣٥، ٢٦	ك ث ر:
ق ص د:	- تقريب: ١١١	ك رب:
	- اقتصاد: ٩٤	ك رو:
	- تقصير: ٩٤	ك رة الأفلاك: ٥٦
	- مقصّر: ٩٤	ك س ب:
ق ض ي:	- اقتضى [اقتضاء الأشياء]: ٨٤	ك ف ر:
ق ل ل:	- التقليل: ٧٥، ٧٦	ك ل ل:
	- مستقل [استقلال الأعداد]: ٨٢	- الكليات: ٨، ٩، ٥٤، ١٠٧،
ق م ر:	- القمر: ٣٩، ٤٠	١١٨، ١١٩، ١٢٠
ق و ل:	- القول المنفي: ٩٦	ك ل م:
ق و م:	- التّوحيّم الطبيعي: ٤٨	- الكلام: ١٠٩
	- قوام: ٨٤، ٨٩، ٩١	- التّكلم: ١٠٩
	- إقامة البراهين: ١٢٣	ك م ل:
ق و ي:	- القوّة: ٣٧، ٤٣، ٤٨، ٧٤، ٩٢،	- كال: ٥١، ٥٢، ٧١، ٧٣، ٩٢،
	١١٥، ١٢٥، ١٢٦	١١٠، ١١٨، ١٢٩
	- القوّة الجاذبة: ٤٨	- كامل: ١١٨
	- القوّة الدافعة: ٤٨	ك ن ه:
	- القوّة المصوّرة: ٤٨	ك ه ن:
	- القوّة العاقلة: ٧٠	ك و ك ب:
	- القوّة المغذية: ٤٨	- الكواكب: ٤٣-٥٠
	- القوّة المسكة: ٤٨	ك و ن:
	- القوّة الناطقة: ٣٩، ٦٦، ٦٨	- الكون: ٥٢
	- القوّة المنية: ٤٨	- المكوّن: ٥٠، ٥١
	- القوّة الماضية: ٤٨	- كوّن: ٨٤
	- قوّة الواحد: ٧٨، ٧٩	ك ي ف:
	- قوّة الوجدانية: ٧٧، ٨٤	- تكثيف: ١١٨، ١١٩
	- قوّة: ٨٣، ٨٤	ل ذ ذ:
ق ي س:	- المتعاضد: ٥٥	- اللذّة: ٤٩
		- اللذات الجسدية: ١٢٤، ١٣٠
		- اللذات العقلية: ١٣٠
		ل غ ز:
		ل غ و:
		- اللغة: ١٠٥
		- اللغة العربية: ١٠٦

ل هـ م:	- الإلهام : ٥٦ ، ٥٤	- منسوب : ٧٥
ل و ح:	- اللوح المحفوظ : ٦٩	- نسبت : ٨٠
م ث ل:	- م -	- التناسخ : ١١
م د ح:	- تمثيل : ١١١ ، ١٠٩ ، ٨٨	- تنشؤ العدد : ٨٠
م د د:	- المدح : ٩٤	- نشء العدد ونشوء العدد : ٨١
م ك ن:	- المادة : ٥٨ ، ٤٤ ، ٤٠ ، ٣٨ ، ٣٦	- ناشب : ٨٦
	- ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٢٨	- نصف : ٧٦ ، ٧٥
	- الإمكان : ٣٧	- النطقة : ٦٣ ، ٣٩
	- يمكن : ٥١	- الناطقة : ١٢٣ ، ٧٣
	- المكان : ٨٣ ، ٨١ ، ٤٣ ، ٣٦ ، ٣٥	- النظر : ٩٨
	- ١١٥ ، ١٠٤	- النظر الإلهي : ٦٢
م ل ك:	- الملائكة : ٦١ ، ٥٧ ، ٥٥	- النظر الإنساني : ٦٢
م ن ع:	- ألممتع : ٧٤ ، ٥١	- نظرية العدد : ١٤
	- المانع : ١١٤	- نظير : ١٠٩
م و ت:	- الموت : ١٣٢ ، ١٣٠ ، ٣٤ ، ١١ ، ٩	- النفس : ١٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٦٠ ، ٦٦
	- موات : ١٣٠ ، ١٢٩	١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٣
م و ه:	- الماء : ٦٧ ، ٤٤	- نفس الإنسان : ٤٩ ، ٤٠
م د ي ت ا في ز ياء:	- الميتافيزياء : ١٠ ، ٩ ، ٨	- النفس النباتية : ٤١ ، ٤٧ ، ٦٠
م ي ز:	- تمييز : ١٢٤	١٢٣ ، ٦٥
	- ن -	- النفس الجزئية : ١١٧
ن ب أ:	- النبوة : ٥٦ ، ٥٢	- النفس الحكيمية : ٥٠
	- النبوات : ٥٢	- النفس الحيوانية : ٤١ ، ٤٩ ، ٦٠
	- الأنبياء : ٥٢	١٢٣ ، ١٢٣ ، ١٣١
ن ب ت:	- النبات : ٦٧ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٠ ، ٤٤	- النفس الشهوانية : ٤٧
	١٢٣	- النفس الغضبية : ٤٩
ن ب ط:	- الاستنباط : ١١٩	- النفس الفلسفية : ٤١ ، ٥٠ ، ٥٢
ن س ب:	- نسبة تجزئة : ٧٥	٥٥ ، ٥٤
	- نسبة تضعيف : ٧٥	- النفس الكلّية : ٤١ ، ٥٦ ، ٦٣
	- نسبة تقليل : ٧٥	١١٧ ، ٧٢ ، ٦٩ ، ٦٨
	- نسبة تكثير : ٧٥	- النفس النبوية : ٤١ ، ٥٤

٤١، ٤٧، ٥٠، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٦٦،
٧٢، ٨٢، ٨٩، ٩١، ٩٩، ١٠٨،
١٠٩، ١١١، ١٢٦، ١٢٧ -
وجود مضاف: ١٠٨ -
وجود مطلق: ١٠٨ -
الوجود الفاضل من السبب
الأول: ٦٤ -
إيجاد: ٨٢، ٨٣ -
موجد: ١٠٨، ١٢٦ -
موجود: ٣٨، ٥٠، ٦٣، ٦٤، ٧٧،
٨٢، ٨٣، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٦، ٩٩،
١٠٠، ١١٣، ١٢٥، ١٢٦ -
أول موجود أوجده الله: ٣٨ -
الموجود العاشر: ٨٣ -
موجود على الإطلاق: ٨٩ -
موجود في كل شيء: ١١٣ -
الموجودات: ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٣،
٥١، ٥٢، ٦١، ٦٨، ٨٢، ٨٣، ٨٤،
٨٥، ٨٦، ٩٥، ١٠٨ -
الموجودات الطبيعية: ٦٩ -
الموجودات العقلية: ٦٩ -
الموجودات غير الناطقة: ٦٤ -
الموجودات الفاضلة عن السبب
الأول: ٦٥ -
وجد بالفعل: ١٢٥ -
الجهات الست: ٤٨ -
الوحدة السارية: ١١٣ -
الوحدانية: ٥٠، ٧٧ -
التوحيد: ٤٦ -
الواحد: ٨، ٣٦، ٨٢ -

- النفس الناطقة: ٩، ١١، ٣٤،
٣٩، ٤١، ٤٤، ٤٩، ٦٥، ١٢٣،
١٢٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١ -
النفس الجزئية الطاهرة: ٥٦، ٥٧ -
النفوس الخمسة: ٤٧ -
نفوسنا الناطقة: ١٢٦ -
نقص: ٨٩، ١١٠ -
النقطة: ٥٩، ٦٢ -
التواميس: ٥٢، ٥٣، ٦٢، ١١٦ -
نهاية الأشياء: ٩٤ -
مالا نهاية له: ٣٧ -
نور الشمس: ٣٩ -
نور العقل: ٤٠، ٦٨ -
النوع: ٨٧، ١١١ -
الأنواع: ٩٠، ١١١ -
النار: ٤٤، ٦٧ -
-هـ-
هيولى: ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٠، ٥٨،
٦٤، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٤ -
٨١، ٨٧، ١١٥ -
هيولات: ١٢٨ -
المهيولاني: ١١٧ -
المهيولانية: ١٢٧ -
هوي: الهواء: ٤٤، ٦٧ -
هوية: ٨٤، ٩١ -
تهوى: ٨٤، ١١٣ -
-و-
الإيجاب: ٩٥، ٩٧ -
الواجب: ٥١، ٧٤ -
الوجود: ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠،

ن ق ص:

ن ق ط:

ن م س:

ن ه ي:

ن و ر:

ن و ع:

ن ي ر:

هيولى:

هوي:

وج ه:

وج د:

وج ب:

وج د:

١٢١، ١١٩، ١١٨، ١١٤، ١٠٥	-الواحد الأحد الميتافيزيائي : ٩	
- صفات الله : ٨، ١٤	-الواحد العددي : ٩	
- صفات البارئ : ٣٤	- توحد : ٨٤	
- صفات الأفعال : ١٠٥	-الوحي : ٥٦، ٥٤، ٥٢	وح ي :
- الصفات النفسانية : ١٠٠	- التراث الإسلامي : ١٠	ورث :
- صفات النقص : ٨٣	- التراث الأندلسي : ٢٦، ٨، ٧	
- وأصف : ٩٤	- التراث العربي : ٧	
- موصوف : ١٠٠، ٩٣	- التراث الفلسفي العربي : ١٠	
- يصف : ١٠٧، ٩٥	- توسُّط : ٨٣، ٧٦	وس ط :
- يُوصف : ١١٨، ١٠٢، ٨٣	- وساطة : ٨٤، ٨٢	
- موضوع : ٨٧، ٧٣	- الوسائط : ١١٠	
- واقع تحت الأزمنة : ٨٧	- واسطة : ٧٩، ٧٦، ٧٣	
- يقع : ٨٥	- وساوس الصدور : ١١٣	وس وس :
- تولَّد : ٧٦	- الصفة : ١٠٧، ٨٨	وص ف :
- الوهم : ٤٩	- وصف : ١٠٤، ٨٩	
- وهمية : ١١١، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧	- الصفات : ٩٣، ٩٥، ١٠١، ١٠٢،	

فهرس المَحْتَوَات

الصفحة	الموضوع
٥	- الكلمة الأولى
٨	- تقديم الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
١١	- مقدمة الشيخ محمد زاهد الكوثري - رحمه الله -
١٤	- ملاحظات الدكتور عمر فروخ - رحمه الله - على كتاب الحدائق
١٥	- مقدّمة التحقيق :
١٥	- مدينة بطليوس التي ينتسب إليها ابن السيّد
١٦	- عصر الطوائف على أيامه
١٨	- ابن السيّد وأسرته وشيوخه وأمواله
٢٢	- مؤلفاته
٢٥	- كتاب الحدائق
٢٢	- كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة
٢٣	- تقديم المؤلف للكتاب
	- الباب الأوّل :
	- في شرح قولهم : إنّ ترتيب الموجودات عن السبب الأوّل يحكي دائرة وهمية
٣٥	مرجعها إلى مبدئها في صورة الإنسان
٤٧	- خواصّ النفس النباتية ، وتسمّى الشهوانية
٤٩	- خواصّ النفس الحيوانية ، وتسمّى الغضبية
٤٩	- خواصّ النفس الإنسانية ، وهي الناطقة
٥٠	- خواصّ النفس الحكّمية الفلسفية
٥٤	- خواصّ النفس النبوية
٥٦	- خواصّ النفس الكلّية

الباب الثاني :

في شرح قولهم : إنَّ الإنسانَ يحكي دائرة وهمية ، وإنَّ ذاته تبلغ بعد مماته إلى
حيث يبلغ علمه في حياته

٥٨

الباب الثالث :

في شرح قولهم : إنَّ في قدرة العقل الجزئي أن يتصوّر بصورة العقل الكلي

٦٨

الباب الرابع :

في شرح قولهم : إنَّ العدد دوائر وهمية

٧٥

الباب الخامس :

- في شرح قولهم : إنَّ صفات البارئ تعالى لا يصحّ أن يوصف بها إلا على وجه
السلب

٩٣

- ذكر الشُّبه التي اغترَّ بها مَنْ زعمَ أنَّ صفات الله تعالى مُحدّثة - جلَّ عن ذلك

٩٨

الباب السادس :

- في شرح قولهم : إنَّ البارئ تعالى لا يعلم إلا نفسه
- فصل : وقد احتجَّ مَنْ زعم أنَّ الله تعالى لا يعلم الأشياء بأن قال :
وجوابنا :

١٠٧

١١٨

الباب السابع :

- في إقامة البراهين على أنَّ النفس الناطقة حيّة بعد مفارقة الجسم :

١٢٣

١٢٤

- برهان أول

١٢٥

- برهان ثان

١٢٦

- برهان ثالث

١٢٧

- برهان رابع

١٢٨

- برهان خامس

١٣٠

- برهان سادس

الصفحة

الموضوع

١٣١	- برهان سابع
١٣٢	- برهان ثامن
١٣٥	- م. أ. بلاثيوس . ومقدمته لكتاب الخدائق
١٣٦	- ميغيل أسين بلاثيوس
١٤١	- مقدمة الكتاب (كتاب الخدائق) لابن السيد البطليوسي
١٥٣	فهارس الكتاب
١٥٥	- فهرس الآيات
١٥٥	- فهرس الأحاديث
١٥٥	- فهرس الشعر
١٥٦	- فهرس الأعلام
١٥٩	- فهرس البلدان والأماكن
١٦١	- فهرس الكتب والمجلات
١٦٣	- فهرس لغوي مصطلحي
١٧٤	- فهرس المحتويات

تم طبع هذا الكتاب بتاريخ ١٩٨٨/٤/٣٠ م
عدد النسخ (١٠٠٠)

(الحقائق) كتاب بحث فيه ابن السيّد البَطْلَيْوْسِيّ قضايا
فلسفيّة وميتافيزيائية وكلاميّة مهمّة ، تناقلها الفلاسفة
والصوفيّة والحكماء تناقلاً واسعاً ، وعرضوها في أساليب مختلفة
تستغلّق تارة وتلتوي تارة أخرى .

وقد استوعب العلامة ابن السيّد تلك القضايا فعمد إلى
شرحها شرحاً بسيطاً واضحاً لا لبس فيه ؛ وبدقّة كافية حتى إذا
قرأها طالب الحكمة والفلسفة استطاع أن يسلك كتب الصوفيّة
المتأخّرة المعقّدة والكتب الفلسفية المشتبكة وعنده زاد من
المعرفة يخوّله أن يتفهّم تلك القضايا ويتابع مؤلفيها متابعة
مفيدة .

من مقدمة الدكتور عبد الكريم اليافي

المؤرّعون المحضرون

دار الحكمة، الكائنات للطباعة والنشر والتوزيع
المعهد العربيّ للدراسات والبحوث - ص 1 - شارع النقشبنديين
صرب 11-01 - مكاتب 222222 - تليفون 22 2222

دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع
نشانات سنووي، ساقية النهرين، حلقات الكارنات
صرب 137674 هاتف 86.739 بلاتر 44316 LE